

شهر الجماد

في عصر الدروب الصلبية

كتاب
طبع في بيروت

الطبعة الأولى

١٩٩٠ - ١٤١٢ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبعة كتب ودوريات ٤٤٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[هـدـام]

لــالــشــارــيــ، الــعــرــقــ ، الــذــي أــعــتــرــ بــعــاــيــنــيــ وــبــيــنــهــ ، وــإــلــىــ كــلــ مــنــ

يــعــطــلــ يــدــ يــدــ المســاعــةــ فــ هــذــاــ الــمــعــلــ بــشــكــلــ أــوــ يــأــخــرــ ، وــإــلــىــ كــلــ مــنــ

أــفــســحــ لــمــحــالــ الــدــرــاســةــ وــالــبــحــثــ .

لــ إــلــىــ كــلــ هــؤــلــاءــ أــمــدــيــ هــذــهــ الــدــرــاســةــ الــمــتــراــضــةــ ، آــمــدــاــنــ آــكــرــ

قدــ قــدــمــتــ لــلــفــارــيــ الــرــبــيــ الــإــســلــاــمــ بــعــضــ مــاــيــســتــطــعــ أــنــ يــذــكــرــ بــهــ

ماــضــيــ ، وــأــنــ تــبــقــ آــنــ ذــاــ الــكــتــابــ الــرــبــيــ الــجــيدــ تــرــدــدــ فــ جــبــاتــ

الــعــالــمــ الــإــســلــاــمــ ، وــتــنــاــقــلــ الــأــجــيــالــ أــبــاــءــ فــ اــعــزــارــ ، وــأــنــ نــفــتــ دــوــمــاــ

عــلــ رــاثــاــ الــرــبــيــ فــ طــرــيــقــاــ إــلــىــ بــشــاءــ مــســتــقــلــ أــمــتــاــ الــإــســلــاــمــ .

وــلــقــ المــوــقــعــ وــهــوــ الــمــادــيــ إــلــىــ ســوــاــ الســبــيلــ .

المــأــوــلــ

المقدمة

• 30% of patients with COVID-19

and all,

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،
نبينا محمد وعليل آله وصحبه وسلم وبعده :**

فهذا ملأ بعنوان «شعر الجبهة» في عصر المروءة، وهو موضوع يتناول شعر الجبهة، ذلك الشعر الذي يصف أعياد المسلمين وبأس آلياتهم في حروب الرغب ونزعات الرازق، ويذاعق حرومهم مع المسلمين وتحمّلهم لما لا يطاق من الشدائد والشقات.

وليس يذكر أحد أن شعر الجناد يهدى على دأب المؤنثون وآدوات التسويقية التي
اكتصل بهصر الحزب المليبيه الفصاليا مباشرًا، فهو تماج طيفي المعصر
ووصاغاته، وقد عني بتسجيل المصرايات والمارك الكبوري، وقلل لنا صورة
الراحل كان في مصر من جماد وبطلات قد لا تجد لها أثرا في كتب التاريخ
والقصص.

ومن معلمات هذا الشعر ألم يقف عند حد تسجيل الملارك الكبير، بل
رأياه يرصد أحذلها ويتحدث عن تاريها ، إلى درجة تجعلنا نقول إنه أصبح
محللاً يرصد خطوات هذا المزوب وصورة المزاج بين الإسلام والصلبة ،
وقد امتد من استطاع إخاذ هذا الشعر مصرى للأحداث التاريخ فقد أخذ حقائقه
مدى عالٍ فله قسطنطين وعمل شعراً وتأسراً ...

وقد بدأت المروءات العلية علم تمان ومحاسن وأرباحه للهجرة يوم أن وضع العالبيون أرجلهم بأرض الشام يريدون الاستيلاء عليه، ويتعلمون إلى فتح المقدس واسترداد تلك المروءات لمدة قرابة من الزمان - ٤٩٠ - ٥٩٠

على حد قول أكثر المؤرخين ، والراجح أن هذه المرووب قد تركت آثاراً هامة على حياة المسلمين بصفة عامة وعلى الأدب العربي صفة خاصة .

ووجه حقيقة هامة لا سيئها إلى إنكارها عند دراسة شعر الجاهاد في مصر المرووب الصليبية ، تلك أن العرب قد عرموا المرووب في الجاهالية والإسلام وقد عرقوا الكفاح والصالح حين هاجم الروم بلاد المسلمين في صدر الإسلام بل إن غزو المسلمين لبلاد الروم ، أو غزو الروم المسلمين لم ينقطع في صدر الإسلام المصوّر منذ أن اختت بلاد الإسلام بلاد الروم .

ووجه حقيقة أخرى لا بد من الإشارة إليها وهي أن الآثار التي تركتها المرووب الصليبية في الأدب العربي قد قامت على أساس من الأدب المصري للوروث ، يمعن أنساً محمد لظاهرها مشابهاً في الأدب العربي الذي كان قبل صدر المرووب الصليبية ، وأن أنس هذه المظاهر متصلة في الأدب العربي .

ومع ذلك فيمكننا أن نقول إن المرووب الصليبية تمتاز بأنها ذات مظاهر دينيّة طبعها بطابع عاص ، وجعل المراعي فيها لاصراها بين فريقين ولكن بين عقديتين ، هذا بالإضافة إلى أن الإسلام كان قويّاً في صدره الأول ، فكان يصمد ويدفع المدوان ، بل ويتوغل في أرض المتدان وذلك كما حات في عبد الدولة السياسية ، أما في صدر المرووب الصليبية فقد حطم الزواة قوى المسلمين واحدة تلو واحدة ، وطعموا في أن يستولوا على كل البقاع الإسلامية وذلك إلى جانب محنّة الجيرش التي استخدمت في هذه المرووب ، وما حسّبها من جانب الفرج من أسوأه وتدمر بلاد المسلمين .

والحق إنه كان لشعر الجاهاد دور قيادي في التصدى لمحاجات الرياح .

الصليبي كـأكان له دور قيادي كذلك في الخطاب على تراث الغرب والملائين، وسائله في هذه الدراسة أن أبرز هذا الدور، وأن أثني بالقاريء على تراث أمتنا وصورة من صور وكفاحنا حتى يمكن أن نصل حاضرنا باعثينا وما سبقناها من جهة، وحتى تستطيع أن ترمي أيام إيماناً الطريق من جهة أخرى، فيختذلون من هذا الدور غير اساسياً يكشف لهم عن مشاعرنا، وبإسهامه على توجيه خطواتهم في المستقبل، وحتى يمكن أن تدرس من كل تلك القراءات ما يخص إيماناً حد كل تلك السبل المباركة من الأفكار التربية التي هي ستة فئات يأن تحصن بكل من لا يثبت أقدامه على قواعد مبنية من الإيمان باعثينا وما سبقناها من أعاد وحدوات.

و الواقع أن عمر العرب الصلبيين يمثل إحياءً للتراث العربي الإسلامي وحرما على النزول عنهما هذه التبريرات المذكرية الأدجنبية ، كما يمثل استئنافاً في

وحاول هذا الكتاب أن يبرز هذا الدور الذي كان لشروع المبادىء لترى كيف كان شرائع الجihad بيننون الجبروت، ونصر صون المسلمين على الجماد وقتل المسلمين كلارأوا انصرافهم عن الحق، أو تعرقون فيها بيتهم ، ومدى ما كان لقصاصات هولاء الشعراه من أثر مارز في إذكال الخيبة في نفوس المسلمين حتى استطاعوا فتحايد خطير بلا دم جانبا من المسلمين .
كما أن هذا الكتاب يمثل محاولة لربط بين شرائع العالم العربي الإسلامي في هذا المصير بصفة عامة، وبين شرائع الشام ومصر بصفة خاصة . وينظر هذه المحاولة ككيف أن عيارات الثقافة الإسلامية أخذت التحول إلى مصر والشام وكيف أخذت هذا التيار يزداد تأثيره حتى صارت الماهيمان ، القاهرة ودمشق ، تقدّما إلى عالمية الأديان في مصر الحروب الصليبية .
يُرى أن الشير إلى أن هذا الموضوع الذي أصدرنا له دراسته في هذا الكتاب موضوع يهدى الباحث فيه مفهوم غير بسيط ، لأن شرع هذا المصير لم يتوفّر عليه

جهود الباحثين كثأأن غيره من المؤمنون الأدبية ، إذ المعروف أنه ليس
لكثير من الشعراء الموجون في هذا العصر دواوين شعرية ، الأمر الذي
فرض على أن أجيوب الرابع العديدة ، وأن آخر في أعماله للآلة والأدب
كأقدم القاريء ، خلاصة لدراسة شعر الجماد في عصر من صدور الإيقاف
العربية الإسلامية ، عصر هُل الأدب فيه أيام أو تلك الأبطال الذين عاصروا
غمار الحروب الصليبية ، وأبلوها بلاد حسنا ، ووضعوا أساس العصبة الـ

العربي العميد ضد الصليبيين ، وخدعوا في التاريخ أجيادا بطلية في الكفاح ضد
الظاهرين ، كناسا هجده التاريخ والأدب ، وفقيت آثاره تتردد في جنبات الشرق
العربي ، وتناثر الأجيال أيامه في غرب واعتزال .

ولично أني نظرت في موضوع هذه الدراسة فوجئت أن إنشاء شعر الجماد
في عصر الحروب الصليبية ارتبط ارتباطا وثيقا بالعمر ، وباليدعوه الدين
أبدعوه ، وبما أ茅ط لهم من ظروف وملابسات ، فإن كل إنتاج أدبي يصطدم
بالتاريخ التي تعيها له البيئة ، وإن كل أدب يتأثر في إبداعه الذي أشد الآثار

بالنظر ، فللملابسات المحيطة ، والآراء والمعرفات التي وجدت وجنت

وسمى وبالتالي تميزاً مادياً عن الواقع الذي يعيش ، والأحداث التي توافدت

على شخصه ، ويعاول إظهار خصية هذه الفترة من الحقيقة الرمزية في أدبه .

لذا فإن تقسيمي الموضوع ارتبط هو الآخر بظروف العصر الصليبي

ومؤشراته العامة ، لتزما في ذلك الموج التاريخي وانفي في آن واحد . فن

خلال هذه الفترة الزمنية تبعت التحالفات الفتية لشعر الجماد يقصد فيه ،

وإدراك الآثار التي خلفها لنا شعرا ، العصر الصليبي ، ورد هذه الآثار إلى

وحدات مشتركة الطراز مع متلازمة الاميرات .

وكان تقسم هذه الدراسة عبارة عن أربعة فصول مسبوقة بدخل تمهيدي وقد جملت لكل فصل من الفصول موضوعاً وعنايا، تدرج تمهيد وتلتف حوله أفكار وموضوعات جزئية تلوي في موضوعها المدخل العام للعمل : وفي المدخل التمهيدي درست أسباب المزوب الصليبية، وذكرت فكرة مرحلة من أحوال الشرق الإسلامي عند بداية المزوب الصليبية، وذلك لكتف النقاب عن للإيات والظروي إلى سمات الصليبيين القيام بحملاتهم وتحقيق أغراضهم، ثم ذكرت أهم أحداث المزوب الصليبية في كل من الشام ومصر .

وفي قسم آخر من هذا المدخل التمهيدي وقفت عند الحديث عن آخر الفتوح الصليبي في نفوس العرب والمسلمين، إذ الواقع أن الفتوح الصليبي قد أثر تأثيراً فعالاً في جميع مناحي الحياة تأثيراً انكس بدوره على الحياة الفكرية والثقافية وصفة عامة وعلى الأدب بصفة خاصة، وقد انتجت هذه الملاحم شيئاً كثيناً في عوازل الأدباء، كتاباً كانوا أم شعراء .

أما الفصل الأول فكان يدور في أن يدرس بين دائريه نهضة مصر في مصر العروب الصليبية، وذكر تأثير الأسباب والروايات التي جعلت مصر ينهض في ذلك العصر نهضة تماثل نهضة العالم، والتي أرجعتها إلى ما يأتى :

١- الأحداث السياسية .

٢- تجميع الحكم للشعر والشعراء .

٣- النهاية بجمع الشعر ودراسته .

٤٠. **سکاره عدد الشعراء** .
٥٠. **الشعراء في العصر المبكر** .

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الأرض والفنون الشعرية التي لها علاقة بالجهاد في عصر الحروب الصليبية ، وذكرت أن هذه الأرض قد واكبت أحداث الحروب ، وعاشت أكثر من إنجازها ، واستمرت مع كونها وتمددها قرية مؤثرة حتى خرج الصليبيون منها من بلاد المسلمين .

وهذه هي أهم موضوعات شعر الجهاد التي ذكرناها :

١- شعر الدعوة إلى الجهاد .

٢- تصوير المأوى الضرير .

٣- مدح أبطال الحروب الصليبية .

٤- التأسف والتضر على ما أصاب المسلمين .

٥- النشر والخاصة .

٦- الإثاء .

٧- المحبة .

وقد حاولت أن التزم أثناء تحليل النصوص الشعرية بوجهة النظر الوافية وحاولت أيضاً أن أفسر النص الشعري على ضوء الظروف والملابس التاريخية وفي الوقت نفسه سعيت جهدي لأن أقف أمام عيوب النقد الأدبي لأحسو إلى عالم كل شاعر في محاولة لتحليل قيمة وخصائصه الفنية .

ودرسني في الفصل الثالث أحكام الناس والسمات العامة التي ي يتم بها شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ، ولفت الانتباه إلى أن شعر الجهاد يتميز بطبع عام يزيد عن غيره من الشعر لأن الشعراء شعوراً عاصياً تجاه ظروف

١- **الكتاب السادس** .
٢- **الكتاب السادس** .
٣- **الكتاب السادس** .
٤- **الكتاب السادس** .
٥- **الكتاب السادس** .
٦- **الكتاب السادس** .
٧- **الكتاب السادس** .
٨- **الكتاب السادس** .
٩- **الكتاب السادس** .
١٠- **الكتاب السادس** .
١١- **الكتاب السادس** .
١٢- **الكتاب السادس** .
١٣- **الكتاب السادس** .
١٤- **الكتاب السادس** .
١٥- **الكتاب السادس** .
١٦- **الكتاب السادس** .
١٧- **الكتاب السادس** .
١٨- **الكتاب السادس** .
١٩- **الكتاب السادس** .
٢٠- **الكتاب السادس** .
٢١- **الكتاب السادس** .
٢٢- **الكتاب السادس** .
٢٣- **الكتاب السادس** .
٢٤- **الكتاب السادس** .
٢٥- **الكتاب السادس** .
٢٦- **الكتاب السادس** .
٢٧- **الكتاب السادس** .
٢٨- **الكتاب السادس** .
٢٩- **الكتاب السادس** .
٣٠- **الكتاب السادس** .
٣١- **الكتاب السادس** .
٣٢- **الكتاب السادس** .
٣٣- **الكتاب السادس** .
٣٤- **الكتاب السادس** .
٣٥- **الكتاب السادس** .
٣٦- **الكتاب السادس** .
٣٧- **الكتاب السادس** .
٣٨- **الكتاب السادس** .
٣٩- **الكتاب السادس** .
٤٠- **الكتاب السادس** .
٤١- **الكتاب السادس** .
٤٢- **الكتاب السادس** .
٤٣- **الكتاب السادس** .
٤٤- **الكتاب السادس** .
٤٥- **الكتاب السادس** .
٤٦- **الكتاب السادس** .
٤٧- **الكتاب السادس** .
٤٨- **الكتاب السادس** .
٤٩- **الكتاب السادس** .
٥٠- **الكتاب السادس** .

ال المصر وأحداته ، ثم ذكرت تلك الحالات التي تبين شعر مؤلّف الشعراء من
شعر من عدم عن سبقوه أو عاصرهم ، وهي :

- ١- الحسنة للكذبة وحرارة الماء
 - ٢- يروز روح الجحود والقرفة والدمع
 - ٣- تسجيل الأحداث الكبيرة
 - ٤- الصدق الفتن في تقل التحصيرية
 - ٥- شخصيات عامة .

أما الفصل الرابع والأخير من الكتاب فقد خصصته الحديث عن الآثار
البارزة التي تركها الغزوين الصليبيين على الشعر، واستعرضت في هذا الفصل
أثر هذه الغزوين على المؤنثيات الشعرية من ناحية وعلى أساس الشعر من
ناحية أخرى.

و، أيدت أن الآثار التي أحدثتها العروبة الصليبية على موضوعات الشعر:

- ١ - كتابة الشعر في أرجاء العالم الإسلامي .
- ٢ - ظهور شعر الحكمة والتحريم .
- ٣ - ظهور الطابع الإسلامي في الشعر .
- ٤ - ظهور قرآن الدين ، ودين المتخاذلين .

وذكرت كذلك أن العروبة الصليبية كانت سبباً في انتشار الشعراء إلى موضوعات لها علاقة بوجود عدد المسلمين ، كسبت أيضًا في إدخال بعض الألفاظ على لغة الشعر ، ودرست كذلك في قسم آخر من هذا القبيل مذاهب شعراء العصر وأصحابهم الفتنية وبيّنت أن أم هذه الاتهامات هي :

١- آنفه السنة والديجع .

٢- الآنفه التقليدى .

هذه هي دراستنا في خطوطها العامة ، وقد أخذت فيها من كل ما كتب حول هذا الموضوع من قريب أو من بعيد ، سواء كان ذلك في كتاب أو ملقة أو في صحفة ، وكانت مصادرى الأولى التي اعتمدت عليها هي الحكيم الذى أرخت أديباً ل المصر العربى الصالحة ، وكذلك الكتب التي تعرضت لمصر العرب بمائة ، وشعر الجمادى صفة خاصة ، كما أخذت من المذاقات النقدية التي تناولت أدبنا القديم أو الحديث بالتحليل والتفسير .

وبعد فهذه حاولة لأرجو أن تثير حواولاً ، وأأمل أن تفتح أبواباً أخرى جديدة ، وأن يتطلع بها طلاب المعلم والمدرفة ، وأمل أن تكون قد وقفت في بعض ما زلته قصدت ، وأله الموفق وهو المأدى إلى سوا السبيل ؟

الدكتور

ملقاً صحيفي

المصورة في ربيع أول ١٤١١
اكتوبر ١٩٩٠ م

مدخل تھہ دی

* * * * *

- ١ - أسباب المحرر الصلبة .
- ٢ - حالة التفرق الإسلامي عند بداية المحرر الصلبة .
- ٣ - أمر المزد المصلبي في قبور العرب والصلبان .

* * * * *

١- أسباب الحروب الصليبية

للزاد بالحروب الصليبية هي تلك الحروب التي قاتلت بين المسلمين في الشرق الإسلامي وبين الصليبيين القادمين من أوروبا بهدف احتلال بيت المقدس وبلاد الشام ومصر ، والقضاء على الدولة الإسلامية من جهة ، ووقف الزحف والانشاد الإسلامي في أوروبا من جهة أخرى ... وهي حروب جمعت تحت راية الصليب جهاز جراره .

والحروب الصليبية هي حد قول أكثر الباحثين : « حركة كبيرة نبعها من الغرب الأوروبي المسيحي في المصور الوسطي ، وأخذت شكل هجوم حربى استهارى على بلاد المسلمين وبخاصة في الشرق الأدنى بهدف امتلاكتها . وقد انبثت هذه الحركة من الأوضاع التكبرية والاجتنابية والاقتصادية والميدانية إلى سادت غرب أوروبا في القرن الحادى عشر وأخذت من استفادة المسلمين في الشرق ضد المسلمين شوارا دينيا للتعبير عن نفسها تبريراً احتمالياً واسع النطاق » (١) .

وقد اتفق معظم الباحثين والمؤرخين على أن المدى من الفروقات الصليبية على بلاد المسلمين في الشرق إنما هو الاستيلاء على بيت المقدس ، والوقوف في وجه الرجوت الإسلامي الذي كان يغزو العالم . واعل منها هو السبب الذي جعل

(١) الحركة الصليبية ، الدكتور سعيد عبد الفتاح عشور : ١٦٣ / الأصول المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م

هذه الفزوات تصطبغ بصبغة دليلة وتكبر حروباً دليلة في متعلقاتها (١) وفي رأي أن المزوب العصبية أسباباً كثيرة . . . على أن من أهم الأسباب التي حلت العصبيين على حروباً بلاد الإسلام في المشرق ما يلى :

أولاً : الأسباب الدينية :

إن الأسباب الديبية هي الأسباب الأولى والأخيرة لذلك الحقد الصليبي وأن ما عدا هذه من أسباب أخرى مع حتها [ما] تتبع وتتفصل عن الأسباب الديبية، فالمعنى الأساسي للعلويين [ما] هو عداء للإسلام ومحاولة إقصاء على المسلمين.

وبحدثنا الشارح أن الحاج الذين كانوا يقدرون إلى بيت المقدس لزيارة قبر المسيح والأماكن المقدسة كانوا يعلمون معاشرة من الحب كأم المسلمين وحيث حكم الرذائل بيت المقدس أخذوا يعلمون مؤلاة الروابي معاشرة قاسية ، الآنس الذي اسكن عليهم بالآخر السبي ، وتأثر أيضاً اليابا ، إربان الناس ، حين أبلغ بهذه المعاشرة البيشة ، لاسيما وأن من قاموا بتوصيل ذلك إليه قد صرروا الآنس أكثر من حقيقة ، وهذا أخذ يدعوه إلى غرب بلاد المسلمين وهو رحمة احتلال بيت المقدس .

وحيث تم اجتماع الجميع الذي ينتمي إلى مؤتمر «كايرو موندي» خطاب البابا خطبة مشهورة دعى فيها أن المسلمين في بيت المقدس قد أعادوا تبرير المسيح، واستخلص البابا هذه الفرصة، وكأنه يريد أن يقترب من المسلمين آنذاك فأخذ

١) انظر المروي الصليبي في المشرق والمغرب ، محمد العروسي الطوسي ص ٤٠
نشر دار الكتب الشرقية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م

يحاول [يقاوم الشعور العداقي عند النصارى تجاه المسلمين ، كما يعتقد من الآماكن المقدسة هنا] دعوته (١) وقد حرض أشرف الفرسان من النصارى على حمل الصليب ، واستئناف مقدسات المسيحيين في القدس ومحاربها من المسلمين . وقد قال البابا في هيسو منه على المسلمين ، وفي إثارة الأحتقاد في نفوس الأوروبيين ودعوتهم إلى غزو أراضي المسلمين ، ومن ثم وعدهم جهور كثيف من جميع الشفقات أن يرحلوا إلى قسطنطين (٢) وتحقق من ثم رغبة البيزنطيين في مصر شركة المسلمين واسترداد مصر وأشام ، الواقع أن البيروت والرهبان قد ذكروا في دعائمهم للمرور الصليبية على الجانب الدين ، وكان لهم دور يارق في إلحاد حاس السنخ في أوروبا ، واستئنافهم لتعزير المقدسات من المسلمين هنا على الرغم من أن المسلمين لم يقفوا عقبة في وجه المسيحيين ولكلهم آثاراً لهم حرية العبادة والزيارة .

ثانياً : الآسباب السياسية :

لم يكن الحافظ الديني هو الدافع الأول والآخر وإن التزد الصليبي ، بل كانت هناك أسباب أخرى سياسية . إذ كان السلامقة الأراك يسيطرون سلطاتهم على بلاد الشام ، وقد اضطر أمراء طهور الروم ، الكيسيوس ، إلى دفع جزية المسلمين ، الأمر الذي جعل الأمير اختر ياجأ إلى الإيمان ، إيمان الثاني .

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الدكتور أحمد خليبي / ٥٤٠ .

النهاية المصرية ، القاهرة الطيبة الأولى ١٩٦٧

(٢) انظر تاريخ العرب ، مطرول ، تأليف فؤاد سعيد حتى وآخرين ٢/٧٥٢، ٧٥٣

مطابع المتقدور ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٦٥

يطلب منه المساعدة، وبصطره تجاوزة الأزرار (١).

ورغبة من البابا في توحيد الكنيستين ، الفرنسية والشرقية ، تحت سلطانه تجده يستجيب لهذا الطلب ، وأخذ من مزبدعو إلى الحروب الصليبية ضد المسلمين (٢) .

وع يكن أن يختلف إلى ذلك أن الأوضاع الداخلية في أوروبا كانت غاية في الانفلات ، وكيف فعل ذلك كل حارل الأوربيون أن يتحملا تحفظ غالال هدف واحد مفترك وهو عمارية المسلمين واحتلال بلادهم .

ثالثاً : الأسباب التجارية :

ولم تكن الأسباب التي مرت هي فقط الأسباب التي كانت من وراء هذا الفوز ، لذاحقيقة أن ملك أوروبا كانوا يطمعون في حماية الإسلام وكثرة الأمة العربية ، فقد كانت أمة متقدمة غنية ، فآنسوا منها خصماً وحاولوا أن يرثوا تلك الحضارة الزاهرة وذلك الفن العربي .

وهناك أهداف ، وأطاعات اقتصادية وتجارية تصل بحب الباردة والمالج في الترويج ، وهي حرص تجار العرب على إيجاد مواني ، تجاوزة لهم في بلاد الشرق على الساحل الشرقي والجنوبي للبحر الأبيض المتوسط كي يتم وصل أوروبا عن طريق هذه الموانئ ، ببلاد المسلمين في الشرق ، ولا يعن أن العالم

(١) انظر قصة الحصارة ، تأليف ول دبورانت ، وترجمة محمد بدريان ٤ / ١١
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر جامعة الدول العربية ١٩٥٧

(٢) انظر آخر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية ، الدكتور / عمار القاضي
ص ١٧٦ ، طبعة الامام ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤

الإسلامي آذانك كان يتحم بالرعيه والقدم والعلم، وكانت أول دبا تميّش في قفر وجبل ومضى وغیر ذلك. ومن ثم أخذ التجار بدورهم يبنانون أبوابا طالة للتحشم المعمورة لتلوك المفروش والتجميل بقيامها.

يؤكد ذلك أن المغاربة المسلمين حينها احتلوا مدينة دمياط في الحرب المصالية الخامسة عرض عليهم الملك الكامل أن يغسلهم بيض المقدس ويعظم مدن فلسطين على أن يرثوا عن دمياط وسائر للدين الساحليبة في مصر لكمكم رفضاً هنا المرسال الأسمى الذي يؤكد وجود المتصهين اليهودي عند العمار بين(1)

رابعاً : أسباب أخرى :

ولعل الناظر المدقق في الواقع التي كانت من وراء قيام الفتوح العلوي وبدء الغزو العلوي يدرك أن هناك أمكانيات أخرى غير تلك التي ذكرناها وأشرت ومن أم هذه الآليات أن تكون أكثر من هذه المخاطر إلى حدقت إلى الشرق الإسلامي [عند تدقق] ليه يتقصد الغزو على أساس أوربا من قحط وجوده ، هذا فضلًا عن القوضى التي سادت بسبب هذا القحط ، وهذا يعني أن الغزو العلوي [عما] كانت بدلًا من حرب أهلية يتناقل فيها الأعداء يوم مع بعضهم .

^١) انظر الشرق الأوسط والمرروب الصلوبيّة ، تأليف السيد الياساز العربي
طبعة تأليف ، القاهرة ، الشّرّق ، نشر الهيئة المصرية ١٩٦٣ .

٢) انتقال الحياة الأدبية في عصر المزروع الصليبي بمصر والشام ، الدكتور
أحمد أحد بيدهي ص ١٠ دار نهرة مصر للطبع والنشر الطيبة الثانية ١٩٧٩

٢ - حالة الشرق الإسلامي عند بداية الحروب الصليبية

لابد من ذكر فكرية موجزة عن أحوال الشرق الإسلامي عند بداية الحروب الصليبية وذلك لتبين الفارق والأسباب التي سهلت للصليبيين القيام بأغراضهم وتحقيقها دون آية مقاومة تذكر من المسلمين.

ومن المهم أن نذكر أن الأمة العربية الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري قد صارت سلسلة من عمود الضفتين والتفرعات لاقسم الدولة إلى عدد من الدوليات في أنحاء البلاد العربية الإسلامية شرقاً وغرباً، الآخر الذي أثر في حركة الحضارة وجعلها تطوى في تطورها.

والحقيقة أن عصر الحروب الصليبية هو عصر الجزر الإسلامي العربي ولابد من ذكره في منطقة الشرق الأوسط في مصر والشام والعراق، ويرجع هذا الجزر إلى عصبة عوامل كثيرة تتمثل بالضعف والتفكك والخلاف في المذهب الإسلامي، خلافاً سياسياً واجتماعياً وفكرياً وعندئذاً ، خلافاً عن الانقسام و«آلية الديريات»، فقد كانت تسيد على العالم الإسلامي والعربي عددة قوى: الدولة العباسية في سرايها وضمنها ، إذ كان خدامها لا ينكرون سلطاناً غرباً وإنما كانوا دمى من السلطة الدينية، وكان هؤلا السادات لا ينتهي بدداد والإسلام الفريدة من الشام والدولة الفاطمية في مصر.

وفي مصر كان من كبرى المؤلفات الفاطمية الشامية ، وكانت هذه المؤلفات مديدة، وكان الحكم لايسعون إلا في مصالحهم الخاصة ، وكانت الأحوال الاقتصادية والمعيشية مصطنعة باستنطاف الإسراف البالغ والبذخ الذي كان فيه

الخلافاء ورجال الدولة ، فائز هذا في ثورة مصر وجيشه ، ولم تتمكن بطيئة
الخال من الصمود أمام الجيوش الصليبية .

وفي بغداد كان من كث الخلافة البواسية ، وقد سيطر الإمبراطور السلاجقة
على الخليفة ، وأصبحه كل الأمر بأيديهم ، ولم يكن الخليفة سوى السلطة
الإسمية فقط .

وغير ذلك أن يقول إن الخلاف بين هاتين الخلافتين كان على أشد
وكان هناك صراع مستمر بين الخلفاء ، وكان كل خليفة سريعاً على استفاد
كل مالدي الآخر ، ويمكن أن يقول إن الصراع قد وصل إلى درجة قصوى
داخل الخليفة نفسه ، والذي يدل على ضعف المسلمين وتفكيرهم وبعدم من
منابع قيادتهم ما ذكر من أن المسلمين الواثقين تحت حكم الصليبيين كانوا
يتعاملون معاملة أفضل من معاملة المسلمين الواثقين تحت حكم إخوانهم المسلمين (١)
وفي الشام تعددت مناقشة إلى ولايات صنفية ، ولم يكن لأى حاكم علاقة
بالحاكم الآخر إلا إذا كانت هذه العلاقة علاقة عداء وكرامة وطاعة
ولعل هنا هو السبب الأول الذي جعل مدن ساحل الشام تسقط الواحدة تلو
الآخرى في أيدي الصليبيين الفزاعة ، على الرغم مما أبدته هذه المدن من رسالة
في الدفاع وصلابة في المواجهة .

وهذه هي أهم أحداث العروبة الصليبية في كل من الشام ومصر (٢) :

١) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٧٥ دار صادر بيروت ١٩٦٤ م

٢) قدمت الخلة الأولى عام ٤٩٠ هـ ، وكانت الثانية عام ٥٤٢ هـ ، وكانت الثالثة
عام ٥٨٥ هـ ، والرابعة عام ٦٧٥ هـ ، الخامسة عام ٦١٤ هـ ، والسادسة عام
٦٦٦ هـ ، والسابعة عام ٦٨٨ هـ .

أولاً : في الشام :

ما هو معروف أن الصليبيين أفرجوا بيت المقدس لسبعين يوماً من شعبان عام ٤٩٢هـ بعد حصار له دام وقتاً طويلاً، وقد استطاعوا أن يفكوا إمارات صلبة في بلاد الشام مثل إمارة الرها وإماراة أطاكية وإماراة بيت المقدس، دون أن يستطيع الشام أن ينهض بذاته، الداعي لها، وقد فعل هؤلاء الفرسان أفعالاً شديدة بال المسلمين، وعمدوا بعذابهم على الأسلاميين في بلاد الشام، ويزورون القرى والمدن، حتى لا يقتات المدن المفتوحة على أيديهم لأموال معارف من أثوان التخريب والتدمير، ونال سكانها أقسى ماباين القتل والتجزيف، وكان الصليبيون يرددون يومياً أن يبرأوا الرعب في أشنة المسلمين، وبنشروا الفزع في صفوفهم، ولم يتم لهم عن أعمال التدمير والتخريب في المدن أنها كانت قد وصلت في ذلك المهد إلى أوج عددها، وليس على مقدار حقد الصليبيين على المسلمين ما ذكره ابن الأثير يصف فيه المذبحة في أيام الصليبيون بال المسلمين، والتي راح ضحيتها عدد كبير من أئمة المسلمين وعلمائهم وعياديهم وزعاديهم (١).

والواقع أن المسلمين قد استمرروا في غسلهم وعياديهم وتنافرهم وتشتتهم، حتى ظهر عز الدين زنكي، وكانت من أحسن المؤوك سيرة، ومن أرقاقهم بالمائة، وكان فضلاً عن ذلك كله شجاعاً مقداماً لدرجة جعله يدرك أهمية اتحاد المسلمين، وقد بذلك الشيء التكثير في سبيل ذلك وارتفاع أن يجمع

(١) انظر الكامل لابن الأثير ١/٢٨٢ بيروت ١٩٩٩، وانظر أيضاً قصة الحصار

ال المسلمين حوله ، وأن يستمدهم ويستثمر محيتهم ، وأن يزيد من حامتهم
للحجاد في سبيل الله .

ولم يقف عاد الدين عند حد مقاومة الصليبيين ولكنه أخذ بسرقة
ما ملكوه شهراً شهراً ، وتمكن بفضل ذلك من الانتصار على الصليبيين . ففي
سنة ٥٣٤ هـ استطاع أن يستولى على « حصن بارين » وعلى « المقرة » و « كفر
طاب » وفي سنة ٥٣٩ هـ استولى كذلك على مدينة « الرها » (١) .. وليس على
ما لاحظه المراقب من أهمية وخطورة ، الأمر الذي جعله يهدى المسلمين الثقة في
أنفسهم من جهة وبكسر شوكة الصليبيين المزارة من جهة أخرى ، ومنع ذلك
فلم يجهوه القذر فقد استشهد في الليلة الخامسة من شهر ربيع الأول عام ٥٤١ هـ
وبعد وفاة عاد الدين هيا الله سبحانه وتعالى رجالاً مؤمنين عظيمين ، فقد آتى
القسم الشرقي من دولته عاد الدين إلى والده سيف الدين ، وأآل القسم الغربي منها
إلى والده نور الدين محمود ، فاتفق أثر والده ، وكان نور الدين يتوفى حامسة
ونجاعة ، وكان كل منه إشراح الصليبيين من بلاد المسلمين ، وأن يوحى
المسلمين ضد الصليبيين ، شاهد دمشق مرتين : للمرة الأولى في عام ٥٤٦ هـ
والمرة الثانية في عام ٥٤٩ هـ واستطاع في هذه المرة أن يتحقق طموحه وأتى
باستولى على دمشق (٢) باستولى من ثم على حصن حاصد عام ٥٥١ هـ

١) الروزندين المقتصى / ٣٤ - ٣٦ - دار الجليل بيروت بدون تاريخ . وانظر
عن ثباته عاد الدين : البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢١ / ١٢ . مكتبة النصر
باريس و مكتبة المدارف بيروت ١٩٦٦ م .
٢) انظر ذيل تاريخ دمشق لأبي بعل القلاطي ص ٣١٥ مطبعة الآباء =

وعل بنياس في السنة التي تلتها (١).

وقد عمل نور الدين بذلك على ضم مصر إلى دولته، وجرت معاونته الأولى في ذلك عام ٥٦٩ كي تتحقق الوحدة الكبيرة بين بلاد المسلمين. ومع عدم تمكنه من تحقيق هذا الحلم أثناء ذلك إلا أنه قد استطاع تحقيقه عام ٥٦٦ وذلك في معاونته الثالثة. ومن ثم نجده يحاول بالاتفاق مع صلاح الدين الأيوبي الحصول على بيت المقدس إلا أن هناك طرفاً حالت دون تفويت ذلك

ثم توفي نور الدين يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٩ (٢).

في هذه الأونة كان هل صلاح الدين أن يهدى الدولة وغزير بلاطه الصليبيين من جهة وأن يقمع صنوف المسلمين وبعيداً ليهم التجمع من جهة أخرى غزير من مصر عام ٥٧٠ فاصداً دمشق ثم استولى هل حصن وجاه وعسكت كذلك من الاستيلاء على مدينة حلب، فوحد بذلك بين القصرين ودمشق وحلب وثم لم ير أداء من تحقيق الوحدة الإسلامية بين مصر والشام (٣).

ويمد أن فرغ صلاح الدين من توحيد البلاد الإسلامية أخذ يولي وجهه تجاه حصار الصليبيين أنفسهم والسيطرة دون معاولهم الاستيلاء على مكان الكرمة والمدينة المنورة، ظهر حينها قرباً وانصر به إلى الأردن لملأهقة

(١) البيهقيين بيروت ١٩٠٨ م والنظر أيضاً: نور الدين محمد، الدكتور / حسين مؤنس ص ٤٤ . الشراكسة للطباعة والنشر مصر ، الطبعة

الأولى ١٩٥٩ م (١) الروزندين ١ / ١٥٤ .

(٢) الروزندين ١ / ٢٢٨ .
(٣) انظر الحركة الصليبية الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ٧٤٢

الصلبيين، ولم ينطلق صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد ويوحد صفوفه
وألاكتئب معنى بناء التصارعاته، وأخذت مدن العدو تسقط في يده الواحدة
على الألآخر، وانتهى الجيشان في مكان يدعى «حطين»، ووقفت الوالدة قبر
البيت المارق \ominus من دفع الأول عام ٦٥٣ هـ وغُنِّمَ الملون بفضل وحدتهم
وتصديتهم على الخسارة وبفضل ذكاء قادم صلاح الدين أن يتصرف على
الصلبيين وأن يأسروا عدواً كثيراً من فرسانه وقواده.

وما أن سقطت البلاد البيضاء بالقدس حتى شر صلاح الدين من ساعد الجد وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه . والحق أن انتصار المسلمين في حطين كان مقدمة لفتح بيت المقدس لأن الفزارة الصالبيين قد جعوا في هذه الموقعة التي خسروها خيرة فرسانهم ولم يبق لديهم عدد آخر يستطيع أن يهاجم صلاح الدين في حربه التي سيثبتها قصيدة الاستيلاء على بيت المقدس .

ثم أتى بهم صلاح الدين إلى بيت المقدس عام ٥٨٣ هـ وبدل الصليبيون كل ماء يكثّهم من أجل الإبقاء على بيت المقدس، وحين قيام البيشان وأدرك الصليبيون أنهم أضعف من المسلمين وأنهم للهزيمة أقرب منهم إلى النصر أرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون الأمان فأجابهم لئلا يذلّ ذلك مقابل قدرية يهدّدهم سوتها، وبذلك حقق القائد العظيم لل المسلمين انتصاره في تاریخ الغرب العلیویة، وحيث أنه أخرج النصارى من بيت المقدس، ليس هنا ثقب بل إنه يجهزه هذه قدّه ليأمن باقى مجده موافقة الرب و الخروج بالصلبيين من أرض المسلمين دون مقاومة لذلک.

وبعد وفاة صلاح الدين (٢٧ صفر ٥٨٩هـ) عاد الضيف إلى حفوف

المسلمين ، وتفرق كلّهم وأختلف حكامهم . لكن الله سبحانه قد هيأ للسلفيين الظاهر بيروس الذي استطاع بفضل الله وقوته أن يطرد البلاد الإسلامية من رجس الصليبيين ، إذ قام بالاستيلاء على صورتهم واستطاع أن يستولي على إمارة أسطاكية التي كانت تهد أول إمارة صلبيّة أُسست في أخنة الأولى وكان سقوطها مقدمة لسقوط الكيان الصليبي في الشام وإعلان انتصار كالمجاهد التي شنت المباييك ضد الصليبيين والتي بما أضواه على القايم الصالحيه من الشام (١) . ثم استول الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاون على معظم مدن الساحل عام ٦٩٢ وعُتّق عام ٦٩٤ من أحد بعض المدن من الصليبيين ، وبهذا يمكن أن نقول إن دولة الصليبيين في الشام قد انتهت لخاتمة بذلك حقبة من حلقات الاستهثار الأولى ولبطء آخر جندي صليبي (٢) .

ولا يفوتنا دور العلاء الخصين الذي دعموا آل الجياد وأبظهوا الآلة الإسلامية من سباتها ، بل وشاركوا في الحروب ، كما لا يفوتنا كذلك دور الشمراء الذين شاركوا بتصديهم الفصيدة على الآخرين ، وجدير هنا أن نقول إن قصائد هزالة الشمراء كانت ذات أثر في الحروب بل وفي عصرها ذات الأمر كاملاً .

(١) انظر الظاهر بيروس للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٧٢ ، سلسلة أعلام العرب ١٤ ، مطبعة مصر بدون تاريخ .

(٢) انظر مصر في المصادر الوسطى من الفتح العثماني إلى الفتح العثماني للدكتور / علي إبراهيم حسن ص ٢٦٦ . مطبعة الاتحاد ينصر ، نشر مكتبة الهيئة المصرية ١٩٤٧ .

ناتيأً : في مصر :

والحق أن مصر لابن احتلال الصليبيين للشام لم تكن على حال يسمح لها بأن تتعرض بدورها في المنطاع عن الشام ضد الخلافة الصليبية .

وقد أدرك الصليبيون أن تجاهز نور الدين الخرق في الشام لم يترك لهم مجالاً للترسخ في هذه البلاد وأن الطريق الوحيد المفتوح لهم [إذا] هو في مصر نظراً لضعف الكثافة الفاطمية التي كانت فيها آنذاك .

وفي سنة ٥٦٤ قام ملك بيت المقدس «غورى» بذرو مصر ، لكنه سرعان ما انتسب منها بعد أن اضطر إلى ذلك ، وفي سنة ٥٦٥ أرسل نور الدين قائد شيراكوه ليضم مصر إلى الدولة الإسلامية ، وتمكن شيراكوه من هزيمة «غورى» ، ملك بيت المقدس ، ولما حاول ملك بيت المقدس الاستيلاء على القاهرة عام ٥٩٤ نجده لا يتمكن من ذلك ، وعن يده تمكن ملك بيت المقدس «خنادي برين» عام ٤١٥ من دخول مصر وعاصمة دمياط والاستيلاء عليها وذلك بفضل مساعدة الحركة الصالحية الخامسة التي قدمت من أوروبا عام ٦١٦ (١) وبعد ذلك اتجه الأوروبيون إلى القاهرة وعندما وصلوا إلى المتصورة القراصنة المسلمين وكانت من ثم هزيمتهم والتنت هاجتهم بالفشل الذريع .

وفي عام ٦٤٢ تمكن المسلمون من استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين ومن ثم تارك تارة الصليبيين مرة أخرى ، وظهرت دعوات أخرى تدعو لحملة

(١) التحريم الراوية لابن شرقي بردي ٣٤ / ٣٤ وزيارة الثقاقة والارشاد القرى

في مصر ، بدون تاريخ .

صلبية جديدة على العالم الإسلامي ، وقد بين الملك « لويس التاسع » هذه الفكرة ، وبعد تفكيره رأى أن يتجه أولاً إلى مصر ثم بعد ذلك إلى الشام واستطاع لويس أن يستولى على ديارط عام ١٢٤٧، ثم آتاهه إلى القاهرة ، وعند النصورة نُسِّكَ الملك بقيادة بيروس من هرقلة ، وانته了 الحلة السابعة من حملتهم (١) .

و هنا سؤال لا بد من طرحه وهو : ما هي النتائج التي حققتها المروء الصليبية ؟ وفي الإجابة على هذا السؤال نقول إن هذه المروء قد أخفقت أخلاقياً تماماً ، فالصلبيون لم يتمكنوا من تحقيق أي هدف ، إذ هادت القدس إلى المسلمين ، واستردت التغور الإسلامية كلها وأصبحت في أيدي المسلمين . وبإمكان أن نضيف إلى ذلك فنقول إن حماة المسلمين وائهمهم للجهاد ، وابتهاج مصلحة الدين الإسلامي على مصالحهم الخاصة ، وتنزيه اخراج الصليبيين من بلادهم ، والتباكي حول القادة المسلمين الذين قادوهم إلى الجحود . .. كل هذه الأمور جعلت الصليبيون يتحققون تماماً في تحقيق أي هدف من أهدافهم .

و يجب لأنني كذلك أن المسلمين كلما تابوا خلاقياً ، وكلما أخلصوا في أعمالهم فسيحانه عليهم لا بد وأن يتحققوا التصادرات بقدرة على الصليبيين وعلى العكس من ذلك فهم إذا تفرقوا واحتذروا فإنه سيحل بهم الدمار

١) النظر تاريخ المروء الصليبية تأليف سليمان رسميان ، ترجمة الدكتور / السيد ش باز العريبي / ٣٤٢ ، ١٩٧٤ ، مطبعة النبوي بيروت ، الطبعة الأولى ونشر دار الثقافة سنة ١٩٦٧ م

والملاك .

وكان من نتاج هذه الحروب أن تحس الشعراء والخطباء ، وشاركت
بعصائرهم وخطبهم ، وكان من نتاج ذلك معرف بأدب الحروب الصليبية ،
وهو أدب ملزوم مؤثر ، ويظهر في جملة من الشعر الخالق الذي يبعث المم
ويديع إلى الجهاد والقتال ، وقد برز في هذا العصر شعر الجهاد كظاهرة
عامة شاعت قرى في إذ كاء روح الجهاد بين المسلمين .

٣- أمر الغزو الصليبي في قوس العرب والمسلمين

بدأت الغزو الصليبية في أواخر القرن الخامس المجري ، وقد تمكّن الصليبيون في عهدهم الأول من الاستيلاء على مدينة الرها وجعلها إمارتهم الأولى ، وقد توغلت جماعة منهم جنوباً فاستولوا على أنطاكية وأسوسوا لشكون الإمارة الثانية ، ثم واصلوا انتصاراتهم فاستولوا على يافع القدس ، وكان لسقوط يافع المقدس أمره الكبير في تحول مجرى الحوادث وفي يقظة الروح القومية عند المسلمين .

يقول الشاعر أبو المظفر الأبيوردي (١) بصف تفرق المسلمين واستيلاء

١) الأبيوردي هو أبو المظفر محمد بن أحد الأبيوردي « نسبة إلى بلدة أبيورد في مقاطعة آصفهان تلك التي ولد فيها » وكان ينسب إلى ابن أمها وبعد شمس ، حتى أنه كان كثير الاعتزاز بنسبه هذا في شعره ، كاكان دائم العنبر ببروبته ، وقد انتقل إلى بغداد ، وأخذ يتصل بالخلفاء والوزراء ، وأصبح من طبول شعراء مصر ، وقد لقب « بالمنى الصغير » ولد ديوان من ثم حفظه الدكتور عمر الأسد ، ونشره في مجلدين كبيرين . كان الأبيوردي من الشعراء الذين يتجهون نحو الشعر العربي القديم في الصياغة والمعنى جيداً ، وقد غالب حب البايدية على نفسه ، وكان شاعراً طموحاً يذكرنا بالمتين في روح تصانيمه . « انظر من يدا من ترجمته في : وفيات الأعيان ، مجمع الأدياء ، شذرات الذهب ، العبر ، الواقع بالوفيات ، وانظر الجزء الأول من ديوانه » .

الصليبيين الفراغ على القدس الشريف عام ٤٩٢ هـ (١) :

من جنا دماء بالدموع السواجم
وتدمر سلاح للمرء دمع يهيفه
[ذا المقرب شبت نارها بالصوارم
وقائع ياخذن الدرا بالمناصم
وكيف تسام العين ملأ جفونها
على هفوات أبقيت كل نائم
ولإخواتك بالشام يعني مقابله
تسوهم الرؤوم المهومن وأنسم
وكم من دماء قد أريخت ومن دمي
يحيى السيف اليعزى عمرة الظبا
وبين اخنادس الطعن والضرب وفقة
وتلك حروب من يصب عن غمارها
سلط بأيدي المشركون فرواها
يقاد لها الرلدان شيب الفرادم
يسلم يقعع إمسدها من نادم
ستفند منهم في القاع والنجام
يندى يأعلى القبور يا آل هاشم
رماسهم والذين واهي الدعائم
ويحثثون النار خوفا من الردى
أرضي صناديد الأئرب والأذى
ويقعن على ذل كفة الأعاجم

... لخ ...

وبعد مر ك القدس توالى انتصارات الصليبيين وهزموا المسلمين ، فأخذوا

(١) ديوان أبيوردي ، تحقيق الدكتور / هاجر الأسد / ٢٠٥٦ ، ٢٠٥٧ .

• وبالاحظ البداية والنهاية / ١٢٥٦ / و الكامل في التاريخ / ١٠٢ / ٢٨٥ .

الصلبيون يستولون على المدن الساحلية مدينة تلو الأخرى ويسكتوا من السيطرة على الشام ومن الحكم في مساقط العالم الإسلامي إلى الترب.

وكان لا ينكر من أن يبدأ للصليون بمحرون بالحسرة لثالث المراحل للنهاية ويشعرون بالأسى لاستيلاء الصليبيين على أجزاء من العالم الإسلامي ، ولما أذاقه لل المسلمين من قتل وغريب ، وقد دفعهم هذا الشعور إلى محاولة المقاومة والبطاع ورد المتصيبيين .

وما كاد القرن السادس يقترب من منتصفه حتى هب الصليبيون العدة للتحرير من المدوان الصليبي ، وقتلوا من ثم دعواتهم أشرف على القبة والملائكة في الرواسيم الإسلامية ، وأخذوا يدعون إلى التجمع وإلى تبيان الخلاطات والاطماع الدنيوية والزاج الذي كان سببا في الفرقة والضعف .

والحقيقة أن العالم الإسلامي آذاك كان في حاجة إلى تغيير الأمر ، والتولد الذين كانت تتشعب بينهم الخلافات الشخصية والتي كانت تتبع الفرق المذهبية الصليبية أن يفتح المدن ويستول على المحسون والقلاع كامر الحال في مرحلة انتهاكية (١) تلك التي كان تفرق الكلمة وعدم الوحدة وعوارلة الانقسام أثر كبير في المراحل التي لحقت بال المسلمين فيها .

ويبلغني أن ذكر أنه كانت هناك ردود فعل قوية تجاه هذا النزوح الصليبي وبدأت حركة هذه الردود في إظهار آثارها وكانت غزوة عاد الدين التي ينتصها استعداد لها ، وكان هذا التوطّد ذات قوى في نظم الصليبيين لطمة عنيفة ، كما كان تذيرا باختلال تقوفهم وتقلص طفهم ، كما كان حافزا لل المسلمين

١) انظر الكامل ١٠ / ١٨٩ .

من ناحية أخرى يشحّهم على كفاح الأعداء ومتابعة طردهم من الأراضي الإسلامية، ويزيد من حاسمه، وقد بلغ الحاس الدين مبلغه عند العادة كآخر من تلك الآثار وكرد فعل لها.

ولم يلبث عاد الدين كثيراً، فقد انتقام عليه عند قتله بمحور، وقد أعقبه أئمته نور الدين محمود، والحق أن نور الدين قد لعب دوراً عظيماً في معارك ورد الفعل الإسلامي، وكانت آثار كبيرة في تجمع المسلمين، واستطاع بشكل أو بأخر أن يمثل البطولة الإسلامية المنتشرة فكان دائم الاستعداد للحرب وقوية المسلمين، إذ كان يتفق الأموال الطائلة على السلاح، وكان يبيح القلاع والمحصون والأسوار والقرى، وقد خاض عدة معارك ذات أثر وأمتدت إلى يسط سلطانه على جزء كبير من الشام، وأن يبت الرعب وإاطمئن نفوس الصليبيين، ومع ذلك كان غل نكن منه نور الدين سهلة ميسورة، إذ أخذت موجات الصليبيين تقدم من جديد وبخاصة بعد استعادة الرها، وقدتمكن نور الدين من استرداد دمشق دون قتال وذلك بمساعدة نجم الدين أورب وأسد الدين شيركونه، وتم أسر جوسيبي أمير الرها، وبهذا ألم نور الدين فتح القدس خاض عدة معارك استطاع بوجهها إجلاء الصليبيين عن مصر وبذلك دخلت مصر الحرب الصليبية بكل قوتها، وكان صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع ببطوله السياسية والخırية أن يجمع العالم الإسلامي، وأن يحول الميزان إلى نصر، وكان لانتصاره في حلبي، واستيلائه على بيته المقدس دوراً هاماً هلكت له جنوب المسلمين، وتزدادت في آنماقه أصناف البشار وفتح الشرم، وطبع الخطباء.

وقد وصل خالقاً صلاح الدين من ملك الدولة الأيوبي في مصر والشام
سياسته في حرب الصليبيين ، وقام الصليبيون من جهةهن وفي عهد آخر ملوك
الأيوبيين بزيارة قرية على مصر في عام ٩٤٨ هـ عرفت بحملة لويس التاسع تلك
فرسا ، وقد هاجروا ديماتيا ، ثم تقدمو إلى مدينة المصورة حيث اقيمت
الجيش المصري بقيادة تور الشاه ابن الملك الصالح أيوب ، وتم القتال سر
المسلمين ، وتم كذلك أسر لويس التاسع ، وأودع في دار ابن الظاهر بمدينة
المصورة .



الفصل الأول

أولاً : الأحداث الياية .
ثانياً : تشجيع الحكم للمرء والمراء .
ثالثاً : الشابة يجمع المرء ودرسته .
رابعاً : حكمة عدد المرأة .
خامساً : الأساليب اليدوية .

كما شهد مصر المزبور الصليبية تعاورات سياسية واجتماعية شديدة كذلك نهضة أدبية حقيقة لأن الأدب جانب من جوانب الحياة، ومن الصعب أن تصور تضليل المصري في جميع الجوانب وركوده وتأخره في جانب واحد هو الأدب، ولا شك أن مصر قد أبدعه وأفادت منه دعماً ودعم تجده آثاره في النهضة الأدبية تلك التي يكتبنا التعرف على بعضها من النقاط التالية:

أولاً : الأحداث السياسية :

إن «مصر المزبور الصليبية» مصر يغير بأن تحدث فيه نهضة أدبية قوية، إذ شهد هذا المصر عددة ظواهر جذيرة بالتجويف والدراسة، وربه حدث تطورات سياسية هامة سادت مصر من مبتداه إلى نهايته، فالأحداث السياسية فيه والحياة الاجتماعية التي سادت فيه، كل هذا كان له أثر في الشعر، [إذ لربه] بلوغ مصر ووصلته بزواجه.

فالأحداث الدينية التي شهدتها مصر، وقد حل في البلاد الإسلامية عدو ينشر الفرج والأضلال، وهو لا يكتفى بغير عبي أمراء البلاد العربية وتقويمها . وعلى الجانب المقابل كان أعمالاً للبلاد التي غزاهما الصليبيون يتصررون غيطاً على أوطانهم التي اغتصبها الصليبيون، ولذلك أخذوا يحمرن قواهم، ويوجهون صرفهم، ووقفوا لهذا العدو يدقونه حيناً وبغير عن عليهم حيناً آخر .

كما شهد مصر في مصر والشام دولات ودول وتشاء منها دول أخرى، وملوكاً يزول ليحل محله آخر، وعقارب دينية تسقط ثم تثبت أن تياراً يحمل علىها هناء آخر، وليس من شك في أن هذه الأحداث قد انعكس في الشعر

و عمل و قاتمها . هنا من جهة ومن جهة أخرى فإنها تثير المواقف ، و تثير مختلف الانفعالات ، و تدفع إلى ظلم الشعر بل إلى الإجادة فيه .

و قد شهد هذا العصر أحداً سياسية بحمل الشعر و قاتمها :

فهذا هو الوزير المصري ، وهذا هو مركب في آخر مصر الدولة الفاطمية وقد كان أحداً يترصدون به الدواز لكي يتصرفوا ملكة ، ويسليوه سلطانه و منهجه ، والوزير جمال كل ذلك لا يخرج من أن يستخدم كل ما في يده من قوة للstalk بأعذنه . وهذه صورة الشعر تربصادي المقصودة بين الوزراء الفاطميين الفاطميين مثل نمام السلطان وبين الحافظين عليهم الفاطميين فهم والناقوس لهم ، والوزراء جمال هؤلاء يتجاذبون إلى استخدام العنف والقسوة للحافظين سلطائهم .

بعد القاضي الفاضل (١) بعض ذرءة الدولة الفاطمية

(١) أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي الجدعى بن الحسين بن الحسين الشعوى البىانى . ولد ببستان عام ٩٢٩هـ ونشأ بمصر وتعلم ، وانتشر بالدرس والأدب والسائل ، وكان كاتباً بارعاً ذهراً ، واستطاع أن يلى بعض المناصب العامة في «دواوين الفاطميين» ، وقد أستدله العادل بن الصالح بن دزيلك الوزير الفاطمى ديوان الجيش عام ٩٨٨هـ كما ذكر عارة البىان «الروضتين» ١٣٠/١ طبعة مصر ١٢٨٨هـ ، وقد تولى الكتابة لصلاح الدين ، وصبه في وقته الزلمة ، وقاد مصر إلى الشام عام ٩٨٦هـ ، وكان أستاذ الكتاب والبلغاء في مصر ، وله نظر لكتبه لم يرق إلى مرتبة رسائله يقول ابن حمزة المورى عنه : «كان نظير القاضي الفاضل وحدة الله وثراه»

فيقول (١) :

سيقت رؤوس أعادكم بأيديهم
مقرب حقدنا الترثي والحب
وَمَا أَسْتَمْ عَلَى أَعْدَاءِ هُوَنَاكُمْ
هذا الناس لَا يَمْدُ ما كَبِيرًا
لَقَنُومُ مُشَاهِمُ فِي تَرْفِيمِ
وَالْقَوْمُ مَا ارْتَقُورَا إِلَّا إِذَا مَلَيَا
لَا يَرْقُبُوا فَسِكْمَ أَنْ تَنْتَابَ نَائِبَةَ
إِنْ يَمْدُكَ مِنْ أَصْحَارِ الْرُّوبِ
لَا يَصْبِرُوا مَلَكَ أَنْ رَأَيْهُ مُحَكْتَبَ
فَلَبِسَلَهُ كُلُّ مُغْرِرٍ قَلِيلٌ لَهُ
بِرْغَمِ فِي سَوْيِ أَرْبَابِ أَرْبَابِ
وَكَانَ الْخَلَاصُ الَّذِي جَرَى بَيْنَ خَلَفَيْهِ، الْفَاطِمِينَ وَوَزَارَتِهِمْ صَدَاءَ فِي
الْعَصْرِ، فَقَدْ اسْتَبَدَ الْوَزِيرُ الْفَاطِمِيُّ أَبُو هُلَيْلِ الْأَفْعَلِيُّ بِالْمَأْمَلِيَّةِ، وَاسْتَبَدَ
بِكُلِّ السُّلْطَةِ مِنْ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ، بَلْ إِنْ اعْتَقَلَ الْخَلِيفَةَ الْمَأْمَلِيَّ، وَأَخْسَدَتِ
الْفَتْنَ تَصَادُعَ فِي هَذَا العَصْرِ حَتَّى تَسْبِيَتْ فِي قَتْلِ الْخَلِيفَةِ الظَّافِرِ.

يقول الشاعر ابن أبي أسد بنى على الوزير ناصر بن عباس هذا الفعل :

الشيخ (٢) :

وَأَنْفَقَ مِنْ إِنْدَامِهِمْ فِي هَلَكَمْ « وَأَنْظَرَ مَانِدَ كَافَ عَنْهُ يَنْأَفَ
وَمَدِ يَدَا كَدْ طَلَوْلَهَا إِلَيْهِ « وَجَلَتْ بِأَهْلِ الْفَصَرِ مِنْهُ الْبَوَاقِنِ
سَقِّ رَبِّهِ كَأسَ الْمَنَابِيَا وَمَا انْفَضَيْ « لَهُ الْشَّهْرُ إِلَّا وَعَرَ لِكَأسَ ذَائِنِ

== كَفَرْمِي رِهَانْ وَلِكَنْهُ نَفْرَ أَكْلَهُ عَنْهُ نَظَمْ، ثَمَرَاتُ الْأَوْرَاقِ ص ١٥١ طَبِيعَةِ

مَصْرُ ١٣٠٠ م.

(١) ديوان القاضي الفاعل، تحقيق وشرح وتقدير د/ أحد أحد بدوي ص ٤٦

(٢) الروضتين ١ / ٩٨ مطبعة وادي النيل بمصر ١٢٨٧ م.

وحيث وللوزارة شاور السعدي في أوائل الدولة الفاطمية تمهيداً لمحاول
أن ينفرد بكل السلطان في الدولة، ويأخذ يستعين بنور الدين محمود لاستعادة
مناصبه التي كانت قد سلبته منه، وما أن تحقق له ذلك حتى أظهر السعدي
لذوي الدين، بل إنه أخذ يستعين بالفرج محل التخلص منه، واتي الأسر
ويقتله وبشرى أسد الدين شير كوه الوزارة.

وكرد فعل ذلك أقبل بعض الشعراء بهجون شاورا وبصفته بالفن در وعالية الفرج أعدوا اللاد. فإذا هو المداد الكاتب (١) يأخذ برسخت بشير كوه وزيرا، ويستبشر بهذه الرذالة في التصر على الفرج واسترداد بيع المدقق.

يقول جندي، أسد الدين شير كوه (١) :
 بالجد أدركك ما أدركك لا المحب
 ك واحدة جنت من دوحة النعيم .
 ففتح مصر ، وأرجو أن تصير لها
 مسيرة فتح بيت القدس من كتب
 في سكرنا ما يه الإسلام هناك حي
 ففمك فيهم مقام الوالد الحبيب
 بما دعاه فقد باتوا على ثواب
 وكم قضيت لحرب الله من أرب
 من شهر شاور أخذت العياد فشك
 هو الذي أطمع الإفرنج في بلد الإسراء
 لأن حرمي سعوا لقصد والطلب
 في الشرم من أهل الطاعات والقرب
 و يقول الفاضل الفاضل قصيدة طولية يصور فيها عودة أسد الدين شير كوه
 بعد أن أقبل الفرج إلى مصر لينصرها وشاورها ، ومنها (٢) :

للق العدا بالعدا ، حدث به عيناً . أَنَّ الْمُهْدِيَ خَدَمَتْ فِي تَغْزِيرِ الْمَلِبِ
 وَسَرَّى سَقْطَ الْمُلْكَةِ الْمَالِكِيَّةِ فِي مَصْرَ وَعَادَتْ مَصْرَ إِلَى الدُّوَلَةِ الْمَالِكِيَّةِ ،
 كَانَ هَذَا يَدُّمَّ أَمَّ الْأَحَادِيثِ ، وَقَدْ أَنْهَا الْمَهَادِيَ الْكَاتِبَ قَصِيدَةً جَيْنِيَّةً فِيهَا

= بالسلطان صلاح الدين في دمشق في السنة نفسها وظل يلازمه في تنقله ،
 وبعد وفاة السلطان وولي إله الأفضل الأسر في دمشق أقر المحاديل [أشار]
 إلى الكتب دينا ، وظل يدرس في مدرسته المعاذية في دمشق إلى أن ترقى بها
 عام ٥٩٧ هـ انتظار الروحتين لأبي شامة / ٢٠٩٠، ٢٩٦، ٢٠٩٠، ٢٠٩٠، ٢٢٥ / ٢ و ٢٢٥ / ٢ .
 طبعة مصر ١٢٨٨

(١) الروحتن شباب الدين ١/٥٩١ دار الجليل بيروت .

(٢) انظر القصيدة في ديوان الفاضل من ٤٦ وانظر أيضاً الروحتن ١/٤٣٢

نور الدين والخلفاء العباسيين في بغداد . ومن هذه التصييدات (١) :
قد خطبنا للستعره بصره نائب المصطفى لام الم Crosby
وخذلنا لصورة العهد العادى ، والقادر الذى بالنصر (٢)
وأشمنا بها شمار بن البا من فاسيدرت وبرهه النصر
وركنا الداعي يدعوا ثورا . وهو بالذال تحت حجر وحسر
واباهع شابر الدين بالخطبة قباخش فى الرعن مصر
ولدينا تضاعفت قلم الله وجلت عن كل عزه وحسر
فأندى الدين ثابت الرحمن فى مصر مخاطب اخي مصون الفخر
واستشارت عزائم الملك البا دل نور الدين الكريم الاغر
عرف الفتن أهل مصر وكابوا قبده بين منحصر ومحصر
والذى يدعى الامامة بالفقير امرة العطاف فى خفين القبر
ما يقام الامام إلا يحيى . ما يقال الحسين إلا يحيى
خلفاء الحدى سراة بن البا من والطيبين أهل الظاهر
بهم الدين ظافر مستقيم ظاهر فرة قوى الظاهر
وما أن يترقب العائد حتى يغنى الشمراء بشمرون بالدولة التقدمة
ويسترشون بتوحيد البلاد تحت حكم الخليفة الياضية ، وبطال الشمراء
للراون للأميرين من جهتهم يدمون رجال الدولة الفاطمية وعيودها ، وقد
يحدث أن يرد على هؤلاء الشمراء من هو باق منهم على الولا ، للقاومين .

١) الروحين فى أحجار الدولتين ١ / ١٩٨ دار الجليل بيروت .

٢) يريد بالعهد فيليب وزير بغداد عهد الدين .

وقد أشاد الأديب ابن أبي حمينة بن يحيى بن الدين أبيب والدصالح
الدين أبيانجته فيها بسكنى أحد قصور الفاطميين «الرازوة» فقال (١) :
 يا مالك لا أرض لك طربا
 منها وما كان منها لم يكن طربا
 قد عمل الله هذه الدار تسكتها وقد أعدد لك الجلسات والعزف
 شرفت بك عن كان بسكنها فليس بها العزف وإنليس بك الشرعا
 كان بها صدقا دار الرازوة وأنبه بازو سارت طا الصدقا
 وقد رد عماره الجني (٢) على هذه الآيات بأبيات قال فيها (٣) :
 أنت يامن جلا السادات والخلفاء وقلت ماقتها في ثابتهم حفظا
 جعلتهم حفظا جسلا بازاوازة والعرف يدار بالسكنى الرازوة الصدقا
 وزاغ هي دار حل جسمورهم فيها وشف فأنسناها الذي يوصها

١) محارات من ديوان عماره الجني ص ٢٩٣ طبعة مدينة شالون ١٨٩٧ مع
كتاب التك التعمري في أخبار الورزان المصرية.

٢) ولد حلبة في الجني بين قرمان العرب تسبباً ليداً ونهم وحافظوا على لغتهم
وهو مثل قشعر الإيماء إلى القديم، فشعره جيد وصين، قوي الأسلوب
وهو ينبع في شعره نهج أبي قام ولاته، وكان فاطمي المولى، وقد روى
الفاطميين بقصائد كثيرة تهدى من الروح شعره، وبعد أن انتهى ملكهم
وزالت دولتهم، بعدها تبرأوا إلهاه وأخذوا دينه وبعدها على غزو الجني
٤) ديوان شعر حلبة يذكرنا بشعراء المصدور الزامرة، وقد توفى عام ٩٦٩
ـ داجع الروضتين ١ / ٢٢٨-٢١٦ مصر ١٢٨٦

٣) محارات من ديوان عماره الجني ص ٢٩٢

فقال : لزوة غيرها زجتها
وكونها حوت الآثار والثرة
في سكانها الآلات إذ سكناها
فيها ون قبلها قد أكثروا الحسنة
والجور الفرد نور ليس يمر به
من الهرة إلا كل من هرها .
لولا تسمى فيهم إسكن عسل
نصف البصائر للأوصار مختلفاً
فالكلب باكب أثني مثل معرفة
لان فيه حفاظاً دالياً وروقاً
والحقيقة أنه يطول بها للقام لوحاؤنا وصف كل ما كان من أمر الأحداث
السياسية في مصر .. وحسبنا أننا أشرنا إلى أن الشعر في عصر المماليك
الصلبية قد تكون بكل هذه الأحداث السياسية .

ثانياً : تشجيع الحكم الشعري والشعراء :
كان عصر المماليك الصليبية عصر إحياء الفكر والثقافة الإسلامية والمرية
كما كان عصر إحياء أبي ، وتمثل هذا الإحياء في تهذيب الأدب بصفة عامة
والشعر بصفة خاصة والاهتمام بالأدب والشعر وتقديرهم الشعرا ، والحق أن
الشعر في هذا العصر كان رائداً للناس جميعاً ، وقد مكنت غيرة الشعراء على
أوطانهم وديتهم ، ولذلك لم يدخل عليه الحكم بكل غال أو قبيح ، وأخذوا
يتجهون للشعراء ويتبايقون في تقديرهم ، بل إن كثيراً منهم قد سموا إلى
أن يكونوا شعراً .

والحق أن العصر الصليبي كان عصر امزانياً للأدب ، فقد أحب الأدب
الخلف ، والملاطين والملوك والأمراء والعلماء ، وكان الحكماء واجهون العلة
والأداء وحصلون من باليهم حلقات لأرباب المعرفة ، كما حرصوا على اجتماع
الشعراء وأغذتهم أنسنة فنانيهم وتدبر إلى مساعدهم .

وقد حاول كثيرون من أولئك أن يكتنوا من بين الأداء، وبعدهم أدى أن يقولون إننا لا ننكر تعدد ساكنة من حكام مصر : خليفة، أو سلطاناً، أو ملكاً أو وزيراً لم يفصح صدره بالشعر، وإنما، أحياناً، دعوا حاف شعر الشعراء. يضاف إلى ذلك أن الحكام كانوا يعيشون الآباء، وكانتوا يرثون الشعراء ويعملون من بعدهم حلقات يتصدون فيها إلى شعرهم، وكانتوا يتدفقون العطايا على الشعراء، وقد أجهزوا عليهم أرزاقاً ثانية وجعلا لهم مرتبات يتضادون بها، وكانتوا يتأثرون بالشعر ويذار قيمهم، وكان كثيرون منهم يفرضون الشعر ويمني بنطمه. وقد تتج عن ذلك أن ازداد اهتمامهم به وربما به وتقده (١)، وأخذوا يعتقدون مجالس الشعر به في مجالسهم، بل إن طرولة بعض الحكام كانت تدفع بالشعراء إلى الالتفاف حولهم التقاطاً يذكرنا بال HERO المأهولة للشعر العربي.

في ظل الخلافة الفاطمية كان إنشاد الشعر بين أيدي الخلفاء مظيراً من مظاهر القوة والسيطرة التي كانوا يحيطون عليها، وكانتوا يعيشون على الأدب وبعملية الشعر مجالس يتصدرون فيها إلى شعرهم وبتصدون إنتاجهم وبكتلتهم على مقدار جودتهم، وكانتوا يتأثرون بالشعر، وبعدهم أن يقولوا لهم، كانوا ينتهزون وسيلة للطاعة ولنشر مبادئهم والترويج لعقائدهم، بل إن بعض الشعراء، كان أشد ما يكون حرصاً على أن يروجوا مفاسدهم، فيما أثأروا من شعر، وقد وجد كثيرون منهم في الشعر متنفساً يروجون فيه بعض آراءهم، ويسرون إليه بتعلمساتهم وعلم وحاجتهم، وكان الوزراء، الفاطميون يدخلون

(١) انظر التحريم الزاهرة لابن تغري بردي هـ ١٨٣ طبعة مصر ١٩٥٣ م ١٣٥

الشعر وسيلة لمناصرتهم والدعاية لهم، وقد أسلوا أنفسهم بعلقة من المثقفين

للمتأذن في الأدب، وكان ولا بد أن يأخذ هؤلاء الوزراء أنفسهم بإقصان
هذا الفن حتى يمحوا بين أروان النعوق.

ومن الشواعر الذي نسبت لها للالة على اهتمام المخلص بالشعر وعلى تصريحاته
الشعر، ما جالت في عهد الخليفة الفاطمي الآسر باحشام الله من أنه كان يكافئه

الشعراء على قدر إجادتهم القول والتعبير فيما ينشئون (١).

ويحيى عماره الذي صاحب كتاب «الكتاب المصري» أنه قد وجد إلى معاشر
في ديوان الأول عام ٩٠٠هـ وائل الخليفة بهما آنذاك هو الفاتح بن العاشر، وكان

وزيره هو الملك الصالح طالع بن زريق، وأنجح أحضر السلام على الخليفة

ووزيره في قصر الخليفة أندحها بهذه أورطا:

أحد للبيس بعد العزم والطم، وهذا يقون بما أوات من التم
ثم يقول إنه قد أقضى عليه خلع منهبة من ثياب الخليفة، وأن الصالح

دفع له خسارة دينار، ثم أخرج له خسارة دينار آخر (٢).

وقد اندى وزراء الدولة الفاطمية وولاتها بالخلافة في إجازة الشعراء
والإغراق عليهم، ولا سيما أن هؤلاء الوزراء في مصر الذي جرت فيه

الطربوب الصليبية كانوا أهم المحكم المأذقين في معظم هذه الحقبة من الزمن
وكان بعضهم شاعراً يندوّن الشعر ويقرب فاتحه ويتوجه، وكان منهم من له

ديوان شعر.

١) انظر خطاب الفقيري / ٢٢٩ .

٢) الكتاب المصري في أخبار الوزراء المصريين من ٣٢ طبعة مدینة شالون ١٨٩٧ .

ونج هذا النج الأوربيون (١) ، من بعدم حين آل إليهم الأمر في مصر والشام ، فلم يستطيعوا أن يتخلوا عن الأدب والأدباء ، ولا أن يتركوا أماكن عليه حال الأدب من تشجيع في العصر الفاطمي ، فهم ليسوا أقل قدرًا من العرب في هذا الشأن ، ولم يكتفوا راضين عن أن ينظروا إليهم هل آثيم أقل ندوةً لهذا الفن الخالص من العرب الذين يقدروه ويعزفون «كانته» ، فلا غرابة إذن أن يحرصوا على أن يحيطوا أنفسهم بما اعتمد حكام العرب أن يحيطوا أنفسهم به من أدباء وشعراء ، وأن يجلوا هذا الفن ويأخذوا أنفسهم بمحاباته وقرنه .. يضاف إلى ذلك أن في الشعر دعابة يثبتون بها ملوكهم وقراطدهم عروشهم ، وهو وجده كثيف لأن يتردى الرسالة التي يريدونها من شعوبهم كما أتيه برون أن الشعر كثيف لأن يتردى في نفس رسالاتهم الحب والولاء لهم .

ويمدثنا ابن خلكان عن علاقة صلاح الدين بالشعراء فيقول : إن أحد الشعراء أنشد صلاح الدين شعرًا يقول فيه :

أقه أكهر جاء القوس بارجا ورام أسمه دين الله بارجا
ظافيتضت عليه مطابا صلاح الدين . وكان أن أعطاه ألف دينار (٢)

١) انظر أدب الدول للتذكرة عصور الرئيسيين والأوربيين وللآليات ، للدكتور عمر موسى باشا ، والحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، للدكتور عبد الطيف حزرة ، وانظر كذلك : الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي ، لكتاب محمود مصطفى س ٢٧٤ وما بعدها . نشر دار الكاتب العربي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .
٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٥ للطبعة اليمنية ١٣١٠ هـ .

ولم لا يكون كذلك؟ وقد رأى مؤلِّفُهُ السلاطين حين نصبوه أئمَّةً للجهاد ضد الصليبيين أن الشعُر الذي يتحدث عن الجياد [أي] هو موقد الحمية في نفوس المسلمين، وهو يacute على هُم مسلِّي الائتلاف في الجياد واسترداد بلادهم للنصرة، وكان كبار الدولة يدركون كذلك ما في الشعُر من أثر بالغ في النفس فنطرب له، وتمثُّل لهناه.

ومن أثر الشعُر في تقويمهم ما يروي من أن معركة دارت بين صلاح الدين والفرج بقرب بياس سنة ٦٧٩هـ واتصرَّ فيها صلاح الدين، وكان عن أبي فيها أعظم البلاء عن الدين فروخ شاه ابن أخي صلاح الدين، متاثراً بالشعر ومدفوعاً به، فقد سُكِّنَ أنه قال: ذكرت في تلك الحال بيقي المتبني وما: فإن تسكن الدرباب قسماً فلنهاه ۚ ۖ ملِّن يرد للرُّؤام شهولٍ ومن هون الدنيا على النفس ساعةٌ ۖ ۖ والبيض في هام السكاء صليلٍ فهان المُرْت في عين فَالْقِيَتْ نَفْسِي إِلَيْهِ (١).

ويذكُرُ التاريخُ أن كثيرًا من حكام مصر كان لهم تعارفٌ في الأدب وكثيراً يتظلون الشعُر ويُمْنون به، إذ كان للأمر نظمٌ ونظم في الأدب، وكان الأفضل بن يدر الجزايري شاعرًا، وكان همام وزير الحافظ شاهراً كذلك، على أن من أطعم وزراء العهد الفاطمي الأخير حفظنا من الشعُر هو ملائخ بن وديك وزير الفائز والماضي، وكان همام وزير الأخد بنظام لأورشات الجديدة (٢).

١) الكامل لابن الأثير ١١ / ٢٠٦ الطبعة الأولى ١٣٠١هـ.

٢) انظر مذاج من أشعار مؤلِّفه في الروحتين «الجزء الأول»، والتجمُّع «الإهارة، الجزء الخامس»، وخطط المقريري «الجزء، إن الثالث والرابع».

ويرى المقريزي شعر الامر بعدنا فيه عن عمدة على المبراد ، والداعي
إلى بندادكي يوحى الصف ، ويجمع الشمل يقول (١) :
دع الاسم عنك لست مني بعشقه « فلا بد لي من صدمة المتحقق
وأحقني بجاذبي من فرات ودجلة » وأجل شبل الدين بعد التفرق
وي逞قول (٢) :

اما الذي حرم على ركين بيته .. جرائم دميان ، ملائدة سببا
لاتهمن الحرب ، حتى يقال له : « ملائكة زمام الحرب فاتحون الحربا
وينزلن دوح الله » هبى من سرم .. فيرى على هنا حسنا ، وترى على به حسنا
وقد تشبه حكم ووزراء الدولة الابوية بسلمهن من خلفاء ووزراء الدولة
الفااطمة ، ويذكرنا كذلك أن يقول إن الشعر قد جرى على ألسنة كثيرة من
أبناء الأسرة الابوية . إذ كان يورن ايلوب « أخو صلاح الدين » شعر
بليل ، وهو نماذج كبيرة من شعره أو ودعا له صاحب التحريم الرازحة .
وكان صلاح الدين يحب الشعر ، ويستحسن الجيد منه ، وكان يحفظ كثيرا
من أشعار الحلة ، وكان يتعذر بهذه الأشعار في مجلسه . يضاف إلى ذلك أنه
كان يدرك ما الفرق من ثالثة في الفتوح ، ولذلك كان يقابل به مع غيره ،
وكان يبيأ به رسائله .

ولعل الذي يدل على تأثير الشعر في نفس صلاح الدين ماراوي من أنه كان يقول في ملأ من الناس: «لأنفينا أني فتحت بلاد بيسونيك، ولكنني فتحتها

بعلم القاضى القائل (١) .

ومن ذلك ما ذكر من أن سيف الإسلام ملائكتون أخا صلاح الدين كانت نفسه تتطلع إلى الدين وبخاصة بصفة مسند موت أخيه شمس الدولة، ف وأشار إلى ابن الحسين أن يفرض قصيدة يضمنها هذا المطلب، وأن ينشدتها ويسعها صلاح الدين، فأذنَّ الحسين قصيدة كان منها:

جرب لها السيف المثقب ففتحه • فالسيف لا يدخل سر لا للشن
شد به أذر المثلا ، فإنه كـ قلم فني من فرع الجود ، ومن
السائل للسمع في مقالاته • والصادق الندب الآتيين الرعن
فلا يسمع صلاح الدين هسنة القصيدة أذن لسيف الإسلام في المدير
لولالية اليمت (٢) .

وكان للأفضل وغازي « أبي صلاح الدين » شعر حسن ، وكان فرد من شاعر بن شاهنشاه أدبياً شاعراً ، وكان شعره جيداً إذا قيس بالشاعر المماليك ، وكان نعمر بن شاهنشاه ديوان من الشعر ، وكان هرام شاه بن فروخ شاه من أشهر الشعراء ، وليوسف بن محمد بن غازى صاحب « عاكف حلب » حبيب غازى ، شعر جيد في الخراب الذى تلقى بطبع سهل من علىها التار ، وكان للملك الكامل ديوان من الشعر ، « بل إننا إذا استمعنا كتاب « الروحاني » و « التجور » الظاهرة ، و « فرات الرقيات » و « خطاط المقريزى » لوجدنا أن كياب الأمراء والوزراء في عصر الدولة الأيوبية كانوا يتظلون الشعر ، وكانوا يدركون

١) شذرات الذهب للحنين ٤ / ٣٢٧ طبعة القاهرة ١٣٠٠ .

٢) الروحاني ٢ / ٢٦ - بحثة وادى التيل بتصدير ١٢٨٧ .

ما للشعر من أثر بالغ في النفس ، كما هو الحال دون في تأثيرهم به دون قوة
ومصدر إقدام .

ومن معرفتهم بتأثير الشعر في التفوس مارواه ابن الأثير في الكامل (١)
من أن شمس الدولة نوران شاه بن أيوب ملك اليمن قدم إلى دمشق ، وحين
سمع أن أماء صلاح الدين قد ملأكتها اسبابه الخذين إليها ، ففي وطنه وملحق
أربابه ، وكان من أمر ذلك أن هارق اليون وأخذ في المسير إلى الشام وأرسل
وهو في سيره إلى أخيه صلاح الدين عليه بقدومه ، وكان ما كتبه في كتابه
شعر من قول أبي النجم المصري يقول :

وللصلاح الدين الشاعر أنى من ينده معنى الجماع مواع
جزعاً بعد الدار منه ، ولم أكن لولا هراء بعد دار أحسرع
فألازكين إلى منه عزائي وبخب في ركب الغرام وبروض
ولاقضت من التهار هراجرأ قلب التهار يصرها يتقطع
والأسرين الليل لا يسرى به طيف الخيال ، ولا البروق الملم
وأنفسن زليق على خبرنا أني بحسبي من قرب أنسج
حتى أشاد منه أسد طائفة من أقصى صبح المسادة يطلع
ولم يقف حالم عن حشد حب الشر وتقديرهم لتأثيره في التفوس
ولكتفهم كانوا يندونه ويدررون جيده من رديته ، وكانتوا يعتقدون بحال
الاستئصال لما أنشده الشعراء في المناسبات العامة والأحداث الجارية ، وكنت

هذه المجالس تتفقىء في المأذائق الدائمة التي تقيمه الدولة (١).
وكانوا ي bindActionCreators مجالس أدبية متفرعة ، يشهدون الشعر ، ويستجرون من
حضر من الشعراء ، وكانوا يطالعون من الشعراء القول في أغراض ومسان
بهمها . ويحكي أن صلاح الدين الأيوبي حين قاتل بيت المقدس عقد جلسا
وأخذ يستمع فيه إلى فضائل الشعراء التي ثقلت في هذا القسم المظاهر (٢) .

كذلك لم يستطع سلاطين البايليك أن يخلو عن هذا التقليد ، وللأسباب التي دعتهم إلى تشجيع الأدب هي بعضاً الأسباب التي دفعت الأديوبط إلى هذا التشجيع ، فهم بذلك يترقبون إلى الإشادة بما ترجموا من إنجليزية ولهذا شجع بيروس الشهرا ، فافتقر حره ، وفتقدوا بهاده وإصلاحه ، وألقى به في ذلك قلابرون وابنه الآخر خليل .

ومن يستمر في الاتساعات السكرى التي كانت في عصر الملوك يدرك
عندى ما كان للشعر من مكانة مرموقة ، ويقف بنفسه على تلك المجالس التي
كان يعقدها الأشرف بن فلاون والى كان يطارح فيها الأذواق بذوق رائق
وذاك كل مفترض (٢) ... ويجير بالذكر أن يقول إن بعض المؤرخ المعاولون
وأمثاله قد أثروا في الأدب وبحسبوا على التأليف فيه (٤) .

١) بداعي الإله للأزدي ص ٢٢٤ مطبعة يلاقى ١٢٧٨

٢) الوضعيين ٢ / ٩٦ مطبعة وادي النيل، مصر ١٢٨٧

٢) انظر السلوك لمعرفة دول الملوك للقرن الـ ١ ، تحقيق الدكتور / محمد صدقي
زيادة / ٧٩١ طبعة القاهرة ١٩٣١ م .

^٩) انظر المختصر في أخبار البشر لأبي القدا ٣ / ١٢٥ . المطبعة الحسينية بصر الطيبة الأولى .

وأياماً كان الأمر فإن عصر المروءين الصليبيين كان عصرًا مواتيًا للأدب
بصفة عامة وإشعر بصفة خاصة ، وقد أحب الأدب خلقًا ذاوه ، وسلامته ،
وعلمه ، وأسراته ، دونه رأوه ، وولاه ، وعلّاه ، بل إن مولاه جسماً قد
ساوروا بهكل أو بالآخر أن يكتوّا من بين رجال الأدب .

فإنما : العناية بجمع الشعر ودراسته :

لاشك أن إنتاج الشعر في عصر المروءين الصليبيين قد غمز وآخر ناطعوه
وكثرت كذلك في هذا العصر العناية بجمع النصوص الأدبية بصفة خاصة ،
ونجح المتنق من بينها .

وقدرأى بعض الجامعين للشعر أن يتوجه إلى اختيار الآذاج الرفيعة من
التراث القديم ، والتي هي كعبية ينتمي إليها الإنسان وتمذيب البيان . وأنمه بعضهم
إلى لون من لون الأدب والشعر ما يتصل بعكارم الأخلاق والتي هي حلقة
والاتداء . وأثبتت طائفة أخرى إلى مختارات من الشعر الشمراء ساقين
لتكون هذه المختارات ذخيرة أدبية صالحة لأن تُستنق من الماء والآثار
من جهة ، ثم التعرّف بالآباء ، عن طريق هذه الآثار (١) .

والواقع أن الذين عثروا بجمع شعر التراث القديم قد اكتدوا إلى حد ما بن
سيفونم في هذا الشأن منذ القرن الثاني الهجري فاختاروا بباروة وأئمـا من
دواوين الساقين (٢) . وكان من الذين عثروا بجمع ماقررق من شعر الشاعر

(١) انظر بقية الورقة في طبقات التفريين والنحساء السيرفي من ٣٩٨ مطبعة
السعادة ١٣٦٦ هـ . (٢) انظر وفيات الأعيان ٢ / ١٥٩ وانظر

مجمـم الأدباء لياقوت ، نشر الكتروني / فريد رفاعي عام ١٩٢٦ م / ١٥ / ٨

ووضعه في ديوان ماقبل البداع عبد الله بن الحسن المنوق عام ١٥٣٤، إذ جمع
شهر ابن الخطاب ودوره وربته على التوالي.

ووقف بعض الجامدين عند حد ما قبل من شهر ، مثل ذلك كتاب
«بدائع البداع»، الذي جمع أخبار الشعراء في البداع والارتفاعات والمحاسن
الحسام في مفاتيق الإسراف والإهمال^١ .

ونها عن البعض بجمع ماقبل سر من شهر العاشر وضعه في ديوان تحدى
البعض الآخر يقف عتبة جمع ما قبل من شهر في منح شخص بعينه
أو آخرين بأعيتهم ، أو أسرة بعينها ، بينما ذلك تجلياً للغافر وتجيلاً
للمساء . وكان الذي يختار يقف عند حد اختيار المترقب الظوي البليغ . وأهل
لاختيار هذه الملاذ في آخرين بأعيتهم أو أسر بعينها دخلوا في اختيارها
جزلة واحدة ، قال أحد من هؤلاء ، كان ينادي بين اختياره عن أن
يكتبه دراسة الترثيب الشاذ أو القائم .

ذلك في الحقيقة بعض هقام به الأدباء آنذاك من جهود في جمع الشعر ،
أو ما قام به الشعراء من جهود في جمع دواوينهم الشعرية ، لدرجة تجعلنا
نقول إن هناك العديد من الدواوين الشعرية قد جمدت في ذلك العصر ، ولو أن
هذه الطريقة قد اتت عد كل شاهر لسابعة شهر كثير من الشعراء ، ولما
تفرق في كتب الأدب والتاريخ ، وإنما الأدب والتاريخ من ذلك إلادة كبيرة .
وكما هي الأدلة في ذلك العصر بجمع الشعر محمد بن علي كبرى كذلك بدراسته
ما ورثه من أدب ، ظهرت من ثم كتب عديدة ظفرت بالشرح والدراسة

^١) بدائع البداع للأزدي ص ٣ .

والخلفاء، وكان من بين هذه الكتب «الخاتمة» لبيك بن أوس، إذ كانت له مكانة خاصة في نقوس الأدباء، وقل أن تجد أدبياً عمره قرابة الخاتمة ولم يحفظ منها كثيراً، بل كانوا يستقلمون بأبياتها في كثيرون ورسائلهم، وبما في ذلك كتاب ديوان أبي الطيب المتنبي^(١) (١) والذي لاشك فيه أنه كان لهذا الديوان التصنيف الأكثير من نهاية وأهتم المدارس برمضان فكان عدته الأدبية وزاد الشعراء يستقلمون منه كل طريف يطبع، وقد وضعت الشروح والخواصي عليه، ولا غرابة في ذلك فالمنبي كان ينظر إليه في ذلك المصر على أنه شاعر عبقري، وكان له آثر أثار في شراء ذلك المسر، ولعل تأثراً بصلبيته أثرها في ذلك، إذ المعروف أن جماعة قبره من شعر

التي قيل في المعاشر التي دارت بين المسلمين والروم.

وكان عاصمتهم به الناس كتاب «مقامات الحسن» ريري، إذ كان يحفظها الأدباء والملايين^(٢) (٢)، ويرجع اهتمامهم بها إلى أنهم كانوا يرون فيها أكلن تصوير من روحيهم، وكانت المثل الأعلى لكتاب الحسن شراكاً كان أميناً حسب ذوق المصر، وهي تعبير من حما لغويها، وتبعري آبرابا في التصور واللغة، وقد وجدها إليها الشراح همهم ففضلوا بعد إجلالها، وعلقوا عليها، وزادوا فيها.

وكانت هناك نهاية بشرح الدواوين ودراستها تهدى عاصمة أخرى بالقصائد المشبورة، إذ أقبل البعض من علماء المصر على شرح بعض هذه

(١) انظر وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٠ - ٤٥١ طبعة معن الدين، ١٩٥٢ م.

(٢) انظر المصدر السابق ٤ / ٢٣ طبعة معن الدين.

القصائد، كقصيدة ابن دريد، وقصيدة بنت سعاد ولامية المـ رب
وغير ذلك.

ولم يقف الآخر عند هذا الحد، بل مهدت طلاقة من الماء، ثم عمّت خبراء الشهراً، وترصدوا على ذلك من آثارها، أو مارأوا ذلك من تلك الآثار، وقد اندلعوا في ذلك من سبقهم من العادة الذين جعلوا خبراء العالياً، وعزموا طلاقتهم، وكان ألم ماطر في ذلك كتاب الجوزة الخطيرة في شراء العذراء، لابن القطاع السقلي، وكانت الطرب من أشجار أهل المغرب، لأن الخطاب عمر بن دعية السكلي، وكذا يجمع في ذكر شراء العين لعمراء العين.

ووقف البعض بجمع طلاقة من الشهراً بمقدمة أمم عالي، كما فعل على ابن يوسف الفقطي في كتابه الخدرون من الشهراً وأئمه راهم، كما وقف البعض الآخر عند جمع الشهراً الذين يحتملون مدحه واحد، وذلك كما فعل يحيى بن حميد حين جمع شهراً الشيعة في مجمع (١).

ووهناك من وقف في دراسته عند تحصية واحدة يجمع أشياءها، ويروي
أشياءها، وينقل خلفه وأراء الناس في حلسته، ويروي معيون شعره في
خلاف الأغراض، ويسعد بنى بيدي ذلك كله الواقع والمناسبات التي قبل
فيها هذا الشعر . وهنالك كذلك من يقف في دراسته عند تفاصيل معين أو عند
عمق معين كما هو الحال في مجمع الآدباء لياقوت .
أما في عالم التقدّم فقد ظهر كتاب «نظم الدر في تقدّم الشعر» وهو لم يلـ

^{١)} انظر : القاطبيوت في مصر ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٢٩٩
المطبعة الاميرية ١٩٣٢ م.

ابن الأعمايل بن أبي راهم ٦٣٣هـ وظاهرت مختصرات الكتب القدمة، كما
حدث في « تحرير الأغانى » لابن واصل الحسوى، وفي « مختار الأغانى »
بلال الدين بن مكرم .
ويتبين أن تغير أبها إلى أن من أيام الأعمال الأدبية التي تمت في ذلك
النصر هو نقل « الشاعرية » تلك التي حكتها الشاعر الفارسي قردوسي
عام ٤٠٠هـ إلى العربية، وكان هذا من أجل الأعمال .
واباً : كثرة عدد الشعراء :

امتناث هذه الفترة التاريخية بكلمة ما أتيحت من شعراء في مصر والشام (١)
فالذى لاشك فيه أن عدد الشعراء قد كثر في مصر الحروب الصليبية كثرة
ملحوظة ، بل إن من بين شعراء هذا المصر شعراء كانوا معالم في طرق الحياة
الأدبية في مدى قرون من الزمان ، ويعنى تأثير في أصحابهم تأثير الحياة
الأدبية في هذا المصر ، كما أنه كان لظروف المصر أثرها في أنها جعلت الشعر
لم يهد قاصرا على شعراء لدفع الغربتين ، وإنما حولته لم يشكل أو باخر
من روح الحياة .

ولا أجدنى مغاليا إذا قلت إن الحياة الأدبية كانت على أشدّها في
المאהيين : القاهرة ودمشق ، وأن هاتين المدينتين قد ثانتا الرعامة في مصر
الحروب الصليبية في مجال كثرة عدد الشعراء ، وكانت للراواك العلية فيها

(١) انظر الحياة الأدبية في مصر الحروب الصليبية يصر والشام ، الدكتور
أحمد عبد بدوى ، وانظر كذلك الحروب الصليبية وأثرها في الأدب
العربي في مصر والشام ، للأستاذ محمد سيد كيلاني .

بِحَالِ الْذِيْجُوْعُ الشَّعْرُ وَرِتَبَهُ مَا كَلَّهُ لَأَرْهَادَهُ . لَمَّا هَنَّا غَسْبُ بْلَى إِنَّ الْأَقْالِيمَ
الْآخِرَتِيْ قَدْ طَافَتْ بَطْبَبُ لَا يَسْبَبُ شَفَّ الشَّعْرَاءَ ، وَكَدْ اجْتَمَعَ هَوْلَادُ حَوْلَ حَوْلَ حَوْلَ .

حَكَامُهُدَّهُ الْأَقْالِيمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِالسَّلَاطِينَ .
وَمَعْنَى أَنْ تَشَوَّلَ إِنَّ أَعْظَمَ الْأَدَاءَتِ تَشَوَّلَ فِي ذَلِكَ الْعَصَرِ ؛ وَكَانَ مِنْهُمْ
مِنْ يَتَحَدَّرُ مِنَ الْمَرْبَبِ الْمَلْصَنِ ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَتَحَدَّرُ مِنَ الْأَسْرَارِ أَوِ الْأَكْرَادِ
أَوِ الْقَبِيلَ ، وَكَدْ تَمَدَّدَ أَرَانَ هَزَلَاهُ الشَّعْرَاءَ وَخَلَقَتْ مَذَاهِبَهُمْ ، فَنَشَرَهُمْ
جَمِيعُهُمُ الشَّعْرُ وَسَهْلَهُمُ بِهِ عَمَّا يَحْوِلُ فِي تَقْوِيسِهِمْ مِنْ عَوَاقِفٍ وَأَسَاسِهِ
لَا يَطْلُبُونَ عَلَى شَعْرِهِمْ مَسَالَا وَلَا جَزَاءَ ، وَهَزَلَاهُمُ الشَّعْرَاءَ مِنَ السَّلَاطِينَ
وَالْمَلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوَزَرَاءِ .

وَهُنَّاكَ جَمِيعَهُمُ الشَّعْرَاءَ اتَّخَذُوا الشَّعْرَ حَرَقَةً لَمْ يَمْشِمُونَ مَعَ
مَا يَدْرِهُمْ مِنْ رَذْقٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ . وَهَوْلَادُهُمُ الشَّعْرَاءُ الْمَدَاحُونُ الَّذِينَ
كَانُوا يَمْدُونَ السَّلَاطِينَ وَالْمَلُوكَ وَالْأَمْرَاءَ ، وَمَا لَذَكَ فِي أَنْ هَزَلَاهُمُ الشَّعْرَاءَ
قَدْ اعْتَدُوا عَلَى الشَّعْرِ لِكَسْبِهِ .

وَالَّذِي يَحْتَاجُنَّ أَنْ تَشَبَّهَ إِلَيْهِ هَنَّا هُوَ أَنْ هَذِهِ الْبَطْبَبَةُ مِنَ الشَّعْرَاءِ قَدْ كَثَرَتْ
وَيَمْدُدُونَ ، وَذَلِكَ لَا رَأَى الشَّعْرَاءُ مِنَ السَّلَاطِينَ وَالْرَّؤُسَاءِ مِنْ تَشْجِيعٍ وَإِغْيَالٍ
وَلِلَّهِ هَذِهِ هُوَ السَّبِيلُ فِي أَنْ جَمِيعَهُمُ الشَّعْرَاءَ قَدْ اتَّقْطَلُوا طَهْرَهُمْ مِنْ
الْشَّعْرِ ، وَأَخْذَوْهُ يَتَطَلَّبُونَ إِلَى الْكَسْبِ وَهَلْكَ لِلَّالَّ عَنْ طَرِيقِ الْمَدْعَعِ ، وَشَاعَتْ
مِنْهُمْ نَفْعَةُ الْمَطْلَبِ الْمَرْجُعِ .

وللستمع مثلا إلى قول ابن التمَاوِيْدِي (١) :

أَرْضُونَ يَا أَهْلَ بَشَادَلِ وَعَنْكَ حَدِيثِ النَّدِيْسِيْدِ
 يَا أَرْجَلَ عَنْ أَرْدَكِ أَجْرُبَ الْبَلَادَ وَأَسْرُدَ
 أَلَا رَجُلَ مِنْكَ وَاسْدَ بِرْكَهُ الْحَمَدَ وَالْمَزَدَ
 يَقْلَدَنِي مَنْهَ يَسْرُقَ بِهَا حَرَ شَكْرِي وَيَتَرَدَ
 وَيَنْصُبَ لِي خَدْرَهُ مَرَهُ يَسْرُودَهُ بِهَا لَصْلَحَ الْفَدَهُ
 لَقَدْ شَانَقَ أَدَبَيْ يَنْسَكَ كَا شَينَ بِالْجَمِيْهَ الْأَرَدَهُ
 أَمَلَ فِيْكَ سَوَيْهُ شَهَرَهُ رَفِيقَ وَعَاطِلَهُ جَيْهَهُ
 وَسَرَكَ أَنَّ يَقْنَى بِهِ وَيَطْرُبَكَ أَنَّ يَنْهَدَ
 وَأَنْسَمَ أَنَّ دِغْنَاهَا لَدِيْ منْ قَوْلَكَ جَيْداً أَجَورَهُ (٢)

(١) سَبِطُ ابْنِ التَّمَاوِيْدِيَّ ، أَبُو الْفَتحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْفَتَحِ بْنِ التَّمَاوِيْدِيَّ
 وَيُسْمَى سَبِطُ بْنِ التَّمَاوِيْدِيَّ . وَكَانَ كَاتِبًا بِدِيْرَانَ لِقاْمَاتَ ، وَكَانَ شَاهِرًا
 فِي الْمَرْاقِقِ فِي وَقْتِهِ ، اجْتَمَعَ بِهِ الْمُبَاهِدُونَ الْأَصْبَاهِيُّونَ وَصَحَّهُ وَقَسَّا مِنَ الْوَمْنَ ، ثُمَّ
 اتَّقَلَ إِلَى الشَّامَ ، وَالْتَّحَقَ بِسَجْمَةِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَبْرُوْيِيِّ وَأَخْذَ يَدِهِ ، كَانَ
 اتَّصَلُ بِعُوْنَ الدِّينِ بْنِ هَبِيرَةِ الْوَزِيرِ الْجَبَسِيِّ وَدَحْسَبَ ، وَشَهَرَ مَدْدَهُ
 الْأَلْوَانَ ، إِلَّا لِلَّدْعَجِ غَابَ عَلَيْهِ ، كَمَا أَسْلَوْهُ بِتَلْبِيَّهُ عَلَيْهِ الطَّاعِنِ الْقَدِيمِ .
 وَشَهَرَ أَبِي الْفَتحِ غَرَرَ ، وَدِبِرَهُ كَبِيرٌ يَقْعُدُ فِي بَلْدَيْنَ ، وَقَدْ جَعَهُ بِنَفْسِهِ
 وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ خَلَّاكَ أَنَّهُ تَوَقَّعَ مَعَ ١٩٥٤ م : ٤٠٠ / ٤٠٠ وَانْظُرْ كَذَلِكَ الرَّوْعَنَيْنَ .
 (٢) دِيْرَانَ ابْنِ التَّمَاوِيْدِيَّ ص ١٢٩ عن : الْأَدَبِ فِي الْمَصْرِ الْأَبْرُوْيِيِّ ، =

وَنَلَاحِظُ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَيْضًا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ الشِّعْرَ، وَهُدَى
لَهُمْ هَرَبَةً عَجِيبَةً يَأْتِي إِلَيْهِ فَيُوَدِّعُهُ نَهَى مَارِيدُونَ التَّصْبِيرَ عَنْهُ مِنْ مَكَوْنَاتِ
نَفْسِهِمْ، أَوْ يَقْبَلُونَ بِهِ الْهَانِي وَالرَّاسِلِي، أَوْ يَخْتَوِيْهِ وَسِيَّةً لِلنَّسْلِيَةِ وَالْمَلَكَةِ
فِي بَحَالِسِمْ وَأَحَادِيرِمْ.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ مَنْ نَظَرُوا إِلَيْهِ الشِّعْرَ فَقَبَاءُهُ، وَعَلَاءُهُ، وَجَنْدُهُ، وَفَوَادُهُ، وَأَنَّاسُ
مِنْ طَائِفَةِ الْعَصْبِ (١)، إِلَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمَلَاهِ، كَانَ يَرِى فِي الْأَدَبِ يَقْلِيلَ الْعَصْرِ
مَارِيقُهُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَزِيزُهُ مِنْ قَدْرِهِمْ، وَيُرِقُّ يَعْكَاثِمَ فِي أَنْتَارِهِمْ مَاءِ سَرِيجِمْ (٢)
وَبَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ رَأْيَنَا حَلَاقَتْ كَبِيرَةً مِنْ قِبَلِ الْفَحْكَرِ وَالْمَلَقَنِينِ يَقْرَبُونَ
إِلَيْهِمْ، وَيَصْرُصُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ شَعْرٌ يَرْوِي، وَمِنْ هَؤُلَاءِ تَاجُ الدِّينِ
الْكَنْدِيِّ، وَأَبْنَ دَقِيقِ الْمِيدِ.

كَمْ كَانَ مِنْ بَيْنِ الشِّعْرِ إِلَيْهِ رَجَالٌ مِنَ الْمَادَةِ مُلْبِرُوا عَلَى قُولِ الشِّعْرِ، وَكَانُوا
مِنْ أَصْحَابِ الْمَرْفَ أوْ مِنْ الْجَنْدِ، وَمِنْ كَبَارِ شُعَرَاءِ ذَوِي الْمَرْفَ فِي ذَلِكَ
الْمَصْرِ أَبُو الْحَسِينِ الْجَرَادِ، وَمَرَاجِ الدِّينِ الْوَرَاقِ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَصْرُ قَدْ شَدَّ طَافِقَةً مِنْ الْحَكَامِ وَالْمَلِكِ وَالسَّلَامِيِّينِ، قَدْ
تَوَارَثُوا الْمَلَكُ وَالسُّلْطَانُ فِيهِنَّهُ قَدْ ظَبَرَتْ أَيْضًا أَسْرَ تَوَارِثَتْ بِنُوهَا الشِّعْرُ كَأَسْرَةٍ

= اللَّهُ كَتُور / مُحَمَّد فَطْلُولُ سَلَامُ ص ٢٢٢ دَارُ الْمَعْارِفِ بِمَصْرِ ١٩٦٨ م.

١) انظر مزيداً من ذلك في: فرات الرفيات « الجسرة الثانية »، والجروم
الراجمة، الأجزاء: ٤، ٦، ٧، ٨.

٢) انظر المقدمة في عمر المروء الصلبة بمصر والمدام، اللَّهُ كَتُور
أحمد أحد بدوى.

بن منفذ في الشام (١)، وأمرق بن هرام وابن الوبير في مصر (٢)، ليس
هذا يحسب على إن هناك أمراً كات تفعل فعل الحكماً وللوك، فتناولوا
أباً لها حياة الشعر والشراء، وتقديرهم والإعناق عليهم، ومن هذه الأمور
أمراء بنى الكنز (٣).

وعل هذا ظليس يعني أن يكتثر عدد الشعراء في ذلك العصر كثرة
الناثر النظر، فقد ظهرت أعداد كبيرة من الشعراء، واحتضنت المراجعة
التأريخية والأدبية في ذلك العصر بالكثير من الشر، وكان جميراً غصيرة من
شراء العصر دواوين شعرية أليها لم يتردّم ، لكن ماقر من هذه
الدواوين ليس يكفي لأن ياتي الضوء الساطع على الحركة الأدبية التي سادت
المصر.

عاشرًا : أسباب دينية :

وكان إلى جانب الأسباب السابقة سبب جديد ظهر في «عصر المزروع»
الصلبية ، وهو التصب الدين الإسلامي ، ذلك التصب الذي تزداد ناره تلك
الشتيبة على الصليبيين الذين دففهم حقدهم اللاحدود وتصبهم الدين المفتر
إلى الإغارة على بلاد المسلمين والمبالغة في آذى السكان والانتقام القظيع منهم .

(١) انظر مجمم الآباء ، الجزء الخامس .

(٢) انظر الطالع السعيد الجامع لاسمه الفضلاء والرواية بأهل الصعيد ، لشلال
الدين بن جعفر بن ثابت الأدقوري من ١٩٨ وما بعدها . المطبعة الجالية
مصر ١٣٢٢ .

(٣) انظر للمصدر السابق ص ١٣ .

وإن من يتبع هؤولاء شعراء، هذا المصر يخدمها ذائعاً بالشعر الذي الذي يحرض على القتال، وهي، بالنصر، ولم يكن شعراء المسلمين يكتفون بإثارة فرحةهم بالنصر ومحنة الكرب وقادهم الذين ثم عملوا أيديهم ذلك، بل إنهم أسلوا بعمرهم إلى الصباري يفتون في أعيادهم، ويتذمرون يوم الشهادة (١)، وكان هذا الشعر يعيش من قلب كل مسلم، لأنه يحيى انتصاراً للإسلام على

^١) انظر حسن المعاشرة، الجزء الثاني، ص ٦٤.

^{٤٢} انظر مقالة ابن خلگانف في فتح صلاح الدين لبيت المقدس : الوفيات
الجزء الثاني ،

الصلـل الثـانـي

موضـوعـات شـعر الـجـهـاد

أولاً : شعر المغيرة إلى الحمداد .
ثانياً : قصيدة المبارك الحربية .
ثالثاً : مدح إبطال الحروب الصليبية .
رابعاً : الشفاف والتجسر على ما أصاب المسلمين .
خامساً : الفخر والخواستة .
سادساً : الرثاء .
سابعاً : تحذيد الأعداء .
ثامناً : المجاهد .

في الحقيقة نحن لن نتحدث عن أغراض الشعر بصفة عامة ، ولكننا سنتحدث عن الآغراض والفنون إلى طبيعة بالغرب والجهاد في ذلك العصر وهذه الآغراض ترجع دون ذلك إلى أصل واحد هو الجهاد والجحود عليه ، والجحود إلى حياة الإسلام والمسلمين ، وما يتصل بذلك من إبراز فضائل الشجاعة والشجاعة ، والبطولة ، والثبات ، ووصف الماء والآلات الحربية والجحود وما إلى ذلك (١) .

وتمثل هذه الآغراض فيما يلي :

أولاً : شعر الدعوة إلى الجهاد :

ما يسبق يقيننا أن الصليبيين في الغرب المسيحي قد أثروا بكل جهادهم وبكل ما أوتوا من قوته إلى بلاد المسلمين لا لشيء سرى العالم في غزو تلك البلاد ، واحتلال مقدساتها ، وسلب خيراتها ، وقد أدى هذه الغزوات إلى ظهور شرّ الجهاد .

وليس من شك في أن الغزو الصليبي الذي دامت ٣٠٠ سنة قرابة من الزمان قد أحدثت أثراً يارقا في الناحية الأدبية بصفة عامة ، وفي الشعر بصفة خاصة كما أحدثت آثاراً سياسية وأجتماعية وغير ذلك .

وشعر الجهاد هو الشعر الذي يعرض على تعاليم الإفرنج ، ويبحث على جهادهم

(١) ونحن بذلك نختلف الأستاذ محمد سيد كيلاني في تقسيمه لآغراض الشعر في عصر الغزو الصليبي ، انظر له : الغزو الصليبي وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص ٢٠٨ وما يليها . مطبعة دار الكتاب العربي

ويستعرض هم الناس في هذه الأوقات الحرجة التي مرت مصر والعالم إلى

دفع العدو .

ولعلنا لا ننسىحقيقة إذا قلنا إن شعر الجهاد الذي أفرد الصراح بين

المسلمين والمسيحيين يهدى إلى هنا في أدبنا العربي ، وهو وإن امتدت

العوامل الفضالية في تبعته وازدهاره إلى غيره من المصور الساقية واللاحقة .

يهدى سرارة لفترة حرجة في حياة المسلمين ، فتركة شهدت صراعاً أشدّ عنةـ

وأطول مدـى ، والحق أن هذا الشعر كان طلاً أساسـياً وقوياً ، وقد قام بدورـ

فعال في الدعـرة إلى الجـاد وتحمـس الجـوش ، ورفع الروح المعنـية للبطـالـينـ

الآسـ الذي أدى إلى تغيـر مجريـات تلك الـحـرب وتحـول مـسارـها ، ما أثرـ علىـ

حياةـ المسلمينـ وواقعـهمـ .

ولا شكـ أن قـرائحـ الشـعـراءـ فيـ هـذـاـ المـصـرـ هـيـ إـنـ هـيـاتـ تـلـذـيمـ هـذـاـ حـربـ

منـ الشـعـرـ ، فالـصـرـاعـ الذـيـ سـادـ المـصـرـ هـوـ الذـيـ دـفـعـ الشـاعـرـ إـلـىـ أنـ يـتوـضـعـ

فيـ شـعـرـ الجـهـادـ ، وـقـدـ يـخـيـغـ فـيـ هـذـاـ يـقـضـلـ القـرـاحـ الشـعـراءـ طـولـ استـھـاءـهـ

أنـ يـخـرـقـواـ غـيرـهـ .

وـقـدـ وـاـكـبـ شـعـرـ الجـهـادـ أحـدـاتـ الـمـرـوبـ الـصـلـيـبيـ وـطـاشـ آـكـثـرـ مـرـاحـلـهـ

ولـعلـناـ لاـ تـكـونـ مـيـالـنـ إـذـ قـلـناـ إـنـ هـذـاـ شـعـرـ قدـ اـسـتـمـرـ قـوـياـ وـمـؤـراـ حـقـيـ

الـهـزـمـ الـصـلـيـبيـ وـعـرـ جـوـانـيـاـ مـنـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ ، وـقـدـ حلـ شـرـاءـ الجـهـادـ

عـلـ عـرـاقـقـمـ عـبـهـ الدـعـرةـ إـلـىـ الجـهـادـ ، وـمـقاـوـمـةـ الـجـهـادـ ، وـتـوحـيدـ الـقـوـىـ

الـإـسـلـامـيـةـ لـخـارـمـةـ الـفـرـاءـ الـخـلـانـ وـطـردـمـ .. وـالـوـاقـعـ أـنـ الدـعـرةـ إـلـىـ الجـهـادـ

كـانـ لـبـ الشـعـرـ فـيـ هـذـاـ الـفـتـرةـ ، وـأـكـسـ الـمـطـلـقـ الـذـيـ اـنـتـهـىـ الشـعـراءـ بـاـ لـكـلـ

- الماضي والأفكار التي عالجها في شعره ،
هذا وتمثل الدعوة إلى الجهاد في مظاهر مختلفة منها :
• التذكير بحروب المسلمين السابقة ، والإشادة بما أبلوه المجاهدون في هذه
الحروب من بلاد حسن .
• تثبيت المقاولين وتحميم على الجهاد ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال .
• مدح العظام ، والقادرين الذين كان لهم الفضل في مكافحة الفرقة الصليبيين .
• حتى الذين لم يشاركون في الجهاد على المشاركة ، وافتتاح الفرصة وكسب
الأجر العظيم في الجهاد .
• الشعور بالآسى والروعة لما أصاب المسلمين .

وكان ابن الحياط (١) من أوائل الشعراء الذين حلوا لواء الدعوة إلى الجهاد
وكان يستعرض أضمون المقاومة الصليبيين ، فيينا بأنه شعر غزو الصليبيين للبلاد
المسلمة قال قصيدة طويلاً مؤثرة ، خطيب فيها محمد البولة قال جبوش دمشق
وأخذ يبعث فيها على الجهاد في سبيل الله ومقاومة المعتدين .

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي الثاني ، ولد عام ٤٥٠ هـ بدمشق ، وهو
شاعر دمشق مشهور ، ولد فيوان شعرى مطبوع في دمشق بتحقيق خليل
مردم ، وهو من كبار شعراء عصره ، وقد انتقل إلى حسأة وحلب ثم
طرابلس ليديح أمراء المنطقة ، وتوقف في دمشق في الحادي عشر من شهر
رمضان عام ٤٦٠ هـ ، انظر وفيات الأعيان ، وجريدة النصر ، قسر شعراء
الشام ، وشذرات النخب لابن العاد ، والعبر النهبي .

٤- (١) يغسل

٩) ديوان ابن الخطيب من ١٨٢ تحقيق عليل مردم ، حلبة المطبعة الماشية
يدعشق ونشر بجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م وانتظر
ذلك الرؤوفين ١٥٨ .

وقد عبر الشهراً عن هذا الإحساس ، فقالوا شهراً يقطر بالآسي والبردة
ويغليض بالمرة ، ويبدو إلى الانتهاء على القراءة وأخذ النثر منه بغير دم
عن المدينة واستردادها (١) .

ومن الشهراً أبو المظفر الأبيوردي ، وقد وصف تغير المسلمين
واسيلهم الطيبين التسراً على الله من الشريف عام ٤٩٢ هـ
يقول (٢) في آيات له :

فِي جَنَاحِهِ بِالْمَدُونِ السَّوَامِ
وَشَرِ سَلَاحِ الْمَرِءِ دَعَ بِفِعْلِهِ
إِذَا طَرِبَ شَبَّتْ بِأَرْمَاهِ الْعَوَارِمِ
فَلِمَّا بَلَّ الْإِسْلَامُ لَمْ يَرَكِ
وَقَاعِدَ يَلْعَنُ الْلَّهُوَ الْمَلَائِمِ
وَكَيْفَ ثَانَ الْمَنِ مَلَءَ جَهَوْنَةَ
عَلَى قَوْنَاتِ أَيْقَنَتْ كُلَّ نَامِ
وَأَخْوَانَكِ الْشَّامِ يَصْنَعُ مَقْلِيمِ
ظَاهُورَ الْمَذَاكِيَّوْ بِطْرُونَ الشَّاعِمِ
تَحْرُونَ ذَلِيلَ الْخَصْصِ فَهُلَّ الْمَلَامِ
وَكَمْ مِنْ دَمَاءَ قَدْ أَيْسَدَهُ وَمِنْ دَيِّ
عَيْثَ الْبَيْوَفِ الْيَضِّعُورَةَ الْأَطَا
وَسِيرَ الْمَرَالِ دَابِيَاتِ الْمَادِمِ
وَبَيْنَ الْخَلَاصِ الْفَطَنِ وَالضَّرِبِ وَقَةَ
وَتَكَلَّكَ حَرَوبُنْ يَقْبَعُ مِنْ غَارِهَا
لِسْلِمِ يَقْرَعُ بَعْدَهَا مِنْ نَامِ

(١) انظر أدب الدول البتانية عصبة الراتكين والأبيوريين والمالكية ،
لله كوكور عمر موسى باشا ص ٣٩٦ طبع دار الفكر الحديث الطيبة الأولى
عام ١٩٦٧ م . (٢) ديوان أبيوردي ٢ / ١٥١
والكامل في التاريخ ١٠ / ٢٨٥ والبداية وال نهاية ١٢ / ١٥٦ .

ومنها أيضا قوله :
 فَلَيَسْمِمْ إِذْ لَمْ يَتُوْدِرَا سَبَبَةَ
 عَنِ الْبَيْتِ حَنَّا نَفِيرَةَ يَالْبَارِمَ
 وَإِنْ قَعْدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَسَنَ الْوَقْنَ
 فَمِلَّ أَتَوْهُ رَغْبَةَ فِي النَّاسَمَ
 دَعْوَتُكَ وَالْمُطْرَبَ تَرَوْ مُلْحَنَةَ
 إِلَيْنَا بِالْخَائِذِ الْمُزَوِّدِ التَّشَامَ
 تَرَاقِبَ فِي شَاءَ غَارَةَ عَرَبَةَ
 الْطَّبِيلَ عَلَيْنَا أَرْوَمَ عَنْ الْأَيَامَ
 فَلَاتَ أَتَمْ لَمْ تَنْصِرَا بِهَذِهِ هَذِهِ

رميَنا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالْمُلْكَ— رَأْمَ
 وَمِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ قَسْدِيَّ دَانَ الْجِيَالَ، وَالْأَبْيُورَذَى، وَقَدَّافَتِي
 بِدَائِيَةِ الْمُرْغُوبِ الْمُلْبِرِيَّةِ وَفَدَقَ كَانَ الْمُسْلُوَةَ فِي وَضْعٍ لِأَبْعَادِهِنَّ عَلَيْهِ،
 فَقَدْ تَفَرَّقُوا أَهْمَا وَأَسْرَابًا، وَانْقَسَمَ حُكَّامُهُمْ وَالْمُخَلَّفُونَ فِيهَا يَتَّمِمُونَ مَازِدًا
 فِي أَسْسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ بِتَشَبِّهِمْ بِهَا الرَّمَعِ الْمُكْثَرِ، وَيَذْكُرُ طَمَ بِهِمَادِ
 السَّلَفُ الصَّالِحُ، كَيْفَ جَلَ عَسْلَ عِرَاقِهِمُ الدَّعْرَةَ إِلَى الْجَنَاحِ وَتَوْسِيدَ
 صَفَرَقَ السَّلْمَيْنِ ..

وَإِلْيَقْتَةَ أَنْ شَهَادَةَ الْجَيَادِ قدْ أَدْرَأَتْهُمْ عَلَى أَحَدِنِ سَالِ، وَاستَمْرَرَ ذَاهِنُ
 مُصْدِنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجَيَادِ وَإِسْتَمْلَمُهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمَكَّنُوا أَنْ يَعْرُوْدُوا يَدَيْنَ
 لِلْقَدْسِ، عَلَمَ بِهِمْ وَهُدَى كَانَتْ لِلْمَسَانِدِ حَمْمَانَادَ وَالْمَهْنَةَ فِي إِذْ كَانَ سَيْفُ الْجَيَادِ فِي

نحو من للذين

وكانت انتصارات المسلمين في المارك الحمرية التي يقرون بها مثار فخرية في تفاصيل الأبطال ، ومصدر بمحنة لهم ، وكان يرى الأبطال أن يستمروا إلى تسجيل ألقابهم ، وإلى التغنى بالواقع الحمرية التاجيحة ، وإلزام الصدقات وخلق الثروات والأبطال الأدراك ، روح الهماء والشجاعة في صدور الجنديين يذودون عن الإسلام ، ويدافعون عن الدار الإسلامية ، وليثبتوا الاقدام في المارك للنائلة في سبيل الحفاظ على الأرض وعلى الكيان المهدى عصافير الصالحين .

ومن النمراء، الأبطال الذين حثوا على مواساة الجهاد والملك الصالح طلائع ابن ذيذك الورثي المصرى (١)، وأسامة بن منقذ (٢)، فقد قتل هذان الشاعران بانتصارات المسلمين، وأخذا بضميهذهان لهم في سبيل دفع العدوان

٤) هو الملك الصالح عطاء بن رزيل ودر مصر في زمن الفاطميين، وقد استمر في وزارته حتى قتل سنة ٥٥٦هـ وله ديوان شعر، «أنظر وقيات الاعياد وأبيات أبناء الرؤساء الأصحابين محمد بن خلجان، تحقيق الداكتور إحسان عباس؛ طبعة مطبعة الغريب في بيروت بدون تاريخ ٢٠١٢هـ / ٥٤٦.

٤) أسماء بن منقذ = ٤٤٨ - ٤٥٥ هـ، هو أسماء بن مرشد بن عبل بن مقدب منفذ القارئ الشجاع، والشاعر والمأذن الشهير . ولد بشيران «قرب حياء بسربورا» عام ٤٤٨ هـ لأسرة عريفة، وتربى على الفضاحة والعلم، وتنبغ في العرب فكان من القادة المظالم، وله شعر يمدح جمالاً بالبطولات ، وقد شارك بضررها شارك بسيفه في مقاومة الصليبيين =

الصلبي ، كما تغنى كل منها بما كان له من دور في سبيل صد المعتدين الفراغة
ومن أروع ما كتبه طلائع بن رذيك مقتضما فيه بما أحرزه سيفه من
انتصارات على جيوش الفرنج ، وقد أرسل طلائع بشرمه هذا إلى أسامة بن
منذلة لسكي يطلع نور الدين عليه ، رغبة منه في أن يتفق نور الدين معه في
المجروح على العدو من الشحال والجنوب حتى يتم حصار العدو بيتمها .
يقول طلائع (١) :

ألا هكذا في افة تحيى المراجم وتعنى لدى الحرب الباردة الصوارم
وتنزول الأعداء من طور عزم وليس سوى سر الرماح سلام

= دله ديوان شعرى من خص صحفه الدكتور / أحد أحمد بدوى وأحمد عبد العبد
ونفذ فى التأليف رُؤوة عملية منخمة . وهو يحتل المذهب القديم فى
الشعر ، وكان القائد صالح الدين الأيوبي يحب أن يقرأ كثيراً فى ديوانه
وقد مدحه بالبيان والشعر والغروسيه الشاعر طلائع بن رذيك فقال :

ولك الربة السليمة في الأمرين مت كثت ثلب العرب
أنت فيها الصياغ مالك في العلم ولا تصراط يوماً ضربت
وإذا ما قرحت فاتسمر الملقن فيما تقسو له والخطيب
، الوضئين ١١٨ مصر ١٢٨٨ ، وقد توفي أسامة في دمشق عام ٥٨٤
، انت ترجمة أسامة في وفيات الأعيان ، الجزء الأول ، وانت هما أيضاً
في معجم الأدباء .

١) الحياة الأدبية في عصر العرب الصليبي بصر و الشام ، الدكتور /
أحمد بدوى من ٥٠٠ ، ٥٠١ .

وتفري جيوش الكفر في عقر دارها
ويروي الكرام النادرون بندرهم
إن بذلك فيه التفوس الكراهة
مضى لصفه ، حتى انتهى وهو غازم
مقواز ، وخد العيس فهن دائم
ونعمايك من أرض الجبار [ذالظل] (١)
بحضرة مشروب من القبظ جاصم
وصارت يوم اللد كالعين مرة
إذا ما أتتها العسكرية المزاحمة
عزيزته جسد الطها والسمائم
ويقول في القصيدة نفسها :

خبيول إذا ما فارقت مصر تونس
جيوش أذنابها أذناماً ونهضة
فهلتها منها ، ومنها المرازم
إذا ما أثاروا النفع فالثغر عابس
ولما وطروا أرض الشام حالفت
وواجهتهم يعيش الفرج بحصة
ثبور حل السجنان منا المجزائم
 عليهم ، فلم ينعم من الكفار ناجم
 بلجة يمسر موجهاً متلاطم
 من الجيش إلا وهو لزع حاطم
 وعادوا إلى سل البيروف فقتلوا
 وتحري لهم آذاؤنا وبجرتنا
 بهاءمة تبص منا المقاديم
 قتالهم برأي طوراً ، ونارة

(١) الجبار : أرض بين مصر وقسطنطين.

وَمَا السَّازِمُ الْحَمُودُ إِلَّا الَّذِي يُرِي
وَقَدْ غَرَقَ الْكَفَارُ مِنْهُ بِقُطْرَةٍ
فَكَيْفَ إِذَا سَالَتْ عَلَيْهِمْ سِوَالًا
وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ شَرِكٌ هَالَمْ
وَعَا كَبِيْهِ الشَّاعِرُ أَسَادُهُ بِنْ مُنْقَدٍ يَقُولُ فِي سِرِّ بَعْرَكَةِ الْكَفَرِ هَادِمِ
الصَّلَوَى، وَيَنْبَغِي بِسِجَاجِهِ فِي مِيدَانِ الْأَهْلَالِ قَوْلَهُ (١) :
سَلَّلَ بِنِ كَاهَةِ الْوَغْنِ فِي كُلِّ مُغْرِكٍ

يُضَيِّقُ بِالنَّسْنَ فِي صُورِ ذِي الْبَاسِ
يَبْثَثُ سُوكَ بَانِي فِي مُنَابِقَهَا

ثُبَتَ، إِذَا حَلَوْتُ هُزْلَامَقَ الرَّاسِ
أَخْرَجْتُهَا كِتْمَابَ الْقَذْفِ يَصْحِبِي

عَذْبَ كِبِيْقَ سَرِيِّ، أَوْ ضَرْبَهُ مُقْبَسِ
إِذَا حَسَرْتُ بِهِ ةَ سَرَرَنَا آنَارِهِ

أَوْسَادَ عَنْ عَائِدَ يَنْهَادَ أوْ آيِ
وَمَكَدَا كَانَ الصرَاعُ الْطَّوِيلُ الَّذِي قَامَ بَيْنَ الصَّلَبِينِ وَالْمَسْلِينَ عَمَلًا فَوْيَا
فِي اتسَاعِ آفَاقِ هَذَا الشَّرِ وَفِي تَمَدُّدِ مَنَاجِهِ، حَتَّى جَاءَ خَنْيَا الْمَعْنَى الْمُرِيبَةِ،
وَمِنْهَا أَسَدَتْ تَسْبِيرَهُ مِنَ الْمَارِكَ وَالْوَقَاعِ إِلَى شَهْدَهَا الْعَسْرِ، إِنَّ كَانَ قَدْ جَاءَ
فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بِزِرْجَا بَأْغَرِشَ شَهْرِيَّةَ آخَرِيَّ، حَتَّى صَارَتْ جَلَّ الْفَصَادِكَ
عَرَوْجَةً بِالْمَدْعَ وَالْفَخْرِ وَالْرَّثَدِ

(١) لِيَابَةُ الْأَدَابِ، لِأَسَادَهُ بِنْ مُنْقَدٍ ص ١٩٥ م طبعة مصر ١٩٣٠ م

فالصلة إذن بين شهر الميلاد وبين الأحداث السياسية في هذا العصر ضعيفة ووليقها بـ إنتها مثلاً زمان ، لأن شهر المذكرة شهر يدور حول وصف أحداث مصر ، ويغير عن الصراحت وما يدور فيه من أحداث ووقائع (١) . وأكيد الفتن أن هذا الصراع كان من أقوى المؤامل في ثقافة الشعر في عصر الحروب الصليبية بصفة عامة ، وكان أشد هذه المؤامل قوّة في ثقافة شهر المذكرة إلى الجماد بصفة خاصة ، فهو يتبرع تردد ، ولو لم يكن الصراع لما كان ذلك الضرب من الشعر (٢) وهذا كلّه يحملنا تقول إن شهر المذكرة إلى الجماد الذي أفرزه عصر الحروب الصليبية يمتاز بأنه ولد موافق وصراحتاً حقيقة وقت بالتميل . وفرق ذلك فنواه الشعراء الذين تفتوا بهذا الشعر كثيراً ما كابدوا الحروب وعاوا شدائها ، فلم يقولوا الشعر ولم يهدون عن الحرب ، ولم يجروا وقائهما دون أن يكون لهم همدة بما كان يقول معظم شعراء الأمم الأخرى . والشعراء كانوا مدفوعين لهذا الضرب من الشعر بداعي من الروح الإسلامية ، فهم يدافعون عن الإسلام ، ويبيّنون في الدين لشلل الأعلى والغاية السامية . يضاف إلى ذلك أن شهر الجماد في أغلب أحواله كان يغاطب المشاعر والوجدان ، الأمر الذي يحملنا قبول إن شهر شراء العمر قد خرج نتيجة لهذا تبира عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، وهذا لأن السهل جعل من بقى الشاعر أن يتبين منها قوّة مشاعرهم الدينيـة ، وأن يرى في

(١) انظر البيئة السياسية للصريحة في عصر المأليك وأزهار في الشهر ، الدكتور محمود رزق سليم ، مذكرات غير مطبوعة ، وانظر كذلك صلاح الدين بين شهر العصبة وكتابه الذي يكرر أحد أحد يدوي .

مجموع شعرهم صورة جند المسلمين للثانية وما تبىرونه من طول جهاد وصبر.

ثانياً : تصريح الصارك الحربية :

لاشك أن عصر الحروب الصليبية عصر ينطوي على أحذاف كثيرة وخطوب جسيمة ، ظليس في حياة المسلمين في هذا العصر ساعة تخلو من خطورة أو من تحفظ وسروب ، ولاشك أن هذه الحياة الخطيرة الراهبة ليست سهلة ولا ميسورة .

ومن أعراض شر الجحود ومرضوعاته الحادة ما أبدعه شراء العصر من شعر يصفون فيه المارك التي عاشهها المسلمين ضد الفراة الصليبيين . فقد رسموا صورا شعرية تابعة بالحركة والحياة للمارك الفاسدة ، وتحدى كذلك عن مختلف مشاهد القتال ، وبعض الأدوات التي تستعمل فيه ، كما وصفوا سقوط حصن الصليبيين ، وأدوات الحصار ، وتعانق الجيوش ، ووصفت كذلك الخطوط الحربية ، ووسائل الدفاع والهجوم ، والأمرى ، وما إلى ذلك ، كما وصفوا مدى ما وصل إليه حال المسلمين من بؤس ونهره في بداية الحروب الصليبية .

ومن بعد هذا التصور والتصور يصفه خاصة في المارك الكبير كفر كعيل ، وسر كفتح بيت المقدس ، وحضار عكا ، وأسر لويس التاسع في ديماط ، وهو واضح أنه ما يكون الوظوح في شعر ابن التيسيري (١) وفي شعر الشاعر القافسي أسامة بن منقذ ، وفي شعر الملك الصالح طلحان بن زريق الوزير المصري .

(١) ابن التيسيري ٤٧٨ - ٥٤٨ هو أبو عبد الله شرف الدين محمد بن

ويعنى أن الملك صالح طلائع بن رز Vick الوردي المصري كان يكتب
القصيدة ويرسلها إلى أسامة بن منقذ في الشام ، وكان أسامة يرد عليه بقصيدة
أخرى تفتقرك مع قصيده في الرزن ولقافنه ، وأخذ يصف فيها بعض معارك
المسلمين التي اكتسروا فيها بقيادة نور الدين ذنكي .

ومن هذه القصائد قصيدة يصف فيها جهاد نور الدين ، وبعد معارك التي
شارك فيها ضد الصليبيين ، وقد ظهرت بها داعياً قصيدة طلائع بن رز Vick طلب
 منه فيها حتى نور الدين على موافقة الجهاد ، والاستمرار في استرداد بلاد
 المسلمين من أيدي الفرازخ الصليبيين (١) .

ومطلع هذه القصيدة :

أي الله ألا أن يدين لنا الدهر - التجيا بنا الدنيا ويفخر مصر

= قصر المخزوبي المعروف بـ ابن التisserى . ولد في عكا بـ فلسطين عام ٤٧٦ هـ
وانقل إلى دمشق ، وقد تكفل في الشعر على ابن الخطاط ، وأعند ينتقل
في الشام والمرأى يسمع المخلفاء والأمراء والقادة . وقد اتصل بنور الدين
عمر وآجوب بـ بطرانه وبـ بيلاله في الحروب الصليبية ، وقد مدحه وصور
أحداث عصره في شعره ، وبـ شعره سجل بأحداث الحروب الصليبية
وقد توفي بـ دمشق عام ٥٤٨ هـ ، انتهى زيته وشعره في : وديان الأعيان
وسميم الأداء ، والروتين .

(١) انظر القصيدة في ديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق الدكتور / أحد أحد
بندوى ، وحامد عبد الحميد من ٢٠١ طبع المطبعة الأميرية بمصر ، ونشر
وزارة المعارف المصرية بمصر عام ١٩٥٣ م .

وقد صور الشاعر أسماء بن منقذ (١) في هذه القصيدة جيش المسلمين بأنه هو المنتصر دائمًا، وأنه يسير إلى أعدائه وهو مظال بالطير والجارة التي تبحث عن قوتها وعصابها التي تحبها دائمًا في جنة الأعداء، وما ذلك إلا من النصر الدائم الذي يلازم جيش المسلمين.

وبأخذنا بصف الجيش بهذه أوصاف أخرى كأنها تدل على القوة واليأس، ثم يذكر أن المسلمين ينفرون في حربهم درجة جعلتهم يرون الخروج في الوقت ومن ثم فهم يتظاهرون إلى هنا من كل قلوبهم، يقول:

تسيّر إلـى الأعداء وـهـا طـيـر طـوقـنا هـاـ الـقوـتـ منـ أـعـدـائـاـ وـائـشـ التـصـرـ
فـيـاسـ يـذـيـبـ الصـفـرـ مـنـ حـرـ نـارـهـ وـلـطـفـ لـهـ بـالـسـاءـ يـنـجـيـنـ الصـفـرـ
وـجـيـشـ إـذـاـ لـاقـ المـدـوـ عـلـتـمـ أـسـدـ الشـرـىـ عـنـدـ لـهـ الـأـحـمـ وـالـنـفـرـ
تـرىـ كـلـ شـهـمـ فـيـ الـوـغـنـ مـثـلـ سـمـهـ نـفـرـاـ فـيـ يـتـيـهـ خـوفـ وـلـاـ كـثـرـ

ويقتبسون عن أمر الجيوشين أحد قادة الصليبيين:

وـخـنـ أـمـرـنـاـ الـجـيـلـيـلـ وـلـمـ يـكـنـ ليـخـشـيـنـ مـنـ الـأـيـامـ نـابـيـةـ تـمـزـرـوـ
وـكـانـ يـظـلـمـ الـتـرـ أـنـ نـيـسـهـ يـعـالـ وـكـمـ ظـلـمـ بـهـ جـهـاتـ الـمـرـ
فـلـسـ اـسـبـحـنـاـ مـلـكـ وـبـلـادـهـ وـلـمـ يـبـقـ مـالـ يـسـتـدـرـاجـ وـلـاـ تـنـهـ
كـلـلـهـ بـيـنـ الـأـعـرـ فـيـ قـلـطـاـهـ وـقـيـ مـثـلـ مـاـفـدـ نـالـ بـعـدـ الـأـيـزـ

ويذكر العديد من الموارك التي انتصر فيها المسلمين فيقول:

فـنـحـنـ الـهـاـ سـيـنـ اـسـتـاحـ عـدـائـاـ حـيـاـمـاـ وـمـنـ مـاـكـبـاـطـ الـمـقـرـ (٢)

(١) انظر أسماء بن منقذ ، المذكورة / أحمد كمال ذكي ، سلسلة أعلام العزب

(٢) دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٨ م ، ٢) المقر : الفوز والحياة

وَحْنَ فَتَحْنَا تِلْ بَشْرَ بَعْدَهَا وَقَدْ بَهْرَتْ مِنْهُ الْأَكْسَرُ الْغَرْبُ
وَتَلْ عَسْرَانَ حَبْتَهُ جِبْرِيلُهَا فَلَمْ تَعْمَلْهُ عَنْهُ الرِّجَالُ وَلَا الْجَنُونُ
وَفِي هَامِ ٤٤٤ جَاهِدُمْ نُورُ الدِّينِ زَانِكُ حَصْنَ حَارِمَ وَرَيْنَكُ مِنْ أَسْرَادَهُ
وَقَدْ أَطْبَرَ نُورُ الدِّينِ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ قُوَّةً وَبِسَلَةً نَادِيَّةً، إِذْ تَفَنَّى «سَلِيْهُ» عَلَى مَدَدِ
كَبِيرِ مِنَ الصَّلَبِيْنِ،
وَعَدْجُ ابْنُ الْقَيْسَرِ أَنَّ نُورَ الدِّينِ ذُكِرَ فِي قُصْدِيَّةٍ تَذَكَّرُ كُلُّ قُصْدِيَّةٍ أَنَّهُ ثَمَامٌ
فِي دِرْجِ الْمُتَضَمِّنِ عِنْدَمَا فَحَسَّ عَوْرَيْرَةَ وَالَّتِي مَظْلَمَهَا (١) :

الْبَيْبُ أَسْدِقَ أَبَاهُ مِنَ الْكِتَبِ هُوَ فِي حَدِّهِ الْمَدِينَ الْجَدُّ وَالْمَلَبُ
يَقُولُ ابْنُ الْقَيْسَرِ أَنَّ يَصْفُ الْإِنْصَارَاتِ نُورُ الدِّينِ، وَكَيْفَ كَانَ جِيَادُهُ عَنِ
الْمُصْلِبِيْنِ (٢) :

هَذِيَ الْمَرْأَمُ لَا تَدْعُ الْقُبْضَ وَذِي الْمَكَارِمُ لَا مَا قَاتَلَهُ الْكِتَبُ
وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْأَلَّانِ مَنْ خَطَبَتْ تَعْرَثَ خَلْفَهَا الْأَشْمَارُ وَالْخَطْبُ
صَاحِبُتْ يَا ابْنَ عَصَادَ الدِّينِ ذَرْوَتْهَا بِرَاحَةُ السَّاهِي دُورَتْهَا نَمْبُ
ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ :

خَطَبَتْ لِلْمَدِينَ حَتَّى لَمْ يَقْتُلْكَ رَجُلٌ وَكَانَ دِينَ الْمَدِينَ مِرْحَانَهُ الْمَعْذَبُ
طَبَرَتْ أَوْسَطَ الْأَعْدَى مِنْ دَاهِمَهُ طَبَلَوَةً كُلَّ سَبْتٍ مَنْهَا جَنْبُ
حَتَّى اسْتَطَاعَ شَرَارَ الرِّزْنَ قَادِهَ فَالْحَرْبُ لَضَرَمَ زَالَ الْأَجَالُ تَحْطَبُ
وَالْمَثْلِيْلُ مِنْ نَحْتِ قَلَاهَا تَقْرَبُهَا قَوَافِلُ عَانِيْنَ الرَّكْضُ وَالْخَطْبُ

(١) دِيَرَانِ أَنَّهُ ثَمَامٌ، شِرْحُ الْقَيْسَرِيِّ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ عَزَّامٍ [أَهْلُ مَطْبَعَةِ بَرْوَنْ]

(٢) انْظُرْ لِلْقُصْدِيَّةِ فِي الْرَّوْحَنِيْنِ ١ / ٨٤ :

والأشعع فرق ميدال البيض متقد
كما استقل دعاعك تحبه طب
والليل كليل مطبال وليس له سوى الفرس وأيد خوفها صب
عنرا غائص دماغ الطعن أيدفهم
فامتنلوا وهي لائحة ولا غرب
كذلك من لم يوق أنه مهنته
لأن العدا والقتلى كله فحب
فأهض للمسجد الأقصى بدلي حب
بوريلك أهض المني فالقدس مرتفع
وأذن لموحلك في تطهير ساحله
فإذا آتى بصر بله حب
وفي سنة ثلاثة وثمانين وخمسة فتح صلاح الدين الأيوبي ويت المقدس
خلد الشهراه هنا الفتح . يقول الشاعر أبو علي الحسن بن جعفر الجوني حين
تم هذا الفتح للبن على بد البطل صلاح الدين (١) :

جند السبا . لهذا اللئك أعون
من شيك فيه لهذا الفتح رهان
من رأى الناس ما نفعك به من زعن
هذا الفتح فور الأنباء وما
تسعون مما يلداه فصرخ والإس
فالآن لي صلاح الدين دعوهيم
الناس ادخلت هذه الفتح وما
ست لها هم الإعمالك مد كلوا
ل الناس حاود هذا أم سبلان ؟
في نصف شهر غدا الشرك مصطلا
قطبرت منه أنهار وبدار
لو أن ذا الفتح في عهد النبي لقد
نزلت فيه آيات وقرآن

١) الروايتين / ٢ / ١٠٥ .

ويند معك المتصورة الثانية التي انتهت بخور المسلمين عام ٩٤٥ هـ وهزيمة الصليبيين هزيمة مذكورة ، وما تبع ذلك من أمر ملككم وأمر الله في المتصورة . بعد هذه المعركة فربت شوك المسلمين ، وأحس فريقهم بالباس والقدرة ، فأخذوا يعتقدون بهذه النتائج ويزهون بها . ولعل هذا الشعور بالقدرة هو الذي أدى إلى شعور المسلمين أن خيروها دينوعها ، ويرروا أن ذلك هو الوسيلة المثلية لتحطيم قوى الصليبيين المتردية .

فهذا هو الشاعر ابن مطرود (١) بعد ويتبعه ، ويختاز تهدده الصليبيين بالسخرية والتهم ويخاتمه حينما إلى علم المسلمين أن ملك فرسا يهيا لغزو مصر بعد هزيمة المتصورة .

يقول الشاعر (٢) :

قل لقرنيس إذا جئتهـ مقال صدق من قتل فصيح

- ١) ابن مطرود هو جمال الدين بن مطرود ، ولد بأسيوط عام ٩٩٢هـ والتحق في صباه بصديقه الشاعر الجاه زهير ، ومع ذلك فشل في مختلف عن شعر الجاه ، ذهير في موضوعاته وفي شكله ، وقد ضمها بلاط أمير مدينة قوص ابن المعطي ، والحقيقة أن ابن مطرود قد ظهر تحمسه في ميدان السياسة عنه في ميدان الأدب « التحوم الزاهرة » / ٧٢٧ ، وكانت له علاقة قوية بالأمير علي الدين يوسف ، وقد دخل منه دمشق عام ٩٦٥هـ بعد قتال الصليبيين . وتوفى ابن مطرود قبل في آخر عام ٩٦٩ أو عام ٩٧٠هـ « داجن وفيات الآباء وشهادات النبء » و « التحوم الزاهرة » / ٧٠هـ .
- ٢) ديوان ابن مطرود من ١٨١ طبعة القمة طنطاوية عام ١٢٩٨هـ .

آجرك الله عسل ماضي من قتل عياد يسرع المسيح
قد جئت مصر تبني أخنها تحب أن الزمر ياطل ورج
فما لك الحسين إلى أدم حاقد به عن ناظريك المسيح
رحت ، وأصحابك أودعهم بقبح أفعالك بطن الصريح
حسون النساء لا يرى هنهم إلا قليل أو أسير جرّج
ـ ردرك أهـ إلى متلها لعل عبيـ منـكـ يـسرـعـ
ـ إنـ كانـ بـلـاكـ بـلـاـ رـاهـيـاـ فـربـ غـنـ قدـ آتـيـ منـ تـصـحـ
ـ هـانـهـ ذـوـهـ كـاهـنـ إـلهـ أـسـحـقـ مـشـكـ لـكـ أـوـ سـطـحـ
ـ وـ قـتـلـ هـمـ إـنـ أـضـرـواـ عـزـودـةـ لـاخـذـ تـارـ ،ـ أـوـ لـقـدـ صـحـيـحـ
ـ دـارـ إـنـ قـهـانـ عـلـىـ هـدـيـهـ وـاقـيـدـيـقـ ،ـ وـالـطـاشـيـ صـحـيـحـ(١)

وفول الشهاب محمود الحلبي قصيدة مناسبة استيلاد الادرسف علييل بن
قلادون على مدينة عكا وآخر ما كان بأيدي الصليبيين ، وإنما يهم في البشـرـ
ـ ماـ ٩٩٢ـ .ـ وـ قـدـ كـانـ هـذـاـ الحـدـثـ يـمـيـنـيـ تـهـاـيـةـ الصـلـيـبـيـنـ فـيـ الـلـاـدـ إـلـاسـلـامـيـةـ .ـ
ـ يـقـولـ الشـهـابـ (٢)ـ :

الـحـدـثـ ذـلـكـ دـوـلـةـ الـصـلـبـ وـعـرـ بـالـرـكـ دـرـنـ الـىـ الـسـرـقـ
ـ يـاءـ حـكـاـ وـقـدـ هـدـتـ فـيـ اـعـدـهـ فـيـ الـبـحـرـ شـرـكـ عـنـ أـرـقـ

١) الطراشى : خادم كان يقوم على خدمة الملك الأسير .

٢) الحروب الصليبية وأثرها في التور العربى ، الدكتور / محمد بن علي المغرـ
ـ صـ ٩٤ـ ،ـ ٥ـ ،ـ النـادـىـ الـأـدـبـيـ بـالـرـياـضـ ،ـ كـتابـ الشـهـرـ الـمـدـدـدـ ،ـ ١٩٨٠ـ ،ـ ١٤٠٠ـ مـ .ـ

لَمْ يُبَقِّ مِنْهُمَا لِكُفَّارٍ إِذْ خَرَبَتْ
فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ مَا يَنْهَا سُوِّيَ الْفَرَبُ
يَوْمَ عَكَّا لَقَدْ أَنْبَتَ مَاءِبِقْتَ
بِهِ الْفَتوْحُ وَمَا قَدْ خَطَّ فِي الْكِتَابِ
أَنْفَسَتْ عِبَادَهُوْمَى إِذْ أَنْبَتَهُمْ
هَذِئِي دَرْضَى فِي ذَلِكَ الْجَهَنَّمِ
وَأَشْرَقَ الْمَصْطَقُ الْمَادِيَ اِبْشِرَ عَلَى
مَا سَلَفَ الْأَشْرَفُ السَّلَاطَانُ مِنْ تَرْبَةِ
مَابِدَهُ كَمَا وَقَدْ لَانَتْ هَرِيَكَتَهَا
لَدِيكَ شَيْءٌ تَلَاقِيَهُ عَمَلَ تَعْبُ
وَمَكَدَا لِلْأَنْظَرِ أَنْ شَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَقْتُلُمْ أَنْ يَصْنَعُوا لِلْمَارِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْتَّاجِجَةِ الَّتِي عَانَهَا الْجَنُودُ الْمُسْلِمُونَ حَدَّ الْفَرَاجَ الْصَّالِبِيِّينَ . وَقَدْ صَورَ الشَّعَرُ
تَلِكَ الْمَارِكَ تَصْوِيرًا إِلَمَا كَانَ شَلْ وَصَنْمَهُمْ هَذَا وَصَفَ مَاعِلَيْهِ جَيشُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَوْهٍ وَصَلَابَةِ ، الْأَمْرُ الَّذِي يَوْكِدُ أَنْ شَرَّ الْجَهَنَّمَ كَانَ يَوْكِبُ حَرَكَةِ
الْفَتَرَسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقْلِ عَنْهَا قَطُّ ، وَأَنَّ شَرَاءَ جَهَنَّمَ اِمْتَاهَنَهُمْ
وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَعْلَمَ اِنْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ (١) .

وَأَنْظَبَ الْقَلنَ أَنَّ الشَّعَرَاءَ كَافُوا مَسوِفَتِنَ هَذَا الْقَلنَ مِنَ الشَّعَرِ بِدَافِعِنَ
الرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَكَانَ الْمَرْأَعُ الْمَدْنِيُّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَانِبِهِ وَالْإِزْرَعِ مِنْ
جَانِبِ آخِرِهِ الْبَالِغُ فِي اِسْعَادِ آفَاقِ هَذَا الشَّعَرِ ، وَفِي تَمَدُّدِ مَنَاجِهِ ، حَتَّى
جَاءَ غَنِيَاً بِالْمَلَأِ الْمَحْرِبِيَّةِ ، وَمُمِرَا أَصْدَقَ تَبَيَّنَ عَنِ الْوَقَاعِ الَّتِي شَدَّهَا الْمَعْرُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ هَدَى فِي بَعْضِ الْأَسْبَابِ عَزِيزًا جَمِيعًا بِأَغْرِضِ شَرَبَةِ أَخْرَى ، يَدِ أَنَّ
مَدَارَ التَّصِيدَةِ كَانَ حَسْوَلَ وَصَفَ الْمَارِكَ سَوَاءً أَكَانَ مَدَارَ الْقَوْلُ هُوَ قَادِ
الْمَرَكَ ، أَمْ كَانَ حَوْلَ الْجَنُودِ وَآلاَتِهِ الْقَتَالِيَّةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

(١) انظر أيام صلاح الدين، الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

فكلما ثبّتت معركة أو حدث صراع ساميّ لامر ما تجد الشعر يصف تلك المعركة، وينبر عن هذا الصراع وما يدور فيه من أحداث ووقائع... وهذا كله يحصلنا نقول إن شعر المارك في صور المزروع الصليبية يمتاز عن مثيله عند غيره، فهو وليس صرّاً هات ومواصف حقيقية وقفت بالفشل، ويُعْنَى أن يدعى إلى ذلك أن بعض الشعراء الذين تفتخروا بهذا الشعر كثيرون، لا يكتبوا المزروع ويعانوا شدائها، فلهم يقولوا الشعر وهم يهدون من المزروع، ولم يسجلوا وقائمه دون أن يكون لهم عذر، بما كان يفعل معظم الشعراء في المراقب الآخرى.

ويصل بتصوّر المارك وصف ما يصل المارك وآلات القتال، وبعكتنا الرجوع إلى شعر المهر الصليبي إذاً، أردنا أن نتعرّف على الأدوات المستخدمة في المزروع آنذاك، وما كان في هذه المزروع من أسلاب القتال والتدمير، وما كانت تجاه إلية المدن من وسائل انتصرين والمدفع عن النفس وما إلى ذلك.

ويتبين أن تقول إن شعر المهر الصليبي لم يحيطوا بأوصاف السلاح وآلات الحرب، ولم يحيطوا وصف هذه الآلات، ولم يكتشروا من العناية بتصوّرها وتصورها لدرجة تجعلهم يقولون بأشكالها ودقائقها كما كان قبل، إذ المعروف أن الشعراء في المهر الصاهي، وكذلك في المهر الصليبي والعمايى، كانوا يكتشرون من تصوّر آلات الحرب كثيرة جعلتهم يقولون بدقائقها وأشكالها، ويستبطون الشابه في ذلك.

والحق أن ماقاله الشعراء في وصف آلات الحرب وعدة القتال في هذه

الصهور بعد زمانها أديباً يشقّل الحياة الأدبية، وكان كثيراً من شعراء المغبرين الأموي والعباسي يتعلّم بتأديبه الشاعرية في القتال والنزال، ووصف آلات الحرب، كما تناهوا ممّهم في المسابق، وأي شعر في الحرب وأدوات القتال أشدّ قياداً، وأبعدّ أثراً من شعر الجاهليين فأفضلاهم فيه تمازج بذة النصوص وبراء الوصف، ومناته المباهية.

وعما جاء في وصف الأسطول قوله للمدبّر بن الزبير (١) :

وكان يصرّ الروم خلق وجهه... وطفت عليه مثبات الرجال
ولقد آتى الأسطول حين غرّاً يا... ثم يأت في حين من الأحيان

(١) أبو علي الحسن بن علي بن الزبير الفاسقي ، الأسوان الأصل ، اللقب بالفاضي المدبّر ، من الشعراء المشهورين ، جاء إلى القاهرة هو وأخوه أحد بن علي الفاضي الرشيد ، فلزم هو الصالح بن دزيك الوزير الفاطمي وأختص به ، وقربه الصالح منه ، وأعندت عليه من ماله ، وقد أبعده المدبّر في مدح الصالح ، ووصف موافقه مع الصالبيين بالشام وعمل المحسود المصري الشرقي ، وكان من كثرة ملازمته المدبّر لابن دزيك ينهم بأنه يصنّع للوزير شعره ، وإن كان المدبّر يشيّع عمل شعر الوزير ويصفه بالبلاغة ، واقتصر شعره بالإيقان والجودة ، وكان كتاباً أيضاً ، مليح الخطّ جيد العبارة ، وله كتاب في الأنساب في تشرين مجلداً قال عنه ياقوت : « وهو غالية في مهنته لا من يد علّيه » ، إرشاد الأربّ لمسيرة الأدب ٣ / ١٥٨ طبعة الدكتور فريد الرفاعي ، سافر من مصر إلى ابن ، وتوفي عام ٥٦١.

أحيب إلٰها شرائني أصيحت من فتكها ولها المدّة شرائي
شمت بالغزبان في الرأيا وفعلن فعل كواهير العقاب
أقرتها عدد القتال فقد غدت فيها الفتنة وحنا من الإذعان
فأشك موقرة بسٰ بيته أسرام مقلولة الآذان
حرب عوان حكتك من العدا في كل بكر عدنم وعوان (١)

ويصف القاضي العادل أسياف صلاح الدين فقوله (٢) :
ما يحيط به نسل النواوى دواعى هي الفصر نسمدة الإسلام
في يعين السلطان وإن جردتها أشيتها صراغ في شام
تشرى الإسلام كالحرقى : فما أدى به هنرى السوق بالآفلام
في محارب حربه البيضا صلت ودكوع الظبا جبره الشام
والحقيقة أن الصراوة قد أكثروا من وصف الجيوش وصفاً يربى على
السيوف والثياب تبران المركأ . وفترة الققاء بين المسلمين والكافار
ومن ذلك قول ابن الساعى (٣) :

(١) خريدة الفصر وخريدة أهل مصر ، قسم شراء ، مفترق ، تحقيق أحد أدرين
وزميله من ١١ جلدة الألفاظ والتراكمة والنشر ١٩٥٢ م .

(٢) الروضتين ، مطبعة وادي النيل ٢ / ٤٢١ .
٣) أبو الحسن علي بن زيد بن هردوذ ، أصله من خراسان ، وولى في دمشق
وهما ثنا ، ونهل فيها على يد جاصنة من علانيها في القرن السادس ، كافرا
كثيراً من دوافين شرارة الغرب القداماء جاهليين وعاصبيين ، واستروع
كثيراً من تصانيم حفظاً . وقد غادر دمشق إلى مصر عام ٩٨٥هـ

فليزيد وجه الأرض بل حال درنه رجال كأساد الشري وهي ترتفع
وجرداه سلوب ودرع مطاعف وأيغض هندي ولدن متفق
ومارجنت أعلامك المفرسامة إلى أن ندت أكيادها السود ترتفع
والواقع أن النصانة التي نظمها شعراء المهر في وصف المعاشر الحمرية
لاتعتبر في بعدها مثلاً أعلى في شعر الحرب لأن الشعراء يبتلون أنفسهم
من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها تصميم للعارك ولكنهم خربوا
فيها عن جادة للوضوح من قرب أو بعيد، خلولوا أن يفخروا أو أن يحروا
الامر الذي يجعلنا نقول إن شعرم في الحرب يقتصر عن شعر المتنى فيها،
لضيق مستوام عن مستوى المتنى في هذا الفن الذي تختص فيه دفع فيه

== حيث تقضي بقية عمره، وعاش في مصر مع جماعة من الشعراء والآباء
المذكورون في ذلك المصر، وكان ابن الصاعاني في أول حياته ساختها
منشأناه، كبير التهم والهجوم على حساده والكتابين له من الأعداد،
ولعل ذلك يرجع إلى أن حياته في دمشق كانت حياة يطلب عليها الأول
وشكوى الحاجة، أما حين سافر إلى مصر فإن الحال قد انقلب به، إذ
تيسرت له سبل العيش، وصار له بعض الزراء، والفرق مما جمعه له يرضي
ويكشف عن الشكوى، قال عنه ابن خلkan «شاعر مبرز في حلبة
المتأخررين، له ديوان شعر أجاد فيه كل الإجاده»، وفيات الأعيان
٣/٢٣ طبعة عزي الدين، مصر ١٩٥٢ م، والآيات المذكورة له
في الروزندين ٢/١٢ مطبعة وادي النيل.

حدود النزرة (١) فهو - أى النبي - أستاذ هذا الفن من الشعر الحسّري ومتذعنه ، وقصائده في العرب على درجة رفيعة في التصوير من حيث الدقة والبراعة ، وإظهار الفناين من المكابر التي يدق وصفها ويدرك تأثيرها على كثير من الشعراء الآباءين ..

فالنبي يتقدّم للمرأة قولاً حيا بكل ما فيها من عنف وشدة ، وتنبيل ودماء وفروذكر ، وانتصارات وهزائم ، وغير هذا وذلك ما يجعل المسممة محمد نظر القاريء حتى يظن نفسه مشركاً فيها أو على الأقل مشاهداً لها . وربما أن هذا بنيه هو الذي كان وراء فرط إنجاب ابن الأثير بحريات النبي حين قال عنه : «إنه إذا عاشر في وصف معركة كان أيامه أحلى من فصالها ، وأجمع من أبطالها ، وقادت أيامه الشام مقام أبطالها ، حتى قتل الفريقين قد تقابلوا والسلامين قد تواصلا » (٢) . وأياماً كان الأبر شعراء المعر صلبيين متذعون كل العذر ، فستوام التي لا يتعلّم مع ذلك الفن البيف ، وأغلب أهل أمم سادوا في هذا الطريق يدفعون من الروح الإسلامية ، ويبعدون أن تصشم المقيدة الإسلامية جعلهم لا يدركون الموارك الإسلامية التي حاضرها المسلمين حتى في النزرة الصليبية ، ويدوّنون كذلك أن انتصار قادة المسلمين في هذه المعركة كان مثار غبطة في قلوبهم ، خاوروا الإشارة بهمود هؤلاء ، الأبطال والإيهاج لانتصاراتهم ..

١) انظر موضوع «شعر العرب» من كتاب «فترات الشعر في مجتمع الحداثيين» ، تأليف الدكتور مصطفى الشكرنة .

٢) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر من ٣٠٢ طبعة مصر عام ١٣١٢ .

وليس يعني أن الحرب في هذا المتصار كانت جحلاً بين المسلمين والصلبيين
إلى أن تم انتصار المسلمين ، وليس يعني كذلك أن قادة المسلمين وأسرابهم في
هذه المعركة من الرعاعي كانت لهم أدوات في المواجهة ، وبهادفة في المتصار و
وبراعة في الكفر والغدر ، وقد عشقوا الحرب وهاجروا بها ، وقد ظلوا يحيى
يهود دون الجبورش ، وبظهرون للطاعون ، وبتفجرون الصليبيين بكل مكان .

فإذا كانت هذه ملخصاتهم من سبب تأثيرهم وعدهم للمواجهة وفداء في المتصار
وذلك بالإضافة - كما يسوق أنفسنا - إلى ما ينذر بهم من الإكرام الشعراة ،
أدركنا أنه من الطبيعي أن يصف الشعراء معاً كثيرون ، فإذا ما انتصر الفائز المسلم
وصف الشعراء الواقع الذي انتصر فيها ، كما وصفوا التحالف الجبورش والتوجه
المتفوق ، وتغريب المدن (١) وإذا ما انتزعت الفائز حازوا على الشعراة من جانبهم
أن يقفوا من وراء المطرفة ، وأن يتذمروا له الأعذار .

وعلم القول في هذا الإباب أن الشعراء قد ساروا فيه على متوازن من سبقوهم
من الشعراء غير أئمهم لم يكتروا في هذه الفن إلا لأنهم ، ولم يجعلوا ثنا
مستقللاً إلا في تناقض ، وإنما خطأوا به شعاراتهم في الفخر ، وهم وإن كانوا قد
شاركوا في هذا الفن إلا أنهم لم يرتكبوا إلى مضار كل من أبي الطيب المتنبي
وأبي فراس الحдан ، على أن ذلك لا ينبع من أن قول إن الشعر العربي قد
أسيف (إليه يقتضى هؤلاء جهينا فصاند حرية وعدت المسرب وأدواتها
ومواقها ، وهذه القصائد وإن هي بخط في مستوى ما عن آخرها من شعر المتنبي

(١) داجم مقدمات المدون الصليبي ، للدكتور عمر كمال توفيق ص ١٦٦

ويمددها ، الأسكندرية ١٩٦٦ م

وغيره من الشعراء، الفرسان، إلا أنها وبها أنت بمدح في تحديد الصور والأهداف والأفكار.

ثالثاً : مدح أبطال المروءة الصلبة :

وهذا فرض آخر يتصل بشعر الجناد ، وقد أبدع فيه شعراء مصر وليس من شك في أنه قد دارت معارك عديدة بين القواد الصليبيين وبين القواد المسلمين ، وكان انتصار قادة المسلمين في المروءة والمغارك مثار غبطة في ذكرهم . ومن الآيات التي كانت تفرح مؤلاه أبطال أن يسمعوا إلى تسجيل أعمالهم وإلى الثناء بهذه الأغانى .

وأثناء هذه الريبة في قبورهم يخدمون بظروفن من الدج يأوي نصيبي وقد تجمع حولهم عدد كثير من الشعراء ، وأخذ مؤلام مصر يخدمون بمحب وعزلا ، الأبطال وجذابهم ، كما يخدرون في القصائد ما يرعن ، ويجهلون انتصارتهم ، ويفجرون طر رابعا يذيعون من آنبا ، نصرهم ، وجعلون بشري فتو حليم إلى آنبا النصب . ولم لا ؟ وعزلوا ، الأبطال كآخر الفرج كمن سعدها ، واستقدوا على يديهم من أراضي مقتدية ، فلا بد وأن ينظروا من للدج بأوقن نصيبي ، وأن يشد الشمر ، ينظرا لهم وقوتهم وسلطتهم ، وأن ينفرقا في الشفاء عليهم ، ويزدوا سعة الشجاعة والآلام من بين صفاتهم حتى صار مثلا الحديث عن الشجاعة والتفاني في وصفها منتصرا من عناصر الدج .

وفي هذا الفرض تحديد البطلة والإبطال ، وتخليل المشهورين من القادة وبيان لما يتناولون به من صفات . وقد كثر هذا الشعر كلة تلخص التلذذ في هذا المهر ، يضاف إلى ذلك أن هذا الشعر يمتاز بأنه مدح صادق ، إذ لم يكن

الدافع [إي] في الكتاب طلب المال والمعطر، وإنما الإلهام بالبطولة والشجاعة فهو مدرج بصفة إلزام المدحود في صورة الدافع عن تحركات المسلمين، الشاعر إلى استرداده لهم.

^{١)} انتظار صلاح الدين بين شعراً وعصره وكتاباته للدكتور أحد أحد بدوى.

أما الصفات التي أطلقها شعراء على المدح فكانت تمتاز بالجاذبية
ومنها ما ينطوي على صفات الطولة والشجاعة والتصديقة والليل والمطر والبياضة
وغير ذلك من الأمور التي كان لها آثر على حياة المسلمين ومجاهدهم . وكان
الشعراء يقتربون عن حكمة أحداث المروءة الصلبة وأحسب والرجاحة
فيسقطونهم بأعواد ما يملكون من شعر إذا ظفروا وانصرعوا ، ويحيطونهم إذا
رجموا متنفسين ، أو إذا خربوا من شدة ، أو إذا نجحوا في سبابة
أو خطأ واحتلت صفات الكتب والدواوين بهذه الملامح وتلك التهانى
ومعنى الشعراء من يعيشون يذيعون أبناء النصر في أرجاء العالم الإسلامي
ويصلون بشعرهم إلى الخلق ، والولادة والأمراء ، ليتاجز ذلك بين أبناء
الشعب والتقوى والروح المثلوية فيه ، ويشتد من ثم سعادته فيفقد سمه إلى
المهدين ، ويصلون أن يقعن عليهم العنااء الآخرين .. والحقيقة أن شعر حين
يعيط هؤلاء الأبطال يحبه إغا يجد فيهم أول ما يجده تكريسهم الجبور لخدمة
المسلمين وصيانة الإسلام ، ويهبه بما لا يعطيه من جليل الآثار .
وما زاد الدين ذكرى من القراء الذين استطاعوا أن يرميوا صحف المسلمين
ويزيدوا من حسامتهم مما يصادف في سبيل الله ، وقد يبذل في سبيل ذلك قصارى
جهده ، وتمكن من أن ينصر على الصابريين في أكثر من موقع واستنزل على
حصن عديدة كانت تشكل خطورة كبيرة على المسلمين . كما استنزل على مدينة
الرها ، الامر الذي جعله بعد ذلك صاحف المسلمين .
ولم يقف عمار الدين عند حد مقاومة الصابريين ولكنه أخذ يسرج منهم
ما ملكه شهراً شهراً .

ويذكر المقذفين (١) أندادى سنة ٣٦٧هـ قد حصر صفاتهم شبيهين بواسطتها الإفرنج
وكان خرج إلينهم عاد الدين وأخشد بهم دهليزه وعدهم حتى انسحبا
خرطاً وفريداً.

وفي هذا الموقف يتبين الشاعر ابن قاسم الحوى عاد الدين يتصيد طرولة
وقد أتى بعثة من سادات البطول والتقدام، كما صرّوا لنا بطلًا عظيمًا له
اللعنى به على الكفر والبلاء.

يقول منها (٢):

يذرملك أبا الملك الطليميَّ تدل لك الصواب وشاققينِ
المتحَّر أن كاب الرزم لما تبين أنك الملك الرسميمِ
في خياله يطبق القلوات خبلاً كان الجحفل العيسق اليمِ
وقد تركه اليهان على وضاحه فكان خلبه المطلب الجمِّ
غافل عن بيته بك في خيوس تبكيت أن ذلك لا يهدئكم
وأيُّسر في لفافة منه جيئنا فاحسرون لا يسيء ولا يقيم
كأنك في الحاج شباب نور توقد وهو شعبان وجمضم
أزاد بهاء مجدهنْه فربَّه وليس سوى لفسلم له حميم
يؤوك الله تجود بيتنا عليه وأنت بيتنا ولدنا ملككم
أيشين الفرع منك عدواً وأنت يقطع دارهم نصصيم

(١) الروضتين ١/٣٣.

(٢) الروضتين ١/٤٣٦ والكتاب في التاريخ ١/٦٥٠ والمربي، قسم شراء

وكم جرعنها نصوص المسالك . يوم ذيه يحيى بن سعيد ، العظيم
ولما أتى ، طلب مني ^{الله} ملحة جوا سليمان اللهم
ألم يطوف الآفاق حيناً وانت عالي معلقة مقهى
شارع وما يمسككه ملوك ، وقاد ما يمسككه أسمى
إذ اخترع سبب الله في نورس ، فأقول ما يقاربها الحسوم
فالماء يمده عصاد الدين بدماء قلبها يقون الفضائح والصلوات
من دوى في تلبيس نفود الفطليين وفي كسر حلو كضم
وينج ابن منهذ الطراطيس (١) عاد الدين نذكر على مقامه من فتح حصن

(١) هو أحد بن شير الطراطيس ، ولد ونشأ بطرابلس الشام ، وتعلم القرآن
والشريعة والفقه ، وحفظ القرآن ، وعم شائر موهوب الشاش ، مارف
بلدنون وأوزان المروزن ، وكان والده ينفذ الأسلحة وبقي في أوزان
طرابلس لأقوف شاهر قربت في رواحه ، من دوح الأبيزدي ، وقد أخذ
عن والده صنعة الكتب في زراعة ، وقد مثل كذهب العصراء الفسحاء في
الشام ، وإن كان يكنى في شعره أطياطاً بالوان الديج ، وأقام ناشئه به
بن شير الطراطيس ، وهو الطابع الذي ينزله سائده على المحتوى فيه مزدوج
خطير وبلا خاتمة ، أيام هعقبة نجد زرم أمراه ، شيرد بن جويانة وملوك
بورديه بن طباكته صاحب دعشق ، ثم السلطان نور الدين محمود ، إن ابن
القبراني في حلب ، وكانت ينهى بركاتياب وآجوبة ومهابي ، وطال
مقبيين لاما يحلب ، وهو يقد أبا تمام في قصائد كثيرها وأوردها له

بادرين في عام ٩٦٤ هـ وقد تأثر في نصيحته بقصيدة أبي المناعة التي أودعها :

أَنْتَ الْخَلْقُ مُنْتَدِيٌ إِلَيْهِ تَحْسِرُ أَذْيَالَكَ

يقول الفارابي (١) :

فَهَذَاكَ الْمُلُوكُ وَأَيَامُهَا وَدَامَ لِقَعْدَكَ [بِرَامِيدَ] ١
وَذَلِكَ لِيَشْكُوكَ أَهْدَامَهَا وَذَلِكَ لِطَفْلَكَ [إِدَامَهَا] ٢
أَنْهَا عَيْنُ الدِّينِ لِمَا نَاهَىٰ أَبَابِي الْهَرَبَا وَأَيَامُهَا ٣
وَمُسْتَقْدَدُ الدِّينِ مِنْ أَمْةٍ أَزَالَ الْهَارِبَ أَسْنَاهَهَا ٤
دَفَعَ لِهَا قَنْقِبَكَ الْأَسْوَدَ دَالِيُّضَ وَالسِّرَّ أَجَامِهَا ٥
جَزَرَتْ جَزَرِيرَتَهَا بِالسِّيرَ حَتَّىٰ شَامَهَا شَامَهَا ٦
وَسَارَتْ عَوَارِيَ أَكْنَانَهَا مِنْ شَنَصَ أَرْخَصَ سَنَامَهَا ٧

وعماد الدين زنكي هو بطل الزمان، وقد سقطت في يده في جملة الثانية عام ٩٣٩ هـ من يد جوراهن الثاني البطل الإفرنجي، وبسقوطها في أيدي المسلمين أيدت إمارة من مادات الإفرنج، وتراجعت أحبتها إلى موقفها الجغرافي الممتاز، وقد تلا سقوطها سقوط ما يحيط بها من مدن وقرى، فبني أول مدينة كبيرة ذات أهمية تسقط في أيدي المسلمين، وقد أثار سقوطها في

نفوسهم الآمال في استعادة ما فقدوا .

صاحب الروضتين، وقد ترقى في حلبة طام ٩٤٨ هـ، راجع ترجمته في

وفيات الأئمَّان لابن خطikan ١ / ١٣٩٤ طبعة عيي الدين مصر ١٩٥٢ م .

وفي أحلام قيلان الجزء الرابع .

(١) الروضتين ١ / ٢٥ .

وقد دعى ابن نمير العلارابي عمار الدين ، وأشاد بفخامة المليون لزها
وأعجب بما له من بطرة وإقام فتقال (١) :

ملك تمام عن الفحشاء حتى
ماداً يسمك ، والأيام تخدمه
حتى تمالت عن الفرعى مشارعه
وقد درى الناس أخبار الكراهم هعوا
أين الخلاف عن فتح أتبع له
على الناس من أسبابه أرج
فتح أعاد على الإسلام يفتحه
حيثى يعمم أنه فحشك

^{١)} الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية يحصر والكام الـكـتـور / أحد
پـدـوى صـ ١٣٧ .

إن الراها غير مغرورة ، وكذا
أحمد الكواكب عزماً يبني ، أحد
حي وافت طل العزم يتحطم
مشمراً وبه الإسلام في قتيل
ياحيى العدل إذ قات نواد به
باقية الله يستعين الزيد بها
أبطال الدين والدنيا خوطها . من دونك هنا ناج لا يهون
واقتفى أمر عاد الدين ولهم نور الدين محمد ، ذلك الذي تحدث معاذك
هذه الفرج ، وصار شيخاً عزفاً أمامهم ، وهو دون ذلك أسد كبار أبطال
الغربة الصالحة .

ومن أعظم الفحاد التي قيلت في نور الدين، وربحت صورته وجعلته مطاعناً لدى جهشة، وبذريش الناس في ظلله في آمن ودعة، تلك الفعيدة التي أنتماماً العمال الكتاب، وهمها (١) :

١) الروضتين ١ / ١٠٠ مطبعة وادي النيل.

مدين بالخيانة ومحضه الله - ينعدس عن قرب مكر أودها
يابن أطاغي الله في خذلانه متارياً من عدوه متاؤها
يابن نقدم في الماء لوجهه علا يبعض في الماء الأوجها
والحقيقة أن التصريح التي منها هذه الآيات قصيدة طوله، وقد عكست
معظم ما يتعلّق به قرر الدين من صفات ، وكلها صفات تحمله عبها إلى رديه ،
عطاها الذي جعله يعطيها في أعين الناس ، وكان على رأس هذه الصفات صفة
السدل ، تلك التي جعلت الناس يعيشون في حل هذا البطل في آمن ودعة .
وقد جمع الله ثور الدين من الصفات ما يشبهه يمكن من إنشاد الصابرين ،
وتقليم أظافرهم ، واسترداد كل ما انقصوه من يد الظلمتين فهو دون ذلك
شديد الالاذ ، وهو أربى بيد الأطراف ، وقد منه الله سبحانه وتعالى آياً فاتحاً
وحياناً وفلا راجحة مبتداً ، وتفويت في السر والعلانية ، حتى يمكن من
أن يسود من عصراً ، ويكتسر على عاده (١)

والحقيقة أن الرؤى قد أفسح ألم ثور الدين ، ولذلك زاد بخطى سبارة
الأداء، يصلة حامة والشعراء، إضافة خاصة ، فكان الشعراء ينتظرون يوماته
ويشيدون بهلاماً ، وله في غالب كل معركه مع الفرج قصيدة أو قصائد منها
تجدد الشعار ، وتنطبع حميد شهادة ، وتقدو بغير لالة وبطولة ، وأيام
الشعراء، فيه تفاصيل طولية لا يذكر .

(١) انظر مقالاً للدكتور عاد الدين خليل ، ثور الدين محمد الطنطاوي إلى
فلسطين ، مجلة العربي عدد جادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.

٢١ / ٢ - الرؤوسين

٢) تدقیق: تراویغ.

ونفعلاً وعفواً، وبعد هذا كله تمكّن نور الدين من تحرير جمع الصليبيين في
الرها... إلّا انتصارات عظيمة خالدة.

وَعَمَّا أَنْشَأَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ نُورِ الدِّينِ أَيْضًا قُولَةَ (١) :

ما فرق شاؤك في العلا من داد فلام يقلع عزرك الإيهاد
هم خرين على السبا سرادقا فالشعب أطباق لها ، وساد
أنَّ الذَّى خطبَ لِهِ حِسَادَهُ
واللهُلَّ مَا اغْرَقْتَ بِهِ الحِسَادَ
ذَهَرَتِ الْدُّوَلَاتُ الْبَلَادَ ، فِرَوحَهَا
وَإِذَا الْمَدَارُ عَوَّالَ الْقَانَ وَأَحْصَدَهَا
بِالْمَقْرَبَاتِ كَانَ فُوقَ سُورَهَا
جِنَّ الْمَلَأَ ، وَكَانَهَا أَطْسُورَهَا
يَهُدِي النَّوَاطِرَ فِي دِجَةٍ تَقْعِيَا
يَدُوِّرُ بِسَرْجَيَكَ زَيْرَ وَقَادَ
أَبْسَطَ دِينَ مُحَمَّدَ يَانُورَهُ
مَازَلَتْ تَسْكُنُ بِهِيَادِ الْقَانَادَ
حَتَّى تَلَقَّفَ هَرَبَوْهُهُ الْبَيَادَ
لَمْ يَبْقَ مَا أَرْهَقَتْ عَزْمَكَ دُونَهُ
عَدَدَ بِرَاعَ بِهِ ، وَلَا اسْتِدَادَ
لَدُنَكَ عَنْ خَطَبَتِهَا الْأَعْوَادَ
وَلَنَّ حَتَّى مُنْكَرِ الْأَعْلَادِ مَهَهَ
قَلَمَ إِلَى الرَّعَى الْوَرَى مَسَادَ
مَلَقَ بِأَطْرَافِ الْفَرِيجَةِ كَلَكَلَادَ
حَامِرَا ، فَلَا يَعْلَمُوا حَوْنَ الرَّدَى
وَرَجَا الْهَوَسَ ، وَلَدَ تَوَسَّ ذَلَّةَ
حَرَمَا يَحَالُمَ ، وَالصَّادَ مَصَادَ

(١) الحياة الأدبية في عصر المروءات الصليبية، مصر والشام، الدكتور أحد
أحمد بدوى ص ١٣٩، ١٣٨.

خط نهاله ، فآخر سحرها بعض تناصب في المديد حداد
وسواعد ضربت بين والفتا من دون ملة أحد الأسداد
ويصفه بعض الشراح بقوله (١) :
بأساعد الطرق والأكمان هاجمة
وابات القلب والاحشاء تضرب
أفتر سيرفك بالإفريح راجمة
فزاد ورمي الكبوى لها يحب
ضرب كلبهم منها بقاصمة
أردى بها الصلب ، وانحنت بها الصلب
غضبت للدين حتى لم يفتوك رضا
وكان دين المدى من حاته الغضب
طبرت أرض الأعادى من دمائهم
طهارة كل سيف عندها جنب
من كان يفرو بلاد الشرك تكتبا
من الملوك فنور الدين محسب
ذو غرة مامع ، ولليل متذكر
لإذرى عن شمس الضحا الحبيب
كينا قمدة حين أطراقنا ظفرا
ذلكك الطبا وليس تخشب

أيدي المسلمين ، ولبس قوشة التي يقوم بها سوي تهديد المعاشر كهربى جليلة ولذلك وضع المسalon آنالم فيه أن يوقفه الله ففتح بيت المقدس ، وبطهور المسجد الأقصى وبرده إلى أيدي المسلمين .

أما صلاح الدين الأيوبي فكان له الخطأ الأدق من الشعر والمدد الأغزر من الشعراء من بين أبطال المسلمين جميعا في الحروب الصليبية ، وذلك لطول جهاده وـ كثرة قتلوه ، وـ استخدام الجند الذي يطلق في قتال العدو الذي حشد له المهم وجاب له الأعداء .

وقد فاز بحسب المسبق في هذا المجال ، وحقق أهداف على يده الكثير من
الإصدارات وأ نوعها . واستطاع أن يرسد بين مصر والعالم نسخه
لأول مرة ، وكان ذلك التوقيع فاختصار عمد جديد في سيل استمرار البلاد المقصبة
ولم يكن يوحـد البلادـانـ لـنـفـرـهـ حـتـىـ آـلـ إـلـىـ جـمـيعـ أحـزـارـ إـمـراـتـهـ
ويستقر الناسـ لـقـنـاقـ الـهـرـجـ ، ويـكـثـمـ عـلـىـ الـهـمـوـدـ ، ويـأـمـرـ عـلـىـ الـتـحـمـلـهـ . وـكـانـ
هـذـهـ الـرـحـمـةـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ سـيـاـسـةـ اـسـتـهـاضـ الـمـسـلـمـينـ . وـقـعـ دـعـيـعـ الـخـاصـ في
صـورـ الدـجـنـ ، فـأـقـلـواـ مـنـ كـلـ حـدـبـ يـرـيدـونـ أـنـ يـسـهـ الـصـوـاـ وـطـنـاـ طـالـ
عـصـابـهـ .

وهي صلاح الدين على رأس جيشه فاتقى بالفرج عند حماه ، وذلت
ذلك هرقل كمipi الإفرنج عسى لترها بين أسير وقتل . وكان من حملة
الفاتقى صلاح الدين أنه لم ينتظر حتى يجمع العدو شمله المايد ، وألاكتمه على
فتح انتصاراته ، وأخذت مدين العدو تسقط في يده مدينة نول الائسترى .
وإذا أن سقطت البلاد البيهية والقدس حتى يمشى عن مناصد الجد . وذهب

إلى يديه القدس بريدة قده، وما كان من المدرو إلا أن طلب الأمان وفتحت
المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين في السابع والعشرين من ذي جمادى عام ٥٨٣ هـ
وهي مكثنا من الله عليه هذا الفتح .

وحب صلاح الدين أنه فاعل العمل الشريف . وقد جعل النزارة
موافق صلاح الدين التي سبقت فتح القدس ، كما وافوا بآيات التلويت تجاه
هذا الفتح . وخدعوا كذلك على مراكز حلب . وبينما أعيتها الكوارث
الدسائين . في المركزة التي ردت إلى المسلمين كرمانthem وأعادت إليهم مسجد
وقبة . ولا يخفي أن يباشر الشهادة في درج صلاح الدين والشأن عليه
وتوجيه انتشاره وأن يباشروا بهذا الفتح .

ومن جملة النعمان العيادة الأصمعياني، يقول في هذه المناسبة يدح صلاح الدين، وينظر معاوركا في حلبيون ويعبر عن سوره وافتخاره بخدمة الفاتح الذي أقدس مقدرات المسلمين (١) :

رایت صلاح الدین افضل من غدا
وأشرف من أخص واکرم من امسی
وقل لئنما فی الارض سمة اغیر

وَلَنْ يَرِي إِلَّا أَنْمَاءَهُ إِنْهَا
جَمِيعَهُ الْحَسَنَى وَشَيْءَهُ الْمُنْكَرِ

وقطعه الكبيرى وعمت القما

١) الرؤوس (٢٠٢) ومحض الأفعال (٨٨)

جندك أملأك السماه، وظفر
أعاديك جنا في المارك لا إسا
حيث على الأرض ردا من القنا
رديبة ملها وخطيبة ملها
ونعم مجال الخيل حطين لم تكن
ماركها الجرد حرسا ولا دعا
كسرتهم إذ صع عزمك فيه
ونكتهم من بعد أحلامهم نكا
برافعة رجد يا أرض جيوشهم
ومارد كابست جالهم بسما
بطرون ذات الأرض صارت قرم
وإن ترض أرض أن تكون خارجا
ومن قبيل فتح القدس كنت مقدسا
فلا عدلت أحلامك الطير والقدس
زعمت لباس الكفر عن نفس أرضها
وابسها الدين الذي كشف إليها
جري بالذى تبرى القضا، وظاهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الحسا
وتدل هذه الآيات على المعنى الذى قد [إلى]ه عاد الدين فى سلامه
ووضوح، ودللت كذلك على ما كان فى نفس عmad الدين من أمانى، وقد عهد

عن كل ذلك من خلال مباركة خططات صلاح الدين .
وعما قبل في تجديد بطاقة صلاح الدين مقالة الشاعر ابن الساعدي يصف فيه
فتح صلاح الدين القدس . يقول (١) :

عصفت به ريح الخطوب تعازياً و فلقين طلوراً لافت أناه
هو متقدّ البت القنس بعضاً و ملأت، فاوجد الشفاء شكانه
أشئت الأعداء وهي جهازه و عن شمل دين حست أشئاته
أوقعت هرما في المخرب مبدعاً لازفة يشقى ولا هفواته
أشحنت بالبيت المتقى ويزبـ و إك الفسال حكيمه حستاته
هدى سيرفك محمرات دونه و ليكتثر تبسمه مجراته
و بن مدحوا صلاح الدين الشاعر أساسه بن متقدّ، فله قصيدة فيه جرت
عجرى قصائد الشعراء الآخرين، حيث وصفه بشناسير الدين في الوقت الذي
تمضي فيه الكتب، و من بينها:

يقول يدحه وبشر بفتحه القدس (٢) :
باناصر الاسلام حين تعاذلت هـ منه الملك وظاهر الاعان
بك قد اعن الله حرب جرده هـ وأخذ حرب السکفر والطفان

- ١) الحلة الأدبية في عصر المروءين الصليبيين بمصر والشام، الدكتور أحمد أحد بيروى ص ٤٤٥.
- ٢) خريدة الفخر وجريدة أهل مصر، لمياد الأستاذ، قسم شعراء الشام، تحقيق الدكتور سعفان فتحى فيصل ١٥٠ - للطبعة الخامسة بدمشق ، الطبعة الأولى، النشر باسم الجمعية الفخرية بمصر ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

وغضوه الذي أعلتكه . الحسكم غصبة تأثر حزان
أوريضي الشاعر في مدحه للقائد فناء يطرق آهلاه جديدة لم يسبق إليها ،
إذ يدحه بما قام به من بدل الأموال الطائلة لغيرهم الجيوش ، ويحملها على
آهله الاستهدا ، حيث كانت الأموال قبل الفتح أعلم صلاح الدين خازنة
في خزينة المال لا يستهدا بها في تحير الجيوش .

يقول (١) :
وبذات أموال الحزان بعدها . هزمت وراء خروج الحزان
ومن مع كل مجاهد وعماله . وبمساره ومتارئ الأكران
من كل من برد المروب بأرضه . عصب ويسعد وهو آخر قلن
ويغوص بيران الوفى وكأنه . ظلآن غاضب موارد الندران
وعن مدحوا صلاح الدين الأيوبي وبهلا وفاته وانتصاره العاجز ابن
ستاء ذلك (٢) .

١) المصدر السابق والمصفحة نفسها .

٢) من شعراء مصر الأعلام في حصر صلاح الدين وخليفة الله . وهو ابن
القاضي هبة الله بن الرشيد جعفر بن المستند ستاء ذلك السادس ، ولد سنة
٤٠٠هـ وهو من أصحاب البديع في مصر ، وقد أخذ عن القاضي الفاضل
طريقته في النظم ، وأخذ الحديث عن المحافظ الماني ، وكان له فضل ذكر
وحب للأدب وطبع في الشعر ،نظم الشعر قبل المشرين من عمره ، له
ديوان شعري ، وله أيضا ديوان مركبات سماء ، دار الطراز ، قال عنه
ابن حجة المجرى : « وللاعب في التوردة باخراجات يسكنها في طرز »

وله قصيدة طريرة يشيد فيها بصلح الدين بتوسيع مصر والقام، لما أعادته للإسلام من قرة وعزة، وفي القصيدة نفسها يصف الفاتح جيش صلاح الدين والحق أن لابن الساعدي أكثر من قصيدة يصف فيها جيش صلاح الدين.

يقول من قصيدة له يصف صلاح الدين ويشيد به بدوره في حرب

الصليبيين (١) :

ملكت أقاليم الملك، وإنما سيرت، وأملأك الأقاليم يوم
طالت عليهم الصباح من النهاية .. يحيط به ليل من الفتن مظلم
فناه صباح المندرين ، لأنهم .. صباح به لزق الأسنة أحمر
وجيش به أسد الكبرية غضب .. وإن شئت عopian النية حرم
إذا فاتلوا كانوا سكرانا مجاعة .. ولكن ظلام في الرقاب تكلم
ضررت بهم قوما ناما جهالة .. فلا نائم إلا وأيقظه الندم

= أياهه ، د.خوانة الأدب من ٢٤٤ طبعة مصر ١٩٩٤ = وقال عنه ابن
خلكان : « وافق في عصره مصر جماعة من الشعراء العبيدين ، وكان لهم
 مجالس يجتمعون فيها مفاكيرات ومحاورات يروق حاضرها .. وكانت
 يجتمعون على أرقة ديش ، وجرت لهم عاقل سطرت عنهم » « وفيات
 الآباءان ٥ / ١٢٢ ، طبعة محي الدين ، مصر ١٩٥٢ ، وقد مدخل صلاح
 الدين وأعاده توارثه والقاضي الفاضل ، وكانت بينه وبين الآخرين
 رسائل ، وتوفى عام ٦٠٨ ». = ٢٠٠ =

(١) الحياة الأدبية في مصر الحروب الصليبية ، الدكتور أحمد بدوى

ألفت دوار الكفر غروا ، فقد هذا . . . جرادك إذ ياتي إليها يهدى
وَمَا يعزمُ الْكَفَّارُ عَلَيْكُمْ حَسْرَتِهِمْ . . . وَلَا هُنْ بِهِ بَدِيكُمْ
وَلَمْ يَدْعُوا الشَّرَّا . . . صَلَاحُ الْدِينِ الْأَبْرَزُ شَرْبٌ ، وَلَمْ يَدْعُوا كَثِيرًا مِنْ
أَثْنَاءَ لَسْرَتِهِ وَغَيْرِهِمْ عَنْ عَادِهِ الْمَزْرُوبِ هَذِهِ الْفَرْجُ . . . وَأَكْبَرُ هُؤُلَاءِ الْأَطْبَالِ
هُدُقُ الدِّينِ عَزِيزٌ شَاهِدُهُ الْمُزْرُوبُ هَذِهِ الْفَرْجُ . . . أَنْقُلُ أَنْقُلَ الْفَتَالِ ، عَلَى إِنْهِ كَانَ يَحْمَرُ
وَلَا يَخْتَمُ قَطْ بِعِلْمٍ غَرَّةً . . .
وَعِنْ بَعْدِهِ بَطْرَلَةِ الْقَدِيرِ الشَّاعِرُ ابْنُ الدَّاعَائِي لَمْ يَقْسُلْ بِصَفَّ شَخْصِيَّةِ
أَنْقُلُ الدِّينِ وَيَسْجُلُ دَسَانَهُ وَمَكَانَهُ فِي جَيْشِهِ (١) :

لَوْلَا بِسَائِنِهِ لَمَا ظَمِنَ . . . أَسْلَ الْفَرْجِ إِلَى دَمِيْنِ
سَلَ عَنْهُ إِذْ دَلَفَ الْفَتَاهَ غَدَاهَ الْمَدَاهَ مَدَاهَ سَاعِدَ عَيْلَ
وَأَعْدَادَ يَوْمِهِ كَامِسَ ، وَلَيْتَ النَّسَابَ لَا يَنْفَعُ عَلَى ذَهَلِ
أَبْيَقَ لَبِيْنِ أَسْدَ الْفَتَاهَ ، فَلَمَّا أَبْيَقَ وَظَلَ حَدَّةَ الْفَلِ
حَتَّى كَانَ دَوْرَمَ خَافِقَ . . . مَذْكُونُ أَمْلَالًا بِلَا أَمْلَالِ
كَمْ طَمَّةَ لَكَ فَيُصْلِحُ حَدَّتَ . . . كَلَارِهِ ، وَمَقَالَةَ فَصَلِ
يَنْتِ رِوَاطَ الْجَيْشِ مِنْكَ دَيْرِدَ الْجَاسِ ماضِيَ الْمَدَ وَالْمَلَلِ
يَلْقَى أَعْدَاهُ بِجَاهِزَةٍ . . . وَيَعْيَدُ سَطَوَرَهُ مِنْ الْمَهْلِ
يَلْقَى ، فَوْرَجِي ، سَطَوَرَهُ وَنَدِي . . . وَجَابَ فِي جَدَ وَفِي هَرْلِ

(١) دِيرَانِ ابْنِ السَّاهَانِ ، تَحْقِيقُ أَنْجِلِسِ الْمَقْدِسِ / ٢٠ الطَّبْعَةُ الْأَمْرِيْكَيَّةُ

والمقيقة أن الشعراً قد التقدوا حول ثلاثة من سلاطين هذه الدولة وهم : « بيرس » و « قلادون » و « الأشرف خليل بن قلادون » فجدوا بطرولتهم، وأشادوا بمعدهم، وجعلوا اختواراتهم في الحرب، مقتنة بالإكبار والتعظيم والإجلال والإعجاب .

فيا أنت به على جهود بيرس في حرب النصارى ، وما جاء في وصف جيشه قوله أبي محمد الراسطي (١) :

فهل الأفق للشام ملام .. طرذها البروق بالإيمان
وكان الرعدوا لزمام نور .. فصلت دوتها يشات الفاض
أو سبيل العياد للملك الغلام .. هر تسرى بالجملل التهاون
وللمصروف قلادون من الملوك الذين آبوا بلاد حستاق في حرب الصليبيين ،
وقد معنى الشعراً المعنيون بتصراساته يصوغون له المدح عقراً ، ومن هؤلاء

شہاب الدین محمد الذي يقول فيه (٢) :

عليينا من أولائك فمهن التکر .. لائل للإسلام يا سيفه ذخیر

ومنا ذلك الإخلاص في صالح الدعا

إلى من له في أمر نصرتك الاس

وفه في إعلان ملكك في الوري

مراد ، وفي التأييد يرمي الرغى من

ألا مسكننا يا وارث الملك قلبك

جهاد العدا لاماوار لي به الدهر

(١) فرات الرقيات ٢ / ١٤٩ ، مطبعة بولاق ١٢٩٩ م .

(٢) التぐم الراهنة ٧ / ٣٢٢ ، طبعة مصر ١٣٥٣ م - ١٩٣٥ م .

وعما قبل في التصور فلا دون (١) :
تب الألف ، ولا تباب لها ، ألفا إذا لاتب في الصف
ألف وألف في ندي ووغي ، فلأجل ١٣ سوك بالآلي
وحيثفتح فلا دون حصن للرقب عام ٦٧٨ ، تجده يفتح حصنًا مشهورًا
بالنعة والمحاصنة . وـ، أقبل الشراك عليه يهدون يهاده ويهدون يهطلونه
ومن بين الشعراء شهاب الدين محمود ، يقول (٢) :
الله أكبير ، هذا النصر والظفر
هذا هو الفتح لا مatum السر
هذا الذي كانت الآمال إن طمحوا
إلى الكواكب ترجوه وتنتظرون
فأهض وسر وأملك الدنيا قد تحطى
شوقا هنا يراها وارتاحه السرور
كم دام بذلك هذا الحصن من ملك
فضال عنه وما في باعه قصر
وكيف تنهى الأيام عليك
كانت لدولتك الزرقاء تختبر
وكيف يسمى إليها من تأخر عن
[ساميده منجدك : القدر والقدر]

(١) فرات الوفيات ٢ / ٢٢

(٢) التحريم الراهنة ٧ / ٢١٧

غَرِّ الدَّنَا مِنْكَ حَسِّلَ تَهَهُّم
لَا شَفَرَ الْبَرَقَ مِنْ تَحْجِيلِهِ غَرَّ
لَهُ وَإِنْ أَشَبَتْ لَعْنَهُ الْيَمِّ سَرِّي
مِنْ الْوَاصِفَ لَاتِيسَقِي وَلَا نَدِّي
وَظَاهِرُ الْأَشْرَفِ خَلِيلُ بْنِ قَلَادُونَ يَقْدِيرُ الشَّعْرَاءَ كَذَلِكَ ، فَعَنْهُ
يَصْرُورُونَ بِسَالَةٍ وَبِسَاعَةٍ ، وَلَمْ لَا وَقَدْ اسْتَولَ عَلَى آخِرِ أَمْلَاكِ الْمُلْكِيِّينَ فِي
الشَّرْقِ وَهُوَ تَفَرَّعُكَ؟
يَقُولُ شَاعِرٌ فِي ذَلِكَ (١) :
فَلَمْ رَوْتْ حَصَنًا سَابِقَتْكَ كِتَابَ
مِنْ الرَّعْبِ أَوْ جَيْشٍ تَقْدِيمَهُ التَّعْرِ
فَنِّي كُلَّ قَطْرٍ تَمَسَّداً وَجَهْوَتِمْ
مِنْ الْمَوْرِي أَسْيَانٍ تَجْرِيدَ أَوْ حَضْرَ
فَلَا حَسْنٌ إِلَّا وَهُوَ حَسْنٌ لَأَنَّهُ
وَلَا خَبَبٌ إِلَّا لَأَرْوَاهُمْ قَبْرَ
وَيَقُولُ بِعَذْنِيهِ فِيهِ (٢) :
مَاقِمُوا مِثْلَ قَسَاءَ ، وَلَا هُوَ مِثْلُ الَّذِي خَلَقَهُ خَلَقُوا
فِيهِ عَلَى الْأَمْلَاكِ تَفَرَّعُهَا . . . تَلَفَّ ، فَأَنْتَ لِلَّذِي أَشْرَفَ

١) فَرَاتُ الرِّيفَاتِ ١ / ١٥٥ .

٢) نَهَايَةُ الْأَرْبَابِ ، الْتَّوْرِيرِيِّ ٢٩ / ٥٠ طَبِيعَةُ دَارِ الْكِتَبِ الْمَصْرِيَّةِ .

ومنكنا مجده الشعراء الأبطال ، وأشادوا بهم وسجادهم ، وخلدوا في
القصائد مآثرهم . والحق أن شهداء الشهادة على الأبطال لم يقف عند كبار
الأبطال حسب ، ولكنهم عمدوا كل من دافع عن بلاده ضد الإفرنج ، أو مد
أيديه لاستنفاذ البلاد للقتيبة ، وإن لم يتحقق لهم من النجاح مثل ذلك الذي
تحقق للأبطال العظيم ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ما كان يتتجاوز
في نفوس المسلمين يومئذ من رغبة ماضية في استرداد ما فقدوا المسلمين من

بلاد (١)

ولا يقوينا أن نقول إن الشعراء في مصر الحروب الصليبية كانوا يتابعون
الماءوك الذين تدور بين المسلمين والإفرنج ، وكانوا يتابعون أيضًا نظرًا ورما
وكانوا يقرون براجحهم خير القيام ، قيصر حرب القراد والأبطال ويستشهدون
أفهم ، ييد أن مذهبهم كان كسابقه ، ظالمدوح فاتم الانتصار على أعدائه يعز
الإسلام ويرفع رايته .

ومن ذلك فيمكن أن نقول إن شعرهم يتميز بصدق العاطفة وحرارتها ،
فيه حين يقولون شعراً لم يقولوه من منطلق الطمع في الماء ، أو انتشار
هذا وما إلى ذلك ، وإنما كانوا يلتزمون بدافع من إيمانهم ورغبتهم الصادقة
في نصرة الإسلام ، واسترداد مقدسات المسلمين . ومن ثم بدت تصريحهم بكل
البعد عن التكلف ، المناسبة التي نظم الشاعر فيها تصريحاته كانت تتطلب منه
التصريح عن الفرحة والسرور لما حققه المسلمين من انتصارات عظيمة ، ومن

(١) انظر الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام
للأستاذ / محمد سعيد كيلاني .

ثم كان على الشاعر أن يقدم قصيدة يوحى من ماقوله الصادقة دون أن يتكلف .
ومن الملاحظ أيضاً أن المعانى التى شاعت فى المدح بالبطولة والى تعبق
إليها الفروع فى قصائدكم كانت تدور حول الشجاعة وشدة البأس ، والحمل ،
والآلة والمسكينة والعدل وكيفية ذلك كلها بالحديث عن قيام هؤلاء القواد
بشعرة الإسلام وتعظيمهم على إلحاق الفرج لهم بالصلودين .. فكل هذه
الصفات تكفل دون ذلك بطيحة الموضوع الذى يتحدث عنه الشاعر وهو
المجاهد ونصرة دين الله .

وهناك ملاحظة أخرى يتبعى أن نشير إليها ، وهى أن شعراء المدح فى
هذه الفترة كانوا يربطون بين عدوهم وبين الشخصيات الإسلامية المطلوبة
أى أن كان لها قسيب فى جهاد المشركين ، وقد دبروا بين المارك الصليبية وبين
المارك الإسلامية الكفرى كورة بدر وغيرها ، والمدى من ذلك كله إنما
هو خذ نفس واستئنافها ، والى عل موصلة الجماد ، والصبر عليه ، منها
كانت النتائج ، ومهمها كانت التضحيات .

وهكذا بعد الشعرا ، أجيال المدحوب الصليبية الذين صرفاً معظم جهودهم
في إضعاف المسلمين وقطع آثارهم واسترداد ما استطاعوا استرداده بما
الخصوص من بلاد ، كما استطاعوا أن يرموا سمات هؤلاء الأبطال . ويدو
أن هؤلاء الأبطال قد ثابوا في أحدائهم ثابوا جعل الشعراء يخلدون عليهم
كل ما يعبر فرنه من صفات متالية ، فهم جميعاً دون استثناء أجيال شهدوا أن ،
أفتقاد كرماء ، وهم ذينة مصر وحال الدنيا .
وقد يصعب - نتيجة لهذا الشاب - أن نغير به بطل وآخر ، أو أن نلح

فروقاً دقيقة بينهم ، الأمر الذي يصعب معه تعيين أحدهما عن صاحبه . ولو لا
السجات التاريخية التي تربط الملك من الملك ، أو السلطان من السلاطين
بعوقيمة من الواقع ، أو بالنصر من الانتصارات ، أو جزئية من المراائم ؛ ولو
ذلك لامكناً لكل واحد أن ينقل شرهاً قبل مثلاً في عاد الدين ويزعم أنه إنما
قبل في نور الدين محمود ، أو في صلاح الدين الأيوبي .
والضرر ، مع كثرة ما افتقدوه من شعر لم يستطعوا أن يذكر النها صورة
نبيلة الماء ، وأخصه القصبات أكل بطل من أبطال المuros الصليبية على حدة
وربما كان التقليد الذي سار عليه شعراء الماء العرب أثر في ذلك ، ولو أن
شعراء الماء الصليبي كانوا على درجة تعلمهم يتضورون الشعر للتعنى
والقصصي والتأثيل لامكناً لهم أن يجدوا بين بطل وآخر .

راماً : النأس والخسر على ما أصاب المسلمين :

لم يقف الشعراء عند حد تصوير المارك ودمج أفعال الحروب ، ولكنهم راحوا يرصدون ما أصاب قلوب المسلمين من تصر ، كما يصرون أنفسهم وأسماهم على ما أصاب المسلمين من فتن وخلاف ، وما نزل بهم من تواليه وما دب في صفوفهم من تفرق .

والحقيقة أن عروضاً كبيرة قد مرت المسلمين ، وكانت تثير الألم وتبعث الحسرة والتذكرة ، ففي هذه بلاد المسلمين تستقطل واحدة تلو الأخرى في أيدي الفرج ، وهذا هو الخوف يهملك الشعراء نتيجة لهذا التحرب الذي أحدهاته أيدى الإفرنج في بلاد المسلمين ، بل إن المسلمين أنفسهم قد اهبطوا إلى غزو وبعث بعض البلاد بأيديهم حتى لا ينفع فريسة في أيدي الفرج ، وغير هذا وذاك غالبه وقع أليم في نفوس المسلمين وفي نفوس شرطتهم . وقد حاولت أن خرب الإفرنج مدرسة العنان ، ونتيجة لهذا العمل الذي نجح ألاسي بضم المسلمين ، وقتلوا ، قلوبهم بالحرزن والأسف ، وقد يكاهما شاعر من الشعراء وتأسف على ما لحق بها من خراب فقال (١) :

هذه صاح بلدة قد قضى الله عليها ، كما ترى بالحزاب
وقف اليدين وفقة والبك من كان بها : من شيوخها والشباب
واعتبر إن دخلت يوماً إلهاً هـ فإن كانت منازل الأحباب
وحين سقطت مدينه دبباط في أيدي الأعداء ، وأصبح من ثم الطريق

(١) النجوم الراحلة ٢٠٠ طبعة مصر ١٩٣٥ م ١٣٥٣ م .

مفترسا إلى مقدسات المسلمين ، هنا عاصي المفشم يحيى على بيت المقدس وأخذ
تبيحه لذاك يغزو الموضع التي من الممكن أن يتقوى بها الفرج في حالة
احتلالهم لبيس المقدس . وكان لهذا الحديث وقمة الأليم ، كما كان باختصار
الخسارة والندامة ، فيه بلاد المسلمين تحطم وتغرب في غير رحمة .

وفي ذلك يقول شاب الدين أبو يوسف بن الجادر (١) :

أعني لارق من المسارات حل بالبكاء الأصال بالبكاءات
لعل سيرك النعم يطفئ فيها فبعضها
ويما ينفع ، أسرع غار وجدك كلها
ويما ينفع ، يخ بالشجو منك لعله
على المسجد الأقصى الذي جل قدره
على موطن الإغبيات والصلوات
تقاضي ما في الأرض من صفات
على الثلة الأولى التي انتهى لها
علي خير عمور وأكرم عاص
بها المسجد الأقصى المبارك حزنه
عنما يدعا قد كان للخير موسم
والخير والإحسان والفسرارات
يرافق إيمانه كل أشياعه يات
لمسه ولده بر دام الخوارث
اخلا من صلاة لإيصال مفيمها
بروش بالآيات والسوارات
خلال من حنين التائبين وحرثهم
لبيك على القدس إلاد بأسرها
وتعلن بالآسورات والترمات

(١) الروضتين ٢٠ / مطبعة وادي النيل .

لنك على مكة في آخرها
لنك على محل القدس طيبة
لقد شتتوا عنها جماعة أهلها
وقد دمروا بعد اصلاح بهمها
لقد أخذوا صوتاً وصيناً آثاره
فإن لي بنواح ينبع عمل الذي
يردد يسا الخزراعن قاله
مدروس آيات خلق من للاوة ومبزل وهي مقرر المرصاد
والحقيقة أن هناك أشعاراً كثيرة تكس الألسن والسرور على ما أصاب
للسلجوك من كوارث ، وما انتابهم من غواص ، وما حل بهم من ضعف
في هذه الفترة من الزمان ، وعنانك أشعار أخرى تصرخ من ملازم المتخاذلين
الذين آثروا الفساد وعدم الخروج لـ مكافحة الإلحاد ، وقد وصل الشعر في
تبشيره عن الأمي والخمرة حين يوازن بين أعداد جند المسلمين وأعداد جند
الذنادير الإلحاديين ، وبهذا يختتم الشاعر من هذه الظاهرة لزوم الاستئصال هم
للسليمون وهم على العصبية والفتنة .
وقد تصورت الحمراء في بعض الأشعار إلى ذريعة تمكّن الخوف والرعب
الذين يهانون البلاد وإعلان القلوب ، ومثل هذه الأشعار تحدث في غالب
الأمم عن تجهيزات العدو ، وما يقرب على هذه التجهيزات من عطف وقصوة
وتمدد وغريب ، والشاعر يعتمد من هذا ذريعة للدعوة إلى اجتماع الكلمة ،
وتوحد المصروف ، وتضيق القوى .

ومن ذلك قول عماره اليبي (١) :
 يارب لي أرى مصر قد انتبهت
 لما هيون الأحادي بعد زندتها
 فاجعل بها مساة الإسلام يانة
 وأحرس عقود المدى من حل عقدتها
 ودب لذا ملك عمونا نستغير به

من فتنه ينطلي جسر وقناها
 وهذا شاعر آخر يعدد أعمال الإفرنج الذين بالغوا في ارتکاب الجرائم
 وانتهاك الحرمات ، والتروم في احتلال المدن والإغارة الدائمة عليها ، الأمر
 الذي جدد على العالم الإسلامي ألم وحزنه .

يقول (٢) :
 أهل الكفر بالاسلام منها يطهول عليه الدين التعب
 بحق صالح وهي مراجح وسيف قاطع ودم صيب
 وكيف مت سلم أمري سلبا وسللة لها خصم سلب
 وكيف من مسجد جملوه ديرا على عزرايه نصب الصليب
 دم الخنزير فيه لهم خلوق وتحريق المصاحف فيه طيب
 أم سور لوتالمن طفل طفل في هوارضه الشيب
 أبي المسلمين بكل تفسير وعيش المسلمين إذا يطلب

(١) اختارات من ديوان عماره اليبي ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) العموم الراهنة ٤ / ١٥١ .

أمامه والاسلام — ق يداعم عنده شان وشيب؟
قبل لذى البصار حيث كانوا أجيروا الله وحكم أجيرا
وزداد التائب ويقوى التحرر حينما يفقد المسلمين بطلان من أبطال
كفاهم أمام الأفرنج ، فيكون رثاء الشهاده لهذا البطل بمحاجة صرخة حزن
تصدر أنى الناس وبكم على من قدموا من فرسان وأبطال .

فهذا العاد يقوى في موت نور الدين (١) :
 الدين في ظلم الخليفة توره والدهر في غم الفقد أسيمه
 فليت Nichols الاسلام حالي أصله
 والشام حافظ ملكه ونوره
 ما أعلم المغارب في أحباره
 إذ كان هذا القطب في مقدوره
 ما أكثر المؤسفين لفقد من
 قرت نوااظرهم بفقد ظاهره
 ما أغبر الناس في تسليمه
 أو ما كفاه الموت في تنكيره
 من المساجد والمدارس باقية
 من ينصر الاسلام في غزوته
 أو ما عذرته من قلبيه من خلوص خبره
 أو ما وعدت القدس أشك مجزع
 فقد أسيبه بركته وظاهره
 من الهدى يعني فناك أسيمه
 من قدرخون ومن لامر ملوكها
 أو ما يدعى بـ مهر

فتى تجبر القدس من دنس العدا
وقدس الرحمن في نظره

حاماً : النصر والخاتمة :

ليس من شك في أن الاتهامات في المروء والمراكب التي دارت بين المسلمين والصليبيين كانت مثار خبطه واستبهار في نفوس المسلمين بصفة خاصة وفي نفس الأبطال والقادة بصفة خاصة، ومن الغريب إلى هؤلاء الأبطال أن يستمعوا إلى تسييل أطماعهم، وانشق بأيديهم، فائف حرطم نتيجة لذلك عدد هائل من الشرفاء، وأخذوا هؤلاء الشففاء يتحمرون في أشجارهم ويقتربون بانتصارات هؤلاء الأبطال.

ومن هؤلاء الشففاء طلائع بن رذيك وأسامة بن منقذ، فقد تماس كل منهما في شعره والفتور، ومن أروع ما كتبه طلائع بن رذيك يختصر في سبع أبيات بهذه عبلي الفرج، وما أحرده بيته من نصر، تلك القصيدة التي أرسلها إلى أسامة بن منقذ لكي يخبر بها نور الدين حين رغب الصالح في الاتفاق مع نور الدين في مقاومة المد والجزر عليه.

ومن هذه القصيدة قوله (١) :

خبول إذا ما ظار قتـ مصر زاغـيـ عـدا ظلـوا التـصرـ طـلـيـنـ مـلاـزمـ
جـيـرـشـ أـفـنـاـهـ اـعـتـراـمـ وـيـمـدـدـهـ ظـاطـعـنـاـمـتـمـ وـمـنـاـعـرـاـمـ
إـذـاـمـ آـمـارـوـالـقـتـعـ ظـالـمـ حـاسـيـ وـإـنـ جـرـدـواـالـأـسـيـافـ ظـالـمـ بـاسـ
وـلـاـ وـطـرـاـ أـرـضـ الشـاءـ حـالـفـتـ وـفـاحـتـ جـيـومـاـعـرـبـهاـ وـالـأـمـاجـمـ
وـدـاجـمـهـ جـمـعـ الـفـرجـ بـحـصـلـهـ وـثـرـنـ عـلـىـ الشـجـانـهـنـاـ وـالـمـزـاجـمـ
ظـفـرـمـ ثـرـقـ الـأـسـنـةـ وـأـطـلـوـاـ عـلـيـهـمـ فـلـيـتـحـمـمـ مـنـ الـكـافـرـ نـاجـمـ

(١) انظر الآيات في : «أولاً : شعر المغيرة إلى الجياد».

وَلَمْ يَكُنْ أَبْطَالَ الْمُلْكِينَ الَّذِينَ أَبْلَوْا بِلَادَ حَسْنَةِ الْمُرْوُبِ مُهْدِ الْمُصْلِبِينَ
عَا جَهَنَّمَ لِفِي الشَّرَاءِ مِنْ تَصَانُدِ تَهْمِيدٍ بِطَرْلَاتِهِ، وَتَشْبِيدٍ بِلَائِمِهِ، فَرَاحُوا مِنْ
جُهْنَّمَ يَطَّلِبُونَ مِنَ الشَّرَاءِ أَنْ يَنْظُرُوا عَلَى أَسْلَامِهِمْ شَرًا يَسْجُونُ فِيهِ مَهَارَكِمْ
وَيَصْوُرُونَ فِيهِ تَصْحِيَّاتِهِمْ.

فِيهَا دُرُّ تُورَ الدِّينِ مُخْرُودٌ، زَرَاءُ يَطْلَبُ مِنَ الشَّاعِرِ الْبَيْلِ أَسَمَّةَ بْنَ مُنْقَذٍ
أَنْ يَقْرِئَنِي تَصْيِيدَهُ عَلَى لَسَانِهِ، يَتَحَدَّثُ عَنْ فَتْرَحَاتِهِ، وَيَفْتَحُ فِيمَا يَأْجُادُهُ،
فَكَانَ أَنَّ أَنَا أَسَمَّةَ بْنَ مُنْقَذَهُ فِي ذَلِكَ تَصْيِيدَهُ طَوْلَةً بَلْعَ بَحْرَجَ أَيْلَامَ سَعْيَنِي بِهَا.

يَقُولُ فِي مَطْلُومِهِ (١) :

أَنِّي إِنَّمَا أَنْ يَكُونُ لِلَّهِ الْأَكْرَمُ • لِتَحْيَا بَنِي الدِّينِ، وَيَقْتُلَ الْمُصْرِفِ
وَلَمْ يَكُنْ لَّا أَيَّامٌ لَّيْلًا زَرْوَهُ • وَيَنْقَادُ حَارِقًا فِي أَزْمَنَةِ الدَّهْرِ
وَغَصْنَعُ أَهْنَاقِ الْمُلُوكِ لَعْزَنَا • وَجَرِيجًا مِنَاهُ عَلَى بَعْدَنَا الْمَذْكُورِ
وَمَاقِي مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ بِصَاحِدِهِ • سَوَانِ، فَإِنَّهُ حَرْزٌ، وَلَا قَرْ
جَعْلَكَ الْجَهَادَ هَنْسًا وَأَشْتَدَنَا • وَلِمَ يَأْتُنَا عَنْهُ السَّبَاعُ وَلَا الْخَرْ
وَمَنْهَا أَيْضًا قَوْلَهُ :

بَنَا أَيْدِيُ الْإِسْلَامِ، وَازْدَادَهُنَّهُ • وَذَلِكَ لِنَامَ بَعْدَ مَرْتَهِ الْمُكْبَرِ
قَطَّلَهَا الْمُرْسَلُونَ حِينَ سَارُوهُمْ لَهُ • تَحْفَتُ بِهِ الْقُرْسَانُ وَالْمَسْكُرُ الْمُرْ
وَمَنْ أَسْرَنَا الْمُرْسَلِينَ وَلَمْ يَكُنْ • لِيَخْشَى مِنَ الْأَيَّامِ نَابِيَّةٍ تَسْرُدُ
وَكَانَ يَقْنَعُ النَّرُ أَنَا نَوْسَهُ • بَيَالٌ، وَكَمْ ظَلَنَ بِهِ يَوْلَكُ النَّرُ

١) الحياة الأدبية في عصر المروء المصلوبية، الدكتور / أحمد بدوى ص ٣٠٥
وَدِيرَانِ أَسَمَّةَ بْنَ مُنْقَذٍ ص ٢٠١ وَمَا يَمْدُهَا وَ

ظلها استينا ملوكه وبلاده ... ولم يبق مال يستباح ولا ثغر
كحلاهم بني الأجر في فطنا به ... وفي مثل ما قد ناله عز الدين الأجر

وحدث أيضاً أن طلب نور الدين محمود من المارد الكاتب أن يتضم تصمدة
على لسانه يفتخر فيها بيهاده ضد الصليبيين ابرسليها إلى بغداد، فأنانا المارد

قصيدة يقول فيها (١) :
من ذا الذي سار سيرى في ولاكم
فذاته قال العذا : لاسير عند حما

قد نال عم ذلك محمود بسما طفرا
مازال يرقبه من قتل مرئها

من خوف سلطوه أن المدو إذا ...
أم التفرد على اعتابه تكها

هذا ويتبين أن تشير هنا إلى أن شهر الفخر والخاتمة الذي أفرزه المارد
الصليبي يختلف اختلافاً كبيراً عن شهر الفخر والخاتمة الذي قاله الشعرا

العرب في الجزيرة العربية ، ولم يكتب في ذلك [فأ] يرجى من إلالي بالبعث في
الحالتين ، فيما تشتهر شهر الفخر والخاتمة عند العرب [إذا كان مرزاً إلى المصيبة
القبلية ، أما النافت حل هذا الشهر في عصر المغول الصليبية فإنا هو الدين
وليس شيئاً آخر .

ومن شهر أسامة بن منقذ الذي يفتخر فيه بفتحه عاصمة وأسسه قوله (٢) :

١) الروضتين ١ / ٤١٨ مطبعة وادي النيل بمصر .

٢) ديوان أسامة بن منقذ ص ٢٠٩ .

أنا ناج فرسان الطياب ومن يوم
 نجت أوانيك ملك كل منسوج
 قرم إذا ليسوا الحديد عبيض من
 بعمر تداعق في لطى متوجه
 صير إذا ما خانق مفترك القنة
 فرجت سيرفهم مطبق التموج
 وإذا رجعوا تم التصر صدقاً
 بطيء باسم رجل للترحبي

وقوله (١) : إن يمسدوا في السلم **هـ** ذاتي من العز المليق
فيها أم——ين النفس **فـ** يوم الوعي بين الصدوف
فقطاناً أقدمت [فـ] **هـ** ذات المعرف على المخوف
بزعة أمعى **هـ** **لـ** حد البيروف من السيفوف
ويميل لتجاهته ، ويرفع سر إقاماته فيقول (٢) :
يميل في الإقام رأي مفتر **هـ** أراهم إذا قروا من الموت أحلا
أثير جر الفتن عند انتهاه حياته **هـ** وإن فرعون ورد المتبعة من حلا
إذا أثارت لمرت ق حومة الوعي **هـ** فلا وجدت نفسى من الأوت متولا
ولكن إذا نازلت **كـ** كثيش كثيبة **هـ** فاست **أـ** أول أيام أولا

١) الديوان ص ٢١٢ .

٢) الديوان ص ٣١٨

سادساً : الزناد :

وكان الزناد من بين أغراض الشعر يومئذ، وتنعى به زناد الشعراء، لإنما
المحرب الصليبي. وأزتاد هنا مثل المدح، فهو تمجيد للبطولة في القائد الذي
رجل، ويبيان لصفات القيمة التي كان عليها، هذا من جانب ومن جانب آخر
فإنما هو يمثل الروعة والمرارة على فقد هؤلاء الأبطال الذين وأصلوا المبهاد،
ودعوا إليه، وأخذدوا يقاربون الصالحين، ويصعدون في فخالم، فصدروا
 بذلك ما أهدروا الله عليه .. والشعراء في بكلامهم على هؤلاء الأبطال حينما ينزل
 بهم لورث إنما يعتقدون أن الحسارة فيما ليس بحسارة في فرد.

وقد ظهرت في مصر العصر الذهبي بعض الشخصيات الإسلامية
المظيرة، تلك التي قاتلت المسلمين، وحققت لهم الكثير من الانتصارات
الباهرة، وجعلتهم بمقدار التفرق والتشتت، وكانت المسلمين من استهادة
للفداسات التي أخذت منهم .. وواجب الشعر أن يقف نادماً متندماً يجرى بهطل
من هزلا، الأبطال، وأن يسجل له ماقسمه في حياته، مما يخلد ذكره، ويضنه
 أمام الخلف قدوة صالحة، وليس بشرف على شرامة المسلمين أن ينظروا
 الآمن والروعة على هؤلاء الأبطال، وأن يتحضروا عليهم، ويدركوا ما أترم
 بعد موتهم، لأنهم بذلك إنما يصورون آلام المسلمين، وبمكشون لوعتهم على
 فقد مثل هؤلاء الأبطال.

ومن الشخصيات المظيرة التي زنادا الشعراء عباد الدين زنك، ذلك
 الذي اسع سلطانه وتفوزه على حساب صون الصالحين، وقد استطاع أن
 يستول على معاقلهم وحصونهم، وقد استشهد ليلة الأحد السادس من شهر

ربيع الآخر عام ٤٤هـ، وعقب وفاته أخذ المغاربة ينادون فيسه أشماراً
تغسل والآمن والارعنة.

وفي رثائه يقول أبو يعلٰى اللثاني (١) :

وكم مفضل قد رأمه بسيفه .. وشيخ حصن لم فتحه غنايمه ..
ودانت ولاة الآسر فيها لامرته .. وقد أمنتهم سكتبه وخرابه ..
وأمن من في كل قتل بسيفه .. زراع بها أمراءه وأبايه ..
وطالم قوم حين يذكر صنه .. فقد زال عنهم ظله وخصائصه ..
وكم نه سر إسلام جاء بسيفه .. من الروم لما أدركه مراحه ..
وبعد وفاته صاد الدين ياتي بهداه إباه نور الدين الذي كان يترقب حماة
ويجاهدة ، وتدلّفقت حياته كلها على هدف واحد هو إخراج الصليبيين من
بلاد الإسلام ..

والحقيقة أن ملك نور الدين قد انتفع ، وكان له فعل توحيد الجيوب في
الإسلامية ضد الصليبيين ، وقد حقق خطوات عسكرية ذات أهمية في تاريخ
العرووب الصليبية ، وكانت ذات أثر في تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى بين
ال المسلمين ..

وعن نور الدين إلى رحمة الله في شهر شوال من عام ٥٦٩هـ بعد جمادى
طويل حقق فيه الكثير من الانتصارات ، وقد خلفه الشهير بقصائد عديدة
وأخذوا يذكرونه ويتأثرون بفقده . ومن الشعراء الذين دلّوه العياد الأصماني

١) ذيل تاريخ دهقي لللثاني ص ٢٨٦ ، والروزندين ١ / ٤٠

مطبعة رادي التبل .

فقد قسم في رئاته له قصيدة أطهير فيها التفجيج والتوجيع لصالحة المسلمين من
بلاد عقب دعاته، ثم بين فضله في حماية المسلمين، وأشار إلى الفتن راغم
الكبير الذي ترك ثروة في حياة المسلمين.

يقول : (٤)

٢٤٤ / ١) الرؤشن

مصاب الأمة الإسلامية، كما كان كله أبية على الأمة الإسلامية، فلقد مات ولم يبلغ السين من عمره، ولم يدع له هذا اللوث السريع اغترابه لتوسيع دولته، ولإبعاض لها النظم في الحكم والأدلة .
وقد رثاء الشمراء بقصائد باكية، ومن هؤلاء الملائكة الأسماني الذي

يقول (١) :

من العلا من اللورى من الهدى يحبه من الآيات من الشائل ؟
طلب إبقاء الملك في آجل إذ لم يبق إبقاء ملك العاجل
بجز أعاد إلى يحيى را به وسبقه فتحت بلاد الساحل
من كان أهل الحق في أيامه وبهذه يردون أهلى لليطل
وقوشة والقدس في أيامها أثبتت له فضلاً به غير مساجل
فشكك وضـ وان الإله لا أدى لا أرتعش سفياً الغمام الضامـ
ومن الملاحظ أن الشاعر يشم في رثائه هنا بالضرورة والواقعية، ذلك
لأنه يذم في الآيات بالضمون الحقيقى الذى كان فى حياة القائد صلاح
وقد عز عن حرره العميق وأسامه الاليم هذه الناجمة التي أصابت المسلمين .
وبعد أن انهى الدولة الأيوبيه جاءت بعدها دولة الممالك (٢) واستمرت
هذه الدولة تهاجم الصليبيين، وتحاول الفتن عليهم ، حتى استطاعوا في
النهاية أن يحققوا حلم الأمة الإسلامية بإجلاء الصليبيين عن بلاد القامـ .
وكان الملك المنصور ناصر دوسـ كبير وباع طوبل في الجبـ ادـ

١) الروضتين ٢ / ٧ .

٢) انظر عمر سلطان الممالك ونتاجه العلمي والأدبي د/ محمد رفقي سليم.

الصلبيين، وقد أتى في المطروب منهم بالهـ حـ سـ ، وقد انتصر عليهم في
أكـلـ من مـ عـ رـ كـ ، واستطاعـ أنـ يـ فـتحـ حـ صـ لـ رـ قـ بـ الـ أـ مـ اـ نـ سـ ةـ ١٢٨٥ـ وـ كـ انـ
هـ ذـ اـ لـ حـ صـ يـ دـ مـ اـ دـ اـ مـ اـ لـ صـ لـ بـ يـ اـ دـ اـ نـ دـ هـ ، اـ لـ يـ اـ بـ هـ ذـ اـ لـ بـ يـ اـ لـ اـ لـ هـ
قـ دـ كـ لـ كـ مـ نـ عـ اـ لـ رـ جـ نـ دـ هـ صـ لـ بـ يـ اـ نـ دـ هـ ، اـ لـ اـ سـ اـ دـ جـ نـ دـ هـ جـ نـ دـ هـ دـ دـ دـ
كـ بـ يـ اـ مـ نـ شـ هـ رـ اـ يـ جـ بـ جـ بـ رـ جـ بـ اـ لـ اـ هـ ، وـ يـ اـ نـ دـ هـ تـ لـ اـ مـ اـ قـ بـ دـ جـ بـ وـ دـ جـ بـ جـ بـ دـ
الصلبيـنـ النـ زـ اـ
وـ حـ يـ اـ نـ تـ رـ قـ اـ لـ تـ نـ صـ وـ رـ قـ لـ اـ لـ اـ وـ رـ قـ اـ لـ اـ هـ شـ هـ اـ بـ اـ دـ يـ اـ بـ اـ لـ اـ نـ حـ مـ دـ بـ اـ

سـ لـ يـ اـ لـ اـ حـ لـ يـ بـ قـ حـ يـ اـ دـ طـ وـ رـ يـ اـ هـ مـ نـ هـ اـ نـ (١) :

مـ لـ كـ مـ نـ اـ لـ يـ وـ مـ سـ وـ رـ يـ اـ هـ فـ قـ اـ لـ صـ لـ اـ سـ اـ لـ اـ مـ حـ كـ يـ فـ قـ فـ
سـ لـ يـ وـ رـ مـ حـ مـ نـ اـ لـ اـ يـ وـ رـ دـ سـ طـ اـ قـ شـ لـ يـ اـ هـ هـ لـ بـ دـ اـ لـ كـ عـ اـ نـ ؟
وـ اـ نـ ظـ تـ حـ مـ دـ تـ سـ مـ نـ اـ لـ اـ فـ اـ مـ نـ هـ ذـ بـ وـ اـ ، كـ اـ حـ كـ تـ صـ وـ اـ رـ مـ خـ اـ
وـ غـ دـ رـ اـ وـ طـ اـ لـ اـ وـ رـ اـ يـ قـ لـ كـ تـ زـ يـ اـ مـ نـ حـ اـ لـ اـ فـ دـ اـ سـ خـ اـ مـ قـ اـ
وـ لـ لـ قـ عـ اـ لـ اـ عـ اـ لـ اـ سـ اـ يـ اـ سـ اـ بـ اـ فـ قـ دـ اـ عـ اـ لـ تـ هـ اـ لـ اـ سـ اـ مـ شـ رـ اـ
وـ اـ فـ إـ لـ يـ بـ دـ دـ رـ مـ جـ اـ سـ اـ تـ بـ اـ يـ وـ رـ مـ اـ لـ اـ دـ اـ مـ سـ لـ اـ مـ سـ تـ مـ ظـ اـ
وـ كـ دـ اـ طـ اـ بـ اـ لـ اـ تـ لـ اـ لـ يـ بـ رـ جـ يـ اـ مـ لـ اـ سـ وـ اـ هـ [ـ ذـ اـ تـ بـ اـ اوـ غـ اـ]
وـ لـ كـ اـ مـ اـ دـ حـ اـ مـ دـ وـ كـ اـ مـ اـ دـ يـ اـ دـ اـ وـ نـ دـ اـ دـ رـ مـ مـ كـ رـ مـ عـ اـ
وـ مـ نـ لـ لـ اـ حـ اـ طـ اـ لـ اـ عـ اـ لـ اـ بـ اـ عـ اـ
تـ صـ وـ يـ اـ قـ اـ دـ هـ هـ اـ بـ اـ بـ اـ لـ اـ قـ حـ اـ نـ ، مـ اـ يـ اـ دـ ذـ كـ رـ ، وـ يـ اـ مـ لـ قـ وـ قـ اـ مـ اـ
يـ قـ تـ دـ هـ ، وـ يـ اـ لـ اـ حـ اـ طـ اـ لـ اـ بـ اـ عـ اـ

(١) المـ طـ وـ رـ قـ اـ لـ اـ وـ رـ قـ لـ اـ لـ اـ وـ رـ قـ لـ اـ لـ اـ هـ شـ هـ اـ بـ اـ دـ يـ اـ بـ اـ لـ اـ نـ حـ مـ دـ بـ اـ

الشعر ، فللمؤمن كان حانياً للإسلام ، وهو يخدم أول من يجتوم الإسلام ، هنا بالاحتفاف إلى ماجده الشعر طولواه من صفات كثيافة المعرفة ، وعنه الرأى وسداده .

ولم يقتصر دور الشعراء على رثاء المطلاع والقواد ، والبكاء على فراقهم ، فهناك منهم من يكتبون للمدن الإسلامية التي استولى عليها الصليبيون وسقطت في أيديهم ، وأظهر الآيات لما أصاب هذه المدن من الخراب والدمار . فكان تعبيت الشعراء عن المطالع يخدمون يخدمون عن المدن ، وكما تخدموا عن أفراد المسلمين وانتصارتهم يخدمون من أحرارهم وآسيئم ، ومن هذه الأحزان ما قام به الملك المظلوم عبيدي صاحب « دمشق عام ١٦ » يتغريب به المقدس حينما يأنه أن الأذريج عازمون على دخوله ، الأسر الذي أوقع في هذا الله المقدس ضجة عظيمة (١) وأثر بيوره على كثير من الشعراء ، فألهب عراوفهم وأوجع المخزن في ثورتهم .

وحيث حاصر الصليبيون بيت المقدس ، واعتذر المدافعون عنه إلى المسلمين تحت منقطة الحصار واقطاع المدد ، اندفع الشّرارة تجاهز بـ« نقوسهم بالحقد » ، وتلقي بـ« نقوصهم شرارة الانتصار المؤقت » ، فتصدر كل من كان قرةً من المسلمين لسامٍ وأطفالاً وشيوخاً .

وقد أشتدّ الإيوردي فصيدة يذكر فيها حال القدس وأهلها ، يقول (٢) :

١) التحريم الراهنة ٦ / ٢٤٥ وزارة الثقافة والإرشاد الفوقي بعمّر .

٢) انظر الآيات في « أولاً : شعر المفورة إلى الجباد » .

ترجمة عما يللموع المزاجم - ثم يق نما معرفة المزاجم
ومنه أبيات الفاعل ثواب الدين أبي يوسف بن القاسم بن الحنادر يعني
القدس والمسجد الأقصى، ويه من حادثة غريب القدس فيشك (٢)
أعني لارق من الموات حل في الهاشمي بالبكاء الأصالة بالبكرا
لله سرمه النفع يطعن فيهم ما ترقه ماق الطبع من مجازات
وياظب أسد زار وجهك كلما خبره باذكار يعنه المفترى
ديقام مع بالشجر منه لمسنه روح ما ألقى من المفترىات
على المسجد الأقصى الذي جل ذكره على موطن الإيمان والصلوات
على منزل الأنبياء والرسول الذي حل عليه حبة الأبدان والبلات
على علم للمرأة والصفرة التي أنافى بهافي الأرض من صفات
على الثقبة الأولى التي ثبت لها صلاة البراءة في اختلاف جهات
أنتك على القدس البلاط بأسمها - وتعلن بالكتورين والفرسات
أنتك عليها سكك في أدتها - وتذكر الذي لا ين ازفان
أنتك على ماضي بالقدس طيبة - وترسمه في أكرم المفترىات
فن لي شراح يحن عمل الذي يهان بأسمواه لمن يحيى
يرددن يتسا للغراوى قال (٢) يزرن لهم - خصيرة المزاجم
مدارس آيات خلت من ثلاثة ومنزل وهي مفترى المرصات

١) الروضتين ٢٠٦
٢) المقصد بالغراوى هو دليل المزاجم.

وحين استول الصليبيون على معركة النهان في بدايتها غزوه بلاد الشام
بعد الشهرا، يأسفون لهذا المحدث الأليم، ويرثيا وجيه بن عبد الله التوخي
بآيات حزينة باكية، وبأخذة يأسف على ضياعها وعمل ما أصاب أهلها من
خراب ودمار فيقول (١) :

مسنء بشدة قضى الله ياساً « ح عليهما كا ترى بالخسراي
ففف الهس وففة وايك من كا » ن بها من شيوخها والشباب
واعترف إن دخلت برماء إليها فـ قلبي كانت متذليل الآسياب
ونخت الكلام هنا بلاحظة وهي أن الشهرا، في رثائهم للقاده والأبطال
[ما كانوا يذمون الحقيقة والوضعيه، فيم يذكرون العقاقات المحتقنه التي
كانت للمرى، ويدركون ما تصلح به من صفات وغيرها مما يتعلق بوضعيه
الجهاز والتب عن حياض المسلمين، وما يتعانى كذلك بدوره في انتقام
البلاد التي استول عليها الصليبيون. كما أشارنا تلاحظ أن بكل الشهرا، على القادة
والعلماء في هذه الفترة من الزمان لم يكن معهم أن زعيمها قد مات خسب
بل كان مرده إلى أن ظاهرا عظيمها قد فقدته ساحة الجبساد، وأن هذا القائد قد
ترك برحيله فراغا كبيرا في صفوف المسلمين، ومن ثم كان الزئاء، وكان « بكاء
وكانت الحسرة واللوحة ».

١) مرآة الزمان في تاريخ الأجيال، لشمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي
ج ٤، ص ٣٤. مطبعة حيدر آباد وطبعة الأولى، ونشر مجلس
دائرة المعارف العثمانية بالمند ١٣٧٠ هـ.

سابقاً : تهديد الأعداء :

من المعروف أن الشعر رسالة أساسية في الحروب الصليبية ، والعمل

الأسرا ، الذين كانوا عمل رأس الجبواش قد أدركوا أن الشعر في الحروب

فأحاطوا الشعراء بالشكرا و التقدير ، مما ساعدكم كثيراً على إداء رسالتهم ،

والقيام بما ينطوي بهم من مهام .

ومن مهام الشعر في هذه الفترة [ضمان] الأعداء لا وصاولة الآثار في

قريتهم للتدربة ، ومن هنا كان تهديد الأعداء موظفاً من وظائف الشعر

في حصر الحروب الصليبية ، فهو من جهة له أثر بالغ في استبعادهم للأسرين

ومن جهة أخرى كان سهلاً لهم في صرف الأعداء ، وفرض العذاب على

في تقويم من القتال .

والحقيقة أن الشعر قد بدأ التهديد والرعب مع أول المعارك التي خاضها

للسلاطين وحققوا فيها أعنف الانتصارات . فذاع شعر الفرسان بذلك مركبة

حسن بارين في عهد عمال الدين زنكي ، ولا يفوته أن يهدى ويتوعد الأعداء ،

وبirth الآيات في تقويمهم ، ويصدق أيامهم سبل النجاة يقول (١) :

ـ حذار منا وأني يفتح الخندق . وهي الصراجم لابيق ولا تزور

ـ وأين ينهض ملوك الترك من ملك

ـ من خيله الناصر لا بل جنده القدر

ـ سلوا سيفنا كأنحدر السيف بها

ـ سالوا فما شدوا صلا ولا شهروا

(١) الرؤوفين ٤/٨٩

حتى إذا ما عاد الدين أرْهَقْتُمْ ٠ في مأزق من شاء ببرى البصر
ولوَا تُنْبِيَتْ بِهِمْ ذُرْعَمَاكُبُرْ ٠ والمرت لانطحاً منه ولا يزدُ
ويمدح الرما على يد ذنك يقول (١) :

وهل يجتمع صور من طلائع ٠ بثانية القدر فالسائل
شقتكم لليها يخادر الحسد ٠ يد ملتفياً موبيه لماطل
وتحطم عذر الردعي بالردي ٠ ومن نفسه يدفع الفساد
أرى القس يأكل قرش الرما ٠ حولاً بدان وضرب الشائل
يقوى مملوكه جامعاً ٠ وهل عاقل يعنصه طلاق
وكيف يحيطه بوعي الجهة ٠ هل ثقلات حسيه الماحل
وق للناسية نفسها يقول (٢) :

فلك يتكل ما لا يترى فله حبساته ٠ ول إلا قلل للنجم كيف سعاده
وليله سواها التعمس تقصص درتها ٠ كما تزكي عن حريق خراوه
إلى آرين به أسرى البهلاة يداها ٠ لقد ذل غاريك وعن رشاده
رويدك لاما يتعص من مظفر ٠ يمالك أسباب العقاده مشاهده
عصيب سهام الزايدلو أن عزبه ٠ دمى سذذى القرنيين أصهى سداده
وقل ملوك الكفر تسلم بدمها ٠ نمالكتها إنت: البلاد بلاده
كنا هن طريق الصبح أيتها الدجىن ٠ فلما لما غال الظلام امتداده
ومن كان أملاك السموات جنده ٠ فلية أرض لم تزمنها جياده

١) خربدة الفخر للزاد الكاتب الأصفهاني ص ١١٠ .

٢) الروحتين ١ / ٩٨ .

وقد يأخذ التهديد طابع المخربة في بعض القصائد، ومن ذلك قصيدة
أين مطروح والتي كانت بعد هزيمة لويس والإفراج في معركة المنصورة— ودة
وأسرى في دار ابن تهوان .

پتول (۱)

قتل الفرنسيس إذا جئته . مقال صدق من قوله فصريح
آجرتك الله على مامضي . من قتل عيادة يموج للسبح
قد جئت مصر اتيتني أخديها . تحسب أن الوسر ياطيل ريح
فـ إلك الحسين إلى أدم . عذاق به عن ناطيرك القبيح

وقل لهم إن آخرها هودة . لا يأخذ ثار أو لقصد صحيح
دار ابن لقيس على عبدها . والتفيد باق والطراوي صحيح

١) دیوان ابن مطروح ص ١٨١ .

ثامناً : المهمة :

والمجاهد في هذه الفترات يمتاز بأنه يخدم المجاهد ومقاومة الصليبيين الـفرازة . وقد تحدث شعراء هذا العصر عن الصليبيين ذكروا مساقتهم السيدة وأكثروا من الحديث عن هذه الصفات ، والشعراء في كل هذا إنما يقصدون التهكم الصليبيين العذين ، ويرمون إلى الحط من شأنهم .

والمهم ، إنما ي glamor المحتدين الصليبيين كما سبق القول ، وإنما هجاء المتساوين معهم ، أو هجاء المتخادلين عن القتال ، والشعراء يرمون ، من وراء ذلك كله إلى أهداف بيتهما وهي التقليل من شأن الصليبيين ، وتوسيعهم في أعين المسلمين ، وإظهارهم بظاهر العنف والله والهوان ، هنا من جانب ومن جانب آخر تحذير المسلمين من خطور تعاملهم مع الصليبيين العذين .

ويلاحظ في مجال الشعراء الصليبيين أنهم إنما كانوا ينظرون إليهم على أنهم قوم مختلفون ، لا ينتمون إلا صفات الحسنة التي اشتبروا بها كالشهادة والنفاق ، والجبن ، والطبع ، والفرار من المسارك والقرع ، كما يلاحظ أن في هذا المجال قدراً من الجهل الديني الذي يوزع الشعراء فيه عاصي الإسلام ومدى الخرافات الصليبية في الجهل والخوارق من الله الصحبة .

وفي قصيدة لابن متير الطرياني زياد يدخل فيها إفادة تور الدين ، وفي المقابل يهجو العدو الصليبي ويصفه بالنفاق والشكك المسلمين .

يقول (١) :

وإذا المدا زرعوا النفاق وأحمدوا . كيدا فزوك ؛ اقض حصاد

(١) الروحاني ١ / ١٠١ .

ثُمَّ يصفهم بالنذر الذي تخل في قائم ، جوساين ، فيقول (١) :
 ما زال يقدر ثُمَّ يندر قادرًا ، حتى أنتَ بساجِ أصافِه
 ويجهز ابن قسيم الحموي الروم بقصيدة قال فيها (٢) :
 وما جاء كلب الروم إلا ليحتوى ، حماة وهل يسطرون على الأسد الكلب
 أراد بها أن يطلق الشام عنوة ، وقد غلبت عنه العبرة الشفاعة
 وما ذم فيها العيش حتى صد منه ، قال جناح الجيش وانكسر القلب
 قول وأطراف الرماح كلامنا ، بحروم عليه بالمنورة تصب
 ومن صفات الإفرنج التي لا يستطيعون الخلاص منها صفة النذر ، وكثيراً
 ما هاجم المسلمين الصليبيين بسبب تفضيل الآخرين للهجرة ، يقول أحد
 الشعراء يجهز الإفرنج وبذكراً غدرهم بالصلابين ، وعدم وقفهم بما عاهدوا
 عليه (٣) :
 انضروا هذه الصلاح بحمل ، بعد تأكيدهما بحسن الوفاء
 ولقدراً يغنم بما كان فيه ، من فداء يعلم واعتداه
 لاحى أنه شليم من شتات ، يوازن فوق حد الماء
 بجزء الكفرور قتل وأسر ، وجراه الشكرور خير الجراء
 قلوب العياد حد وشحذكر ، دائم مع تواصل النباء
 ويجهز شهادة المسلمين العدو الصليبي بكل ما من شأنه إعذاف سلطانهم

(١) الروضتين ١ / ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٢ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٣٤٢ .

وتمردتهم للهبة . قرر أن أمرت جنود الإفرنج وسيق جماع القتل إلى دمشق ، وجد الشاعر العربي الفرقعة كي مجورهم ، وإبليس بهذه المواجهة الشاملة يغول : (١)

ما رأينا فيها تقدّم يوماً . كمال الحسن غالية في اليماء
مثل يوم الفرجع حين علّهم . ذلة الأسر والبلاء والفناء
وبراثتهم — لي العيس زفراً . بين ذل وحمرة وعناء
بعد عزّم وعيّة ذّكر . في مصال المروء والمحيط
هكذا هكذا علاك الأحادي . عند شن الإثارة الشعراوية
لا حق شليم من شتات . بمواض تفوق حد المفاهيم
خزانة التكبور قل وأسر . وجراهم التكبور خير الجازم
ولرب الماء حسبي . داشم مع تواصل النبأ

وكما ثمرة للسلطة الصليبية تجدهم يجرون كذلك المتخذان من المسلمين الذين يقدرون عن القتال، وأخذناوا يعتقدونهم شدة، كما يمكنون من جهة أخرى أن هؤلاء إنما يصرخون أو قاتلوا أموال الآباء وفي جميع الأحوال ويتذمرون في طريق الفساد.

ويعد ابن أسد للوصي القائد صالح الدين لاتصاره على الإفرنج عام ١٢٧٦ في حصن الناقير، وبعده من مدح صالح الدين إلى جماد المخاذل

١) الروضتين ١ / ١٠٨ مطبعة وادي النيل .

الميدين عن الجباد فيقول (١) :

لقد حياء وجهك كل وجهه
إذا مثل الشدى جهنم وفاح
ملوك جهنم متري بظلم
وشنقول بهلوس أو مراح
إذا ماجالك الأبطال ول
ويقبح نحس وحالة الرثاح
يرى الإنفاق في الخيرات حسرا
وأنت تراء من خبر الرياح
هو جحرا وقد فرقك لكن
جحتم به الرجال مع أسلاح
وجرون بين مالك يبت مال
ومالك رق أملاك التواحي
وسمون سقطت بعدهن بلاد الشام في أيدي الصليبيين ، وتحايل أمراء
الملائكة ولم يحسوا بالنصرة إخواتهم وانتقامهم عما حل بهم ، فهدى القاتل
آبا المطران الأبيوردي بمحنة يعقوب ي يقول منها (٢) :

ولخواصكم بالشام ينسى مقليلهم • ظبور المذاكى أو بطون القتاعم
تسويمهم الروم المسوان ذاتكم • تحررون ذيل الحفشن قبل السالم
دعوناكم والخرب تدتو ملحة • إلينا بالسماذه السور القائم
فإن ذاتكم لم تغصروا بعد هذه • ربينا إلى أهداتنا بالجسرات

١) مختار الحقائق ومر الحلاقى ، محمد بن تقى الدين الأبوى ، تحقيق

الدكتور / حسن جيدى ص ٤٤ مطبعة دار الحكمة بعمّر ، الطبعة الأولى

نشر علم الكتب بدمن تاریخ .

٢) الكامل في التاريخ ١٠ / ٢٨٤ اشور دار صادر بيروت ١٩٦٦ م .

الفصل الثالث

خصائص شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية

أولاً : الحالة المتدفقة وحرارة الماء .

ثانياً : يزد روح الجماد والقرة والمعنى الإسلامية .

ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبيرة .

رابعاً : المصطلقين في نقل التجربة .

خامساً : خصائص حامضة .

وهي بالخصوص السمات العامة التي يتميز بها شهر الجihad في جملة ، والتي
ميزها عن غيره من الشعور .

وقد يفتح شعراء المسرح في هذه المسابقات أيدهم بما يكتبون من الشعر والاشترين، لكن الذي يلفت النظر أن شراء المسرح العربي لهم حيواتهم الخاصة، وظمّنوا لهم التي عاصرواها تلك الحياة، والتي أثرت في نفوسهم ومنظارهم، وما يوضح ذلك الفائز أن شعر المسرح في جملته لا يتجاوز بأي حال من الأحوال تصوير مشاعرهم وقصصياتهم.

والحقيقة أن المروءة الصليلية قد رأت آثاراً ظاهرة في الشعر العربي تنبئها وأفخّها فيما أتته الشفاعة، وهذه السمات المأمة التي يبرهنُت في شعر تلك الفترة [ثما] كانت ناتجة في المقام الأول عن المروءة والصراع الذي كان بين المسلمين وأعدائهم الصليبيين، وقد ثالت في جانب كبير منها على أساس من الأدب العربي للزوروث، إذ أن لها مثابات في الشعر العربي الذي كان قبل المروءة الصليلية، فالشعراء في المصور الإسلامي لم يغترواقط في تجسيد أيّطال المروءة الإسلامية.

ويمكّننا أن نقول إنه على الرغم من أن أنس هذه للظاهر وتلك الحالات كانت متصلة في الشعر العربي الذي كان قبل العرب الصليبية، فإن الشعر في هذه الحروب الصليبية يمتاز بظواهر مميزة حليمه بطابع عام، وهي يمكن اعتبارها لدى النقاد اليقنة الحسن من أهم المؤشرات التي تبيّن شرطهم عن شهر من عدمهم عن سيفوهم بصفة عامة.

أولاً : الخاتمة المتقدمة وجزء المماطلة :

العاطفة عنصر هام من عناصر الأدب ، وركن أساسى من أركانه ، بل هي
المادة ، وهي التي تتحلى صفة الحارق (١) .
والعاطفة هي التي توجه خيال الشاعر ، وتدفعه إلى انتقاء الألفاظ
واختيار صور الفول ، ثم هي التي تحصل الشعر صورة صادقة لنفس الشاعر
و私服ة من حياته ، وتحكى في عن تغيراته بوضوح ، بل أول ما يتبادر به
الشعر القوى الصادق أنه تمثيل عن طاعة تجيش بنفس الشاعر ، أما الشعر
الصريح فهو الذي لا يبعق من عاطفة ، وهو شعر ياتي كله بالفاف تعمده
المرازة .

والناعر الحرق هو الذي تضخ في نفسه نهره ويفتح على آخرها بفكه، ويرتباها ترتيباً قبل أن يذكر في الكتابة، والشعرية المغربية يستشرف فيها الناعر ليتفقد إلينا في أدق ماء حيثها من أحداث العالم الخارجي تتمثل فيها البالية والوان الصراحت التي تمثل في النفس أو الفرد إزاء الأحداث التي تحيط به (٢)

وفي النس يقول الاستاذ أحد القايب : « ولهمة ما يقال فيه أن يكن
تبيراً سادقاً عن المقل والشمر ، حتى ينفعن نقل ما في نفسي الشاعر إلى
نفس الشاعر »، ويضمن بذلك التهذيب والتأثير .(٢) .

١) النقد الأدبي، أحد أدون، ٢٢، التهرة المصرية، الطبعة الرابعة.

^{٢)} النقد الأدبي ، الدكتور / محمد غنيم هلال من ٣٨٤ ، دار النهضة .

^٢) أسرار التقد الأدبي، أحد الناشر من ٣٠٢، الطبعة الثامنة ١٩٧٣ م.

والحقيقة أن المهد الإسلامي لم يعرى حروفاً كانت بعثاته بمazar جمادية مثل تلك التي شهدت في عمر الحرب الصليبية ، إذ كان خطأ الصليبيين خطأ داماً، وكانت جهودهم بعثة عَسَدُوا الفوضى بكل ما أرقى من قوة لاستيلاء على كل البلاد الإسلامية ، وقد أظهروا في غزوم ما أظهروا من ضروب الوحشية وألوان القسوة والجحود ، ولم لا وقد تماهت ملوك الكفر على أن ينهضوا إلى جهود الصليبيين من كل فرقة طائفية ، ويرسلوا إليهم من كل سلاح شوكة .

وكل هذه الأحداث أوجت بضرر تدقق الحساة في أرجائه ، وبماطة حارة يجت فيه الحساة والقردة ، الأسر الذي بين مدي ما كان يتعلّق في ثغور الشعرا ، يرمي من اضطرام نار الألم لانتصاف أراضي المسلمين من جهة ولها أصحاب البلاد التي دخلها الإفرنج من تبريد ، وضم ، وترويع للأمنين وتحكيم السيف في رقابهم ، واستباحة كل حقوقهم وأعراضهم .

وقد تكون الشعر في هذا العصر الوائِتنا : بين فرح وحزن ، وحسنة ومجنة ، وبين فورة وإقام ، أو خوف وذعر ، إلى غير ذلك من الواب مواطن والأنفاسات التي ألت بالآمة الإسلامية في تلك الفترة من الزمان وليس يعن أنه قد تأثر في جميع صوره بالمعانات المريرة بين المسلمين والصلبيين ، فقد تسلط هذا المصراخ على الشعر ، ودفعه إلى حركة الديبلومية الشعر ، إلى أن ينظموا شعراً في الدعوة إلى الجهاد ، وقد أترم كل الشعرا بهذا الْمِبْدَأَعْنَهُ [لا إدار] .

يقول الله الكبير / أحد أحد بدوى : « دعاه هو جبار بالذكر أن ذكره

الوطنية والقومية لم يظفر هنالك أثر ما في شعر هذا الدهر ، فلم يكن ملوك هذا الدهر وسلطانه يحاربون الفرج على فكرة أن هناك وطنا لهم متضامنون لا ينحدر من أصلاب أهيل البلاد ، وإنما كانت الفكرة السادسة يرمي إلى الفكرة الديبلومية ، وهي الفكرة التي سادت نغور الشعراء في ذلك العهد ، فلي يكن الحروف من سقراط ديوافت مثلا في يد الفرج أن جزءا من أرض الوطن المصري أو العربي ، سبفع في يد المدو ، ولكن لأن المصطف سيحل محله الإهبيل ، والأذان سينلى ويأتي بدله الناقوس .

وإذا كان قد رأينا بعض شعراً ذلك الدهر يفتقر إلى دعوى ، أو إلى القاهرة فلي يكن ذلك دليلاً عن شعور وطني ، أو فكرة قومية ، ولكن عن ملائكة خصبة يبعثها ما وجده الشاعر ، فسعادة هنا أو هناك ،^(١) والحق أن هذا الشعر قد أتى ثورة وانفصالا في نقوس منتمية من غير الحاربين ، لأنه شعر وأقصى يقوله الشاعر فيما يعيشونه ويقطلونه ، لأنني أنا يتصورونه ويتخيلونه ، فهو يدور حرطم ، ويصور إيماتهم ، ويقتصر بالتصارع ، وهذا يشير إلى أنه يبحث عن إبان قوى وأفعالهم ، وغيره بالمرة . وبتصف كذلك بصور الحال تصويراً يبلغ من نفس المشتع مابينده الأدب من إثارة نفسه ، وتدفق عواطفه ، ولذلك ظليس غريباً أن أقول إننا نقرأ أشعاراً شعراً المسرور الصلبية فنجس كأننا نرام ونرى خيالهم وظروفهم ، وتلمس بمحاسنا البراعث التي ساقتهم إلى هذا اللون من الشعر .

(١) الحياة الأدبية في مصر الحروب المأوية بمصر والشام ص ١١٨ .

ـ والحقيقة أنَّه كان لهذا الالئام الذي أخذ به الشعراء أقسام ، وطُرِنَ الطابع من الحسنة للتدقق وحرارة الماطفة ، كان لهذا كلُّه آخر واضح في كتابه *شصيات الشعراء من جانب* ، وفي خاتمة الشابه والتكرار في شعر من جانب آخر حتى أشكال نسبة كثيرة من شعر الشعراء إلى أصحاب المحققين وانختلف الإوليات حول نسبة بعض الشعر لفاجر أو لغيره .

ـ ولعل السبب في خاتمة الشابه والتكرار في شعر ، وإشكال نسبة من هذا الشعر إلى أصحاب المحققين ، أنَّ أكثر ما يدور عنه الشعراء آنذاك محدود مقتربون ببعضهم جيما ، فهم ينتظرون بعافية واحدة ، ويترفعون في الغالب الأعم إلى هدف واحد . وفي رأيي أن مثل هذا الشابه وذلك التكرار لا ينبع بأى حال من الأحوال من شأن هؤلاء الشعراء ، ومن شأن شعرهم ، كلام لا ينبع من درجة الصدق والإخلاص فيه ، لأنَّ ليس تكرارا بالتفايد ، أو استدعاء لفروذج شعري غال ، سفياتهم التي عاشوها قد وفرت لهم مادة غزيرة لفهم واستلهمواها ولم يكتفوا بغيرها .

ـ والحقيقة أنَّ المطر الصابري كان بلاحدود ، يروى ابن نميري بردوى أنَّ الفرج حين توغلوا في أراضي المسلمين واستولوا على بيت المقدس ، وأصابوا فيه السكان ما أصابوا من تبريد وذبح وقتل خدرج المستنفرون من دمشق ووصلوا إلى بغداد ، وأخذوا يبيكون ويستغيثون ويستجدون ، وكان منهم قاضي دمشق « زين الدين أبي سعد الطروى » ، أقسام القاهى في الديوان وأي بكلام أبي الحاضرين .

وقد أثنا القاضي المتروى في ذلك تصريحه مؤثراً ومنها (١) :

أرى أمري لا يشرعون إلى المذاهب رياحهم، والذين وأهل العصائم
وليتم لهم إذ لم يذروا حيبة عن الدين متداخنة بالخارق
ولذ ذهرا في الآخر إذ من الرغب

فهلا أنوه وغيثة في الناشم

وتزداد الحماة وتقوى الماطفة في ذلك الشعر الذي قيل في أوّلات القرن التي
مرت بعصر والقام وما يمضاه بأعياد هذه المروءة . ومن الطبيعي أن
يستشهد أهل الإسلام بعضهم ببعض ، ويستشهدوا من ينكته المساعدة ، ومن
ثم رأينا رسائل الاستجواب تذكر ، وكان كايتها يدّي فيها ما يبعث في المرسل إليه
الغضب وحسب الاتهام ، فيعد من ثم العدة ، حتى لا يتزول بأراضي المسلمين
الكوارث . وقد تضمنته تلك الرسائل وصفة المفرج ، وبيان المفاجر وخطار
تهمتهم ، كما وصفت هذه الرسائل إقبال المسلمين على المروءة في حماة
وغصبة .

وقد أرسل صلاح الدين الأيوبي وهو عند عكا يكابد المروءة مع المسلمين
برسالة إلى بغداد ، كما أرسل برسالة أخرى إلى رجال أمراء الدولة
الإسلامية ، وقد تضمنت هذه الرسائل شرحاً لما لاقاه المسلمون في حصار عكا
من ويلات ، وفضحت كذلك طلب العون والتهدئة . كل ذلك بهدف
تحفيز المسلمين للإقبال على الجماد والنفرة في سبيل الله ، وتقديم المال

(١) التجرم الراهنة ١٤٢ / ١٤١ .

والشخص في سبيل طرد الافرخ واستلام عن دين المسلمين (١).
فمَنْ تَكَنْ هَذِهِ هُنْ رِسَائِلُ صَلَاحِ الْبَيْنِ، بِإِنْ تَدْعُ أَرْسَلَ عَدِيدَةً
يُعَذَّبُ فِيهَا مِنْ قَاتِلِ الْأَفْرَخِ فِي الْأَسْلِيلَةِ، عَلَى بَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أُولَئِكَ أَوْسَلُوا
إِلَى الْمَغْرِبِ، كَمَا أَرْسَلَ بِرِسَائِلٍ أُخْرَى إِلَى أَخْيَهِ سَيِّفِ الْإِسْلَامِ يَسْتَغْفِرُ إِلَيْهِ
وَكَثِيرٌ مَا كَاتَبَ هَذِهِ الرِّسَائِلَ تَفْتَحَ يَابِيَّاتِ حَسَابِيَّةِ مِنَ الشَّرِّ، تَغْرِيَ الْهُمَّ
وَتَدْعُرِيَ الْإِنْجَاعَ الصَّالِحَ عَلَى قَتْالِ الْأَفْرَخِ، وَتَعْلَوْنَ كُلَّ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
قَلَاءِ السُّورِ الْمُنْذَرِ أَيْضًا بِعِيمِ كُلِّ الْمُلْبِدِ بِدِعَةِ مُكَبَّرِ كَيْتِ الْقَدْسِ، وَفِنْ نَمْ فَلَادِ
مِنَ الْأَعْدَادِ لَهُ وَلَاهُبِ الْرَّوْدَةِ، وَمِنَالَةِ مَارِقَيَّةِ فِي يَدِهِ مِنْ أَرْضِ مَنْتَصَرَةِ.

ومن الذين كتبوا الكتب وأسلوا الرسائل المظام عبيدي، طعن حاضر الفرج الطور تعمده يرسل كتاباً إلى بنداد يستنهضه، ويطلب منها الجددة، وعند الطيبة من قلادى الأفرنج في الاستيلاء على الأرضي الإسلامية، وقد صدر المظنم كتابة هذه بيهين من الشعر قبل أنها للأمير عبد الرحمن الكاتب البالى وما (٢) :

قل الخالقية لا ذات عاكمه طال المتر [إصدار وإبراد
أن الفرج بمحض الطور قد تزلا و لا يفان، محض الطور ينداد
وفي اليتيم طلب الامراض بالمنجدة، لأن تاخسرها يضيق من قوى
المسلمين يقدر ما يريد في فرة الافرخ، كما أن في اليتيم تحديرًا من ملائكة القاعدة

(١) انظر الـ و محتوى ٢ / ٨٤ + ٨٥ + ٨٧ + ٨٨

^٢ ذيل الرواية ، أعيد الرحمن بن إسماعيل المقدسى (أبي شامة) ص ١٠٣
طبعة الأول ١٩٤٧ م.

عن تقديم العبرت والنجدة ، وما يستتبع ذلك من عرّاقب وخيبة ، وأشد
ألوان الشرور .

وحيث حاصر الفرج ميناء ديوان انتظرت بهما الأمور ، وبلغ الفتن
مبلغه بالتفوس ، ففي تلك الأوقات ، وأشد غلاء الأسعار ، وскوت
الأسارifs ، وبدأ الجروح بفعل فعله في أهالي المدينة ، وأشد الأسر كثراً على
الملك الكامل لأنّه رأى الأحداث تتوالى بكلة على السطرين ، ولذلك كتب
من وقتها رسالة إلى أخيه الملك الأشرف موسى إسماعيله ويطلب منه أن
يسرع في الوصول إليه ، وقد أقبل الملك الأشرف دون إبطاء وتعاون معه
أخيه في دفعه العدو ، وأقام شمل الأسرة وانعقدت كلّ قوام على تقويم بحثت
منذ عهد صلاح الدين .

وأثناء هذه الظروف الفاسية التي واجهت مدينة ديوان طكت كتب الأمير
حال الدين الكشاني آياتاً يشكوا فيها حال ديوان وتحطم قوى سكانها ممنوباً
وقد ترجم بهذه الآيات إلى الملك الكامل ، وقد أحاطت هذه الآيات أرها
في نفس الملك لندرجة جمله ينادي بالجهاد العام .

ومن هذه الآيات (١) :

يا مالك ، ديوان تفر هدمت شرفاً ، كادت تحت أمره
يقرّيك من أذى السلام تحبّه كملك طال دقيقه وجليله
ويقول عن بعد ، وانك سامع حتى كأنك جاره وزيره
يا أخي ، الملك الذي ما زان يرى بين الملك شهيد وعدمه

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقربين ١٩٩ / ١

هذا كتاب موضع من حالى
أشكر إليك عدو سوء أحدث
فالله قد منعك إله طريقه
لحضوره باذ على أرجائمه
ولو استطاع لام باذ لاتنا
فقد انتهى أذوازه وتحنك
ويق له رمق يسر ، يرجمى
فأحرس حماه بعزمة شفي بها
نافه أعطاك الحكيم بفضله
فالمندر في نصر الإله ودبيه
والغفر ناطره ، إليك عدق
ولكن قدمت من القيام بضرمه
ووهدت قوى القرآن في ورقت
وعلا صدى التقوس في أرجائه
هنا وحقك وصفت صورة حاله
وكفلك يا ابن الأكرمين بآنه
حققت درجة فلك ، بادن لم يغب
وآخر ليل المبعث فلاما حالها
وفي الأوقات المصيبة التي تستدعي تحرير الشعب واستئناف القتال ،
وحده على الجبهاء ، كان الشهادة يقبلون على من يتوصون بهم من اللوك

حب المُجَاهِدِ، يَهْدُونَ مِنْ عَزْمِهِمْ، وَيَبَارِكُونَ حَطَوْتَهُمْ. وَلَا شَكَ أَنَّ الظُّرَاءَ
يَعْلَمُونَ مَا تَأْتِيرُهُ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي النَّفَرَةِ، فَأَنْتُمَا فِي نَفَرَةٍ، وَأَخْتَنُوا بِعِيْرَوْنَ
فِيهِ عَنْ آمَالِ الْبَلَادِ وَالْمَبَادِ، وَيَسْتَحْشُونَ الْهُمَمَ عَلَى مُوَاصِلَةِ الْمُجَاهِدِ حَتَّىَ الظُّرَاءَ
وَالْإِنْصَارِ.

وَجِئْنَ أَصَابِيلَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَصَابَهُمْ وَجَدَ الظُّرَاءَ، فِي صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيْمَرِيِّ
أَنْتُهُمْ لِلشَّرُوفَةِ، فَأَعْطَاهُمْ وَأَعْذَنُوا بِيَارِكُونَ حَطَوْتَهُمْ وَيَسْجُورُهُمْ هَذِهِ
حَقِيقَةُ أَمَانِيِّهِ، تَلَكَ الَّتِي مِنْ آمَالِهِ وَعُمُرِ رَأْسِهَا اسْتِحْلَاصُ الْقَدْسِ مِنْ أَيْدِي
الْمُرَاهِنَةِ الْمُلِيشَيِّنَ.

وَلِنَعْلُمُ فِي أَيَّاتِ الْمَهَادِ الْكَاتِبِ الرَّغْبَةُ الْمَلْحَسَةُ فِي تَحْقِيقِ تَلَكَ النَّسَابَةِ،
يَقُولُ (١) :

وَبِرِوْسَفِ مَصْرُ بِفَسَيْرِ التَّقِيِّ وَبِذَلِ الْمَشَائِعِ لَمْ يَوْصِفْ
قَسْرَ وَاقْعَنَ الْقَدْسِ، وَاسْفَلَكَ بِهِ دَمَاءَ مَنْ تَجْرِيْهَا يَنْظَفُ
وَخَلْصُ مِنَ الْكُفَّارِ تَلَكَ الْبَلَادُ وَدِعْلَصُكَ الْقَدَّرِ فِي الْمَوْقِفِ
وَجِئْنَ قَبْعَتَ الْقَدْسِ هَذِهِ أَيْدِي صَلَاحِ الدِّينِ مَعْنَى الشُّعَرَاءِ مِنْ جَوْهِهِمْ
يَطَالِبُونَهُ بِالْمُفْهَنِ إِلَى مَا يَقِنُ مِنَ الْبَلَادِ تَحْتَ يَدِ الْفَرْجِ، فَيَحَاوِلُ اسْتِرْدَادُهَا.

يَقُولُ الْمَهَادُ الْأَصْبَانِيُّ فِي ذَلِكَ (٢) :

قُلْ تَلَبِّيكَ صَلَاحُ الدِّينِ أَكْرَمُ مِنْ
يَعْشَى عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ مِنْ يَرْكِبُ الْقَرْمَا :

١) الرَّوْمَانِيُّ ١ / ٣٦٩ مُطبِّعَةُ وَادِيِّ الْبَلَلِ.

٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٢ / ١٠٢.

من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى
صور ، **فأنت فتحت القدس طرالبا**
أثر عمل يوم أنطربوس ذا جلب
وأبعت إلى ليل أنطاكية المسا
وأنخل ساحل هذا الشام أجمعه
من العداوة ومن في دينه وحشا
ولا تدع منهم نفسا ولا نفرا
فإنهم يأخذون النفس والنفس

ثانياً: بروز روح المجد والقدرة والمعنى الإسلامية :

لقد وقف شعر الجهاد في الأزمات التي مرت بال المسلمين أثناء الفزو العلوي، وأخذ يحكي عن احتفاظهم بعون الله أم هارون وشد الملايين على القتال، على

وأحد بعثت على أجنبية لها، وربوا من أمرها؛ ولذلك العزائم على انتساب عبيده والصبر لها حتى تمر وتتفتحى. كما صرور تلك العذائب؛ وصور كذلك بعثات

القلوب عندها، وارتجاع الأئمة من شدتها ثم وقوفه يحقر على الغلاب عليها .. والحق أن الشعر قد جسّر على ألسنة بعض أصحاب المزبور العالية

يستمدون من معانٍ إيجابية القوة ويستلمون معانٍ القداء والفضحة.

وعلم من أشد الأوقات الحرجة خليفة حصار عكا عام ١٨٥٤، وقد نطق
أشعار الشعراء في هذا الموقف بما كان يعانيه السلاطون آنذاك من حرج

ووضيق، يجدد الإسلام قد طال بهم المقام. وقد وصف الشمر كل ذلك وأخذه

لإنجح على الآيات وتحت عل النصر .
كما معنى بعد الأبطال الذين عاصوا غدار المزروق وأبلوا فيها بلاء حسنا

وأخذ من ثم بسجل أسماءه ويعطى لهم بهالة من الإعجاب والتقدير ويعلمون في صورة حية إلى النفس بذاتها الإيمان وعملاً القوى.

وقد ترك لنا الشعر كثيرا من صور هؤلاء الابطال . فهذا هو نور الدين

مُحْمَّد بْن عَمَّاد الدِّين زَنْكِي ، إِذَا أَحَد كَبَارِ أَطْلَالِ الْمُرْوَبِ الصَّلَبِيَّةِ وَقَدْ خَلَفَ لِنَاسٍ صَوْرَا مُشْرِفَةً تَقْنِي بِهَا الشَّمْرَاءَ وَأَشَادُوا فِيهَا بِيَطْلُوَاتِهِ وَأَمْجَادِهِ .

وقد صوره لنا الشاعر ابن منير العراقي إنساناً يجده لا يتوافق مع تحمله
فهي مسأله أصلية تتجدد في كل زمان، فالإنسان طلاقه لا يملك إلا ما يناله.

فوري الشرك وأسبابه حاء، وفوري ذات فهو [إنسان عالي الحمة لا يملك عيادة ولا غضب وهو ملك جراد يهدى بالضرر عنده الآمن والخالية.

يقول الطرا بلسي (١) :

ذلك من صام ومن أطهرا
وما الورى أهلاً فقدى بهم
عدل تساوى تعم أحكاته
يا نور دين الله كم حادت
وكم حى الشرك لا يحيى الوه
ياملك المعرى الذى صدره
ته أصل أنت فارع له
لا عدم الإسلام عن كفنه
كانا ساححة بينه
تصرم الشير الذى كت فى
جهاد ليل فى نهار غمرا
ولعل صلاح الدين الأيوبي هو أعظم بطل في المروءة عليه نال من
اهتمام الشرفاء مالم ينله غيره (٢)، وظفر بتقديرهم وإيجابهم، فأغاروا على
يهوديون بأسماءه ويطولون كل ما قام به من حركات مباركة كـ
سبيل محمد الإسلام.

عن الحصر، وكانت أبرز الصفات في مذبحهم لهم اعترافاته ومقدرتهم على قيادة

١) المراجع السابق ٢ / ٧٥ .

^{٢)} انظر صلاح الدين بن شرار، عمره وكتاباته، د/ أحمد أحد بدوى.

الجيوش المظفرة ، وهنا تتجلى روح العصر التي تخدم منهاً الأعلى في إنجادة أسلاب القتال ، والتهرب في ميادين الحرب ، وتكاد لا تخلو قصيدة من القصائد التي مدحها صلاح الدين من الإشادة بهذه الصلة وتمجيدها .

صلاح الدين في شعر الفخراء يطل من آجاله الجهاد في سبيل [عمران] دين الله ، وهو قائد كبير على رأس جيش قوى مدروب ، وهو حاكم يسرى على أمن الناس وراحتهم ، وهو فرق ذلك كله مقدام على حرب الفرج ، فلكم من سورة ألمع لهم الفرج ، وكنا لهم بفتحك ونديمك ، وقد صرف معظم جيشه لإسماع الصليبيين وتقطيم أطافلهم واستفاد ما استطاع استزداده مما اخضبوه من البلاد .

هذا هو الشاعر سبط بن التماديدي ، يرسم صفات قائد صلاح الدين ، تلك التي جعلته عظيماً بين أعين الناس .

يقول (١) :

ملك ترفع عن ضريب قدره ٠ « فإيه أكباد الرواحل تضرب
أخرى له الأعداء يند غائب ٠ « وحن الملك منه لبت أعلى
يدجي ويرهب بأمسه ، وللأجد المقدار من يرجي نداء ويرهب
ثبات إذا غشي الوعي والإغيبه ٠ شرع بالإعراضة شرب
خضرة أشكناه لوفوده ٠ « والسلام بحر المذواب أشهب
أروض بروض البارمات أريضه ٠ « وترى بدور الفعالي تعشي

(١) ديوان ابن سبط التماديدي من ٢٢ ، تحقيق مصطفى محيي الدين ، مطبعة المتنف ، مصر ١٩٤٣ م.

صب بكتسيدي المأثر متتبع فيها ومن شاد المأثر يتبع
ملك حمایة القلوب عبارة إن الكرم إلى القلوب عب
كك تفك الحادثات وراحة تراث الجددى وقلب قلب
وندى يهش إلى العطاقة تكرماً وموهاب بالطريقين ترحب
وصراحته كالنار شاب حرامها خلق أرق من الندم وأطيب
تربيه بالغفران الجزء كاماً الجسان إليه يذهب يتقرب
فيري لهم حقاً عليه دلم يكن ليبيه فضل المغفرة لولا المنابر
يأكل بالصلاح الدين يوسف أكب الـ ناتي دوف المتشمر الجعب
ذلك أخلاق الرمان لأهله فأطاعوه الحال المتصرف
وتهضمه للإسلام ثمنه صادق المرمات تراب من ثاء وشعب (١)
وغضبت الدين الخليف ولم تزل في آفة ترضى مذكوت وتحضرت
غادرت أهل البغي بين مجلد لقى الحسام وعاقف يترقب
أوهارب حنافت عليه برحيمها أرض الفضاء وإن تلك الميرب
فاصح بلاد الروم منك بشاراء النصر فيها رازد لا يتكلب
احسّم محمد عليك دام سمه ودوّاقه بعد النقاوم يصعب
فالعدل ليس بناجع ، أو قلبي وغفار اصلتك بالتجمع يتعصب
لا تسترون إذا غفرت بمجرم منهم فرب جريمة لا تترعب
فتقترنك أنت تغزو على هنـهم حـدهـا كـما يـعـصـرـ الآـبـ

١) النّافِع : الْفَوَادُ .

هذه أيام الصفات البارزة التي وصف بها ابن التمادي المسامي البطل
صلاح الدين الأيوبي، كاتبها له أول ذلك المسر، فإن التمادي يجد في
نفسه إيجاباً قريباً بصلاح الدين، وقد عبر عن هذا الإيجاب بغير ماق وسمه
من الشعر، فقد اشتار صوراً وأخفة بيته، وأني يصر كل ما فيه من تمايز
واحمة، وهو مسلم في دلالته على معناه، لا غموض فيه ولا التواء في دلالته.



ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبيرة :

إن شهر المبارك كان سيراً حافلاً بالأحداث التي مرت بالامة الإسلامية ، ففيه حدثت مفصل عن الانتصارات وعن النكبات ، ومن بحوثه يكتسبنا أن تزلف أحدى أيام تاريخية مفصلة عن مصر ، فهو مناسب لازياخ مهم لدراسة مصر لدرجات تجلستها تزلف إله من المستطاع اتخاذ هذا الشهر مفسراً لأحداث التاريخ ، فقد أخذت حقائق التاريخ ميداناً جال فيه فسيطاً وجعل شعور الناس به ومن بحوثه كذلك يكتسبنا أن زرب ملحمته شعرية غالبة تصور هذا مصر بكل دقة وجلاء .

والواقع أنه كان للحياة التي شهدتها مصر أثر كبير في إبراء شهر المبارك ، إذ المعروف أن الحياة في هذا مصر مختلف في جميع صورها عن الحياة في أي عصر آخر ، فمصر الحروب الصليبية بما فيه من حروب وفتن ، كل ذلك كان وأفاده بفتح الشعر بالمعنى ، فتشكل من ثم فيه الأخذية ، وقد ساعدت ظروف مصر أصحاب الفراغ في خدمة هذا الضرب من الشعر ، ففتح شرارة كبيرة وصنفت المدارك ، وتحرك الجيوش ، والتجام السيف وانشمار القتال ، كما وصنفت رحلة الحرب نفسها منذ تحرك الجيوش ، وقد زاد بعضهم فرصف ما تفسر عنه المدارك من انتصارات أو هزائم فنصف من ثم روعة الانتصار ، كايصف ذل المزينة وما يلحق بالمؤودين من هار .

وقد سهل شهر المبارك بداية الحروب الصليبية ، كاسجل الحالات الصليبية ، ويحمل كذلك اتجاهات هذه الصليبيين ، وما دار في مصر من معارك طاحنة ، كما يحمل المعارك التي تم النصر فيها للمسلمين ، وأشار ابن شازكوا في هذه المعارك .

وقد استطاع الصليبيون أن يكونوا إمارات عربية في بلاد الشام كان على رأسها إمارة «الرها»، وإمارة «أنطاكية»، وإمارة «بيت المقدس»، وكانت كل إمارة من الإمارات تقرّ لمارك شديدة بين المسلمين والصليبيين. أما معركة الرها فكان طلبها عاصم الدين زنكي، وعاصم الدين أول بطال كبير للحروب الصليبية، وكان جديراً بأن يشق الطريق أمام خلفه، وأن يوضع لهم التوجّه المقتضي، وقد استولى عاصم الدين على الرها في جمادى الثانية ٤٣٩ هـ وبذلك كاًن أول مدينة كبيرة تسقط في أيدي المسلمين، ليس هذا فحسب بل إن سقوطها قد أثار في نفوس المسلمين الهمّ والقلق في استعادة ما فقدوه، كما زرع في نفوسهم الشفقة، وجعلهم يحسون أنهم على درجة تكثّفهم من طرد الصليبيين من ديار المسلمين، وباستيلاء المسلمين على الرها أمكن لهم أن يستولوا على مابقى هذه الإمارة من مدن وقرى.

يدرك القيسري أن أثر النصر الذي أحرزه عاصم الدين في الرها، وكيف رفع شأن الإسلام وأهل مجده، وكيف أحلّ الأمان محلّ الخوف، وكيف توطّدت به دعائم الدين، واستقررت أركان الإسلام فيقول (١) :

إيه بن الإيّان أمن ترّفت « دواسيه حرا ، واطهان مداده .
وفتح حدیث في الصماع حدیثه « شری الی يوم المساد معاده
مدینة إفلاک منذ خسین حجهة » « يغل حدید المندھ علی حداده
تررت مدی الأوصار حتی لو أنها » « تررت إلیها عن طرق ساده
وجامحة عزر الملوك قيادها » « إلی آن ثناها من يعن قياده

(١) الروحانيون ١ / ٣٧ مطبعة وادي النيل .

فأضمرها تارين : حرباً وخدمة ٠ فاراع إلا سورها وانهاده
فياظفرا عم البلاط صلاحه ٠ هنا كان قد عم البلاط فاده
فلا مطلق إلا وشد ونافه ٠ ولا موافق إلا وحمل صفاده
ولا منبر إلا ترمح عوده ٠ ولا مصحف إلا أنارداده
وعرضي الشاعر فيتحدث عن مدينة الزها ، وما كانت تتصف به من حسانه
ومنافه ، وما أصاب البلاد في عهد عمار الدين فيقول :
للي أين يا أسرى الفضلاة بعدها ٠ لقدر ذل غاويكم وهو رشاده
رويدكم ، لامانع من مظلمسه ٠ يعادن أسباب العصاه عناده
مصيب سهام الرأي ، لو أن هزمه
دي سد ذي القرنين أحين سداده
وقل لما لك الكفر سلم بعدها ٠ عالتكبا إن البلاد بلاده
كذا عن طريق السبح فليبيته الموج
فيطالما غال الظاهر لام امتد
ومن كان أملاك السموات جنده ٠ قافية أرض لم ترضها جياده
وأما معركة حطين فما هو معروف أن بيت المقدس قد وقع في أيدي
الصلبيين عام ٤٩٢ ، وكانت معركة حطين عام ٥٨٣ ، وتعد هذه المعركة أعظم
معركة حدثت بين المسلمين والقسرنخ ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو بطل
هذه المعركة .

وقد وقف الشعر بصور هذه المعركة ويتنبئ بالنصر عليها .

سلوا الساحل الفنى عن سطراه
فأكان إلا ساحلا صادى الها
تمارزت ما أعا الحبـال منهـا
قول يقظة كانت مساعيك أو حـلا

أما معركه دمياط فبات عام ٦١٥ ، وقد وصل الصليبيون إلى دمياط
ملماً في الاستيلاء، هسل مصر كي يحولوا بينها وبين مساعدتها للشام ، وقد
فردوا حصاراً شديداً على المدينة واستطاعوا دخوها في شبابن عام ٦١٦ .
وكان لسقوطها أثر بالغ في نفوس المسلمين من ناحية وفي نفوس الشعراء بصفة
عامة من ناحية أخرى ، وذلك لما للمدينة من أثر يهدى العالم الإسلامي كله .
وحين استرد المسلمون المدينة من أيدي الصليبيين في رجب عام ٦١٨ ،
وجدوا الشعراً يستبررون بهذا ، ويختفون احتفاءً شديداً بعودته هذه للمدينة
إلى الخطابرة الإسلامية ، بل إن هذا التصرّف هو شاعرية عدد كبير من

الشعراء .
وعلى رأس الشعراء الذين بازكروا عودة دمياط إلى المسلمين الشاعر بهاء

زغير (١) ، فقد نظم قصيدة ملسوية ، وقام بإدانتها إلى تلك الكامل ،
١) ولد الباه رزير بمكة المكرمة عام ٦٨١هـ ، ثم انتقل مع والديه إلى قرمن
حيث تلقاً وتسلّم . وقد أحب مصر كثيراً ، والتي بأذنها للمرءوفين ،
وشقى الردح المصرية ونشرها ، والتي بالأمير محمد الدين أصالح بن
المدني الذي تولى عام ٦٧٠هـ وعمل كتاباً له فقرة من بين الرهن ، وقد

وامتداحه فيها ، وجعل ما له من دور في معركة دمياط ، وما كان له من أثر في
نفوس المسلمين . وقد انتهى القصيدة بالتبشير عن فرحة المسلمين باسترداد
المدينة فيقول (١) :

بِكَ أَهْرَعْتَ عَطْلَ الدِّينِ فِي حَلِ النَّصْرِ

وَرَدَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا مُلَةُ الْكُفَّارِ

فَقَدْ أَصْبَحَتْ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نَعْمَةٍ

يَفْسُرُ عَيْنَاهَا قُدْرَةَ الْحَمْدِ وَالْكَثْرِ

يَقْلُ طَسَا يَذْلِلُ النَّفْوسَ بِشَارَةً

وَيَصْغُرُ فِيْهَا كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَنْذَارِ

تُمَّ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْفَرَحُ الَّذِي تُمَّ بِعْدَدِ دِيمَاطٍ إِعْنَاهُ فَرَحُ الْإِسْلَامِ
الْإِسْلَامِيِّ جَيِّدٌ .

وَمَا فَرَحَتْ مِصْرَ بِذَلِكَ وَحْدَهَا ۖ لَقَدْ فَرَحَتْ بِيَتْدَادَ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرَ

فَلَوْلَمْ تَقَمْ فِيْهِ حَقُّ قِيَامِهِ ۖ لَمْ يَسْلِمْ دَارُ الْسَّلَامِ مِنَ الدَّافِرِ

وَأَقْسَمَ لَوْلَا هُمْ كَالْمُلْكِيَّةِ ۖ لَخَاتَ رِجَالُ الْمَقَامِ وَالْمُهَاجِرِ

فَرَسَ مِنْهُنَّ هَذَا الْمَهَانَهُ بِعَكْهَهِ ۖ وَيَرْبُبُ ، يَتَبَاهِي إِلَى صَاحِبِ الْقَهْرِ

فَقَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ : إِنَّ سَيِّدَهُ ۖ حَتَّى يَعْنَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ تَوْبَةِ الظَّهَرِ

= انتصَرَ أَسْيَابُ الْقَاهِرِ بِالْأَمْرِ فِي قُورُسِ وَأَنْذَلَ يَنْظَمَ فِي الْمَدَائِعِ ، وَشَرَهَ

بِعْتَادَ بِالسُّوْلَةِ وَبِعَتَادَ عَلَى الرُّوحِ الْكَمِيَّةِ فِي التَّبَشِّيرِ وَاسْتِمَارَةِ الْفَلَقِ

وَالصُّورِ . وَقَدْ تَوَقَّى عَام٦٥٦ .

(١) دِيْوَانُ الْبَاهِرِ زَهْرَى ، ص ٥٢ طِبْيَةُ مِصْرٍ ١٢٩٧ .

وبعد أن يتحدث عن طول هذه المعركة وما أبداء للملك الكامل فيها من صبر وثبات ، وما فعله أفراد الأسرة الآلية حين أتموا وصاودوا جماعة واحدة ، ومدى تأثير ذلك على حاصرةaldo وانصراره إلى الإسلام .

وبعد ذلك يتحدث عن قيمة وأهمية مدينة دمياط فيقول :
كثيـرـ اللهـ دـمـيـاطـ الـسـكـارـاهـ لـهـماـ لـمـنـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ فـيـ مـوـضـعـ التـحـسـرـ

وـمـاـ طـالـ بـهـ مـاـ شـبـلـ إـلـاـ لـأـكـهـ يـعـلـ عـلـ الـرـيـقـ مـنـ ذـلـكـ التـغـرـ

ويتحدث عن الفتح العظيم باستزداد مدينة دمياط فيقول :

فـلـهـ يـوـمـ الـفـتـحـ يـوـمـ دـخـولـهـ وـقـدـ صـارـتـ الـأـعـوـامـ مـنـهـ عـلـىـ وـكـرـ

لـقـدـ قـلـ قـلـ أـيـامـ الرـانـ يـاسـرـهـ وـأـسـنـ حـدـيـثـاـ عـنـ حـلـيـنـ وـعـنـ بـدرـ

وـيـاسـدـ قـوـمـ أـذـرـكـرـاـ فـيـ حـظـمـ لـقـدـ جـمـوـاـ بـيـنـ الـقـيـسـةـ وـالـأـجـرـ

وـالـذـيـ لـاشـكـ فـيـ أـنـ كـانـ الشـعـورـ الـدـيـنـ أـنـ كـبـيرـ فـيـ هـذـهـ الـقصـيدةـ ،ـ فـنـ

هـذـاـ الشـعـورـ اـتـيـسـتـ الـقصـيدةـ كـثـيرـاـ مـنـ أـفـاكـرـهـ وـأـخـيـلـهـ .ـ وـلـيـسـ كـمـةـ غـرـابةـ

فـأـنـ تـخـدـ الـقصـيدةـ الـدـيـنـ بـنـيـوـطاـهـ ،ـ لـذـ الـمـرـوـقـ أـنـ الـمـنـاسـبـ الـىـ بـشـعـهـ أـلـىـ

[إنـاـتـهـ] مـنـاسـيـةـ دـيـلـيـةـ قـوـيـةـ ،ـ وـلـذـ كـفـنـ تـرـىـ الـدـيـنـ مـهـبـتـ الـعـفـ فيـ حـلـ

الـتـصـرـ .ـ

وبعد أن استسلم الفرعون في دمياط زمام يطلبون من الملك الكامل الأمان

وكان هذا سبباً في حدوث خلاف شديد بينه وبين إخوه وأسراته ، ومع ذلك

فقدرأى أن يعطيهم الأمان على أن يتسلوهم المدينة وبهادروا مصر ، وقد

فعل الملك ذلك حسب الدهماء وصيانته للأرواح ، ورفقته منه في أنت يحقق

أهدافه من غير إراقة دماء .

وقد دعى الشاعر ابن عين (١) بهذه الرقة التي وقفها الملك الكامل ،
فأخذ يروان بين ماعليه حال المسلمين وما عليه حال الفرج ، يقول (٢) :
سروا صهوات الخيل يوم الوعي عنا .. إذا جئت آياتنا وقفنا الدنيا
خداء لقينا دون دياط جحلا .. من الروم لا يخصي بيتنا ولا ظنا
فقد اتفقا رأياً وعزماً همة .. ودبوا زن كانوا قد اخطروا السنا
نداعوا بأقصد الصليب فأثبات .. جسوع كان لوت حلم سنا

(١) هو محمد بن نصر الله بن الحسين ، حكفي الأصل . ولد في دمشق ونشأ
ودرس على جماعة من علمائنا ، كان عاشر وفقيه الدين النسابوري
والشبرذوري فاضي دمشق ، ثم انتقل إلى بغداد فاتم عليه هناك . وقد
ابتدأ قول الشعر عام ٩٦٥هـ ، وعاصر دولة صلاح الدين ٩٦٥هـ
لثمانية ، وحين هلا صلاح الدين صدر أمر بتنبيه عن دمشق فأخذ من ثم
يعرف بالشام والمرأى وغيرهما من المذاهب ، وقد أتى في الشرق ونظم
هناك شعرًا ينتزق فيه إلى دمشق ، وقد بلغ تعمصه للعروبة ببلمه . وقد
عاد من وحلاته في الهند إلى العين فاتق هناك بأميرها سيف الإسلام
العزيز طفلة بن أبوبكر أخوه صلاح الدين و مدحه بقصائد تعدد من خير
شعره في دمشق ، وقد أقام في مصر مدة طويلاً وانتقل بجماعة من شعرائها
وبعد أن أتيحت له فرصة العودة إلى دمشق عاد إليها وظل فيها إلى آخر .
حياته من عام ٩٦٣هـ إلى عام ٩٦٨هـ وهو عام وفاته . وقد خلف ديواناً
من الشعر ، وشعر المجداته عنده هو عداد شاعريته .

(٢) ديوان ابن عين ، تحقيق خليل مردم ، مطبعة دمشق ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .

عليهم من الماء كل معاشرة
دلأس كثربن الشمش قد أحكت وعثنا
وأطضمهم فيينا سرور فارفلا • إلينا سرروا بالبيهاد وأرغلنا
فما بربت سر الرماح توشيم • بأطرافها حتى استجاوروا بعثنا
سفيتهم كاسا نفت منهم الكري • وكيف ينام الليل من عدم الأمان
القد سبروا سبرا جيلا ودانوا • طويلا فما أجدى دفاع ولا أمني
لغروا للرتوت من ذرق الآسنة أحرا • فالغروا بأيديهم إلينا فاحتنا
وما يرج الإحسان هنا سجدة • توأرتنا عن صيد آباتنا الإيتا
متحنا بقديام حيسنة جديدة • فما شدوا بأعناق مقذفة هنا
ولو ملكوكوا لم يأتلوا في دماتنا • ولوغا ، ولكنكمكنا فاجحننا
فك من ملكك قد شدنا إسراره • ركم من أسير من سما الأسر أطلقنا
أسود دفعي لولا قراغ سووفنا • ما لو كبروا قيدوا ولا سكرنا هنا
ويقتن ابن النوبة (١) بالانتصار في ذنباط ، وبعد مقدمة لاسترداد الشام

١) علي بن محمد ، مدح القاضي الفاضل والصادل ، ومدح ولزمه : صني الدين ابن شكر ، لم يبل علاق في بيان الإنعام بمصر ، ولكنكنته كتب الإنعام للملك الأشرف موسى بن العادل ، وكان الأشرف « هو أكفر من اتصل به ابن النوبة وأكل من أنتي عليه » ، وقد مدحه في قصائد كبيرة . غادر أرض مصر ، ووجد في ظلال الأشجار الحياة الحادمة المظلمة . وشعر ابن النوبة في جملته بذلك على نفس مرحلة تزيد أن تستريح بالحياة وبعدها ، وكان لهذا أثره في نفسه وفي إجادته لشعر الوصف ، وكان =

وعلوه الصليبيين منها ، يقول خطاباً للشريف موسى (١) :
عكا وصود إلى رقابك عاطفة .. فلم يعش فقد أمكنك منهن خلوات
وأستجدد الرفع عنها ، إذ لا يرى .. إياك ذور سلام أو تحفه ..
له أشكب أن نفس من أسرم .. تل ، وتلني من القرآن آيات ..
وأن يخورد على القرآن عالمي .. جهراً ويخنق أذان أو تلاوات ..
ما كل من طلب العطا ، أدركها .. ولاقتها سمية فيها سعادات ..
هذا وقد حرس الحكام غسل تسجيل كل تلك الأحداث التي شهدتها
المارك ، وحرسوا كذلك على أن يسجلوا دورهم في هذه المارك ، حتى يضم
هذا الدور إلى المارك الخالدة في تاريخ الغرب العظيم والرواية التي دارت بين
الملين والصلبيين (٢) .

أما معركة عكا فهي تعد آخر المارك التي دارت بين المسلمين وال الفرنج ،

= الغروب الصليبي آخرها في ابن زيد ، عندما خاعن الملك الأشرف ، مع أيام
الأسرة الأيوبية معركة دمياط ، فما كان من ابن زيد إلا أن قام بتسجيل
الدور الذي قام به الملك ، كما يحمل دور جيشه في القتال . يمتاز شهره
بالسمولة والرقة والقصد في استعمال الحسنات البدنية وإن كان يمحاري
الطريقة الساذحة في مصره ، الأمر الذي جعل شعره متكافلاً إلى حد ما ،
وتوقف عام ٩١٩ .

(١) ديوان ابن زيد من تحقيق عبد الله فكري ، مطبعة عبد الفتى ذكري .

(٢) انظر التحريم الزاهري ٦٤١ . طبعة مصر ١٣٥٣ .

وباتها هذه المركبة عادت البلاد جيمها إلى سلطان المسلمين فكان الحال قبل الفزو الصليبي للبلاد ، والمعروف أن بطل مركبة عكا هو الأمير خليل بن فلاورن .

وكان ذلك المركبة صداما في الصدر العربي ، وبطأول بها المقام إذا أردنا استعراض القصائد التي أشادت ببرقة عكا ، وما تمتاز به هذه المدينة من حمامة وسمة ، وما يتبين به جيش المسلمين الذي حارب في عكا .

وقد تحدث شهاب الدين محمد في قصيدة له عن فتح عكا ، وعما تحقق فيها من آمال كان ينظر إليها على أنها بعيدة المآل (١) ، وهي قصيدة طرية تحدث في مستهلها عن تحقق حلم المسلمين بهذا الفتح العظيم ، وكيف أنسى هذا الفتح ماسبقه من فتوح ، كل ذلك لمعظمه : تماجح هذا الفتح وضخامة أهدافه .

ويصف الشاعر أحوال عكا وما كانت عليه من مناعة ، ثم يعدد الأشرف خليل بن فلاورن وجئنه البواسل ، وبعد ذلك يصف آثار هذه المركبة التي شهدتها عكا فيقول :

يا يوم عكا لقد أنسى ماسبقك
به الفتوح ، وما قد خط في الكتاب

لم يبلغ الفتن حق الشكر بذلك ، فما

صفي يقوم به ذو الشعر والخطب

كانه نمني بذلك الأيام عن أيام

والده ف شاهدناك عن سكتب

(١) الروضتين ١ / ١٨٢ مطبعة وادي النيل .

أغضبت عباد عبي ، إذ أبدتهم
نه أي رضا في ذلك الندب
وأطلع الله جيش النصر ، فابتدرت
طلاحم النصر بين السمر والفضب
وأشرف المصطفى طادى البشير على
ما أسفل الأرض سلطان من قرب
قره عيسى بهذا الفتح وابتهج
بنعمة الكعبة المراء في الحجب
وسار في الأرض سير الرفع سمعه
ناور في طرب والبحر في حرب
ثم ينتقل إلى وصف معركة عكا وما أسرفت عنه من نتائج طيبة المس
وعلق الصليبيون فيها من خرى وعارضو فنقول :
وعاشرت البعض في بحر الداما ، وما
أبدت من البيعن إلا ساق عذيب
وعاشرت زرق القنا في زرق أخيهم
كأنها شطرت ثموي إلى قلب
توقدت وهي تروي في نحسوره
فرادها الرى في الأشراف والالب
أجزرت إلى البحر بغيرها من دعائمهم
فراح كاراج إذ غرقاه كالحرب

وذاب من حرها عنهم حديد
كم أبرزت بطلًا كالطور قد بطلت
حواسه فدأ كلاً تذكر الحرب
كانه وستان الرمح يطليه
بروح هوى ووراه كوكب القلب
براك يملك الدنيا لقد شرف
ما يهد عكا وقد لاتت عريكتها
لديك شىء تلاقىه عسى القلب
فامض إلى الأرض فالدنيا ياجتها
مدت إليك يواصها بلا قصب
كم قد دعوها في أمر العدا زينا
شيد الملاوك فلم تسمع ولم تجرب
ادركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت
منه لسر طواه الله في القلب

وَجِئْنَا بِجُيُورٍ فَالْبُولُ عَلَى
أَسْنَانِهَا يَهُ آتَاهُم مِنَ الْفَضْلِ
وَحَمَلْنَا بِالْمَاءِ وَمِنْهُ أَتَيْنَاهُ
إِذَا جَاءَ رَبِّاتِهَا فِي جَهَنَّمْ طَبٌ

مرفعة تشيرأ أعمدتها فندا
الكسر والخطم منها كل منصب
ورجنتها ينقرؤب ذلك شما
منها وأيدت حبياها بلا عقب
وغشى البيعن في الاعناق فارتفعنى
أبراجها لميسرا منهن باللب
ونخلف بالم الأسوار فاتيخت
طليا ولو لا دماء القوم لم نطب
غثرا بروج البيوت الش مقلهم
فاستقليم ونم تطلق ونم تهب
فأحرزتهم ولكن السيف انكى
لا يانجي أحد منهم إلى هرب
ويمالئ النار في أرجائها وعلت
فأهلكات ما بعده الدين من كرب
وأطلت البحر منهم من يذبح من
يلقاه من قومه بالوليل والمر布
وهيكلنا جبل الشر أحدك المسر ، وكان صورة لها غير من محل المروء
الصلبية ، كجبل ماتم للسلبيين من انتصاره وما تكبوا به من هزائم ، وقد
خلد الشر ماجره الفزو الصليبي على بلاد المسلمين من خراب ودمار ، وخلد

كذلك في أبياته مفاخر الأبطال الكبار وانتصاراتهم من نصوص الفراة
الشريح، وقد حظى هؤلا، الأبطال بالشعر الفزير، وذلك قاموا به من
أعمال جليلة.

ومع كل هذا فيمكّنا أن نقول إن المتنبي للشعراء الذين قالوا في مفاخر
الأبطال وانتصاراتهم لن يجد من ينافس ذلك الداعر الذي يتناول شخصية بطل
من الأبطال، ومحاول رسم ملامها وتغليظها كما فعل شاعر العريبة المتنبي متلا
مع سيف الدولة الحمداني (١) في قصائده التي تسمى «السيفيات»، فقد خلدت
هذه السيفيات شخصية سيف الدولة كما لم تخلد شخصية قائد من قبل في الشعر
العربي.. هنا على الرغم من أن قائد كصلاح الدين الأيوبي كان أصغر به
ـ لما يزيد من ضروب الفروسيّة والدجاعةـ أن يخلد الشعر، ولكن الحقيقة
تقتضي أن يقول إن القصائد التي قيلت فيه قصائد عادية، وقد اهتم الشعراء في
قصائدهم تلك بالصنعة اللغوية أكثر من اهتمامهم بروح الشعر مما جعل هذه
القصائد تخرج في كثير من الأحيان عن طريق الفن والإبداع إلى مجموعة من
الإفراط والصفات المكررة.

١) انظر على سبيل المثال: تاريخ الأدب العربي، المسر العباسى الشانى،
وأنظر كذلك: مع المتنبي، وما الكتور / مله حسين، ثم انظر: الحرب
في شعر المتنبي، الد.كتور / محمود حسن أبو ناجي.

رابعاً : الصدق الفقى في نقل التجربة :

على الرغم من وفرة شعراء المصر الصليبي ، والقول سكثة تاجهم فإن أكثر ما وصل إليينا من شعرهم لا يناسب وذريعة شهريهم ، ولالمعروف أن إنتاج الشعر قد غمز في مصر المغروب الصليبية ، وكثيراً ما تأوه ، بل إنه لا يزال هناك الكثير من شعر شعراً ، ذلك المسر خططاً يتطلع من يجمعه ويفقهه .

ويع أن ما وصلنا من شعر المصر الصليبي قليل ، فإن هذا المسر عرف بكلمة شعراء كثيرة يؤكدها ما تحقق به الكتاب التي أرخت لهن كلهم ، والمتصادرون التي تمردت لأشداء الشعراء . وإذا كان قد صاغ كثير منه فقد حقق قدر آخر لآيات به غموضاً في بحوثه قد اخترت من شعراء المسر ، وفي دراون بي بعضها ، وفي هذا النذر المنشار في المراجعة المختلفة .

ويع أن كتب الأدب والتاريخ قد أوردت ترجمة لكثير من شعراء المسر الصليبي عند الحديث عن تاريخ مصر وحربها ، والمنطقة الثقافية والأدبية فيه ، مع ذلك فإن ترجمات عدد كبير من هؤلاء الشعراء غير راقية ، وكثير من الذين وردت لهم ترجمات من الشعراء كانت محدودة للغاية .

ونحن لا نشك في أن شعراً كثيراً من شعر المسر قد صاغ وقد تحفه ركام اللاضي ، كما ضيّمت أخبار كثيرة لمجاهدة الشعراء ، يؤكد ذلك أن كثيراً من أشعار شعراً المسر والتي روتها كتب الأدب والتاريخ تبدو وكأنها مبتورة من قصائد طوبية .

والحقيقة أن شعراً المسر قد اهتموا بتسجيل كل معارك المسلمين مع

الصلبيين في مصادر مطروقة تكهنوا لللاحن، وتأمل ذلك ناتج عزف جاما
الإحداث وأهوالها، ورغبة الشعراء في استيفاء الموضع بكل دقة وتفصيل
ولذلك كانت حصيلة الشعر في هذه الفترة غزيرة وغنية، ولم لا يكُن حال
الشعر كذلك وكان إقبال الحروب الصليبية يحتملون أعباء المانيا والشعر لدرجة
جعلهم يطلقون الشعر لأن يقتضوا على أنفسهم شعرًا يستجلون فيه مازرهم
وافتخارهم في هذه المغارك ؟

فيما هو تور الدين محمود يطلب من الشاعر أساساً بن مقدون أن يتلهم قصيدة
على لسانه يفتخر فيها بآجادته، ويتحدث عن فتوحاته. وقد ألف أساساً بن مقدون
على هذا الطلب قصيدة طويلاً باللغة أيّها تسمون بتاء، وأولها :

ويعده هذا القيد البسيط أظن أن هناك سؤالاً يفرض نفسه ولا يبعد عن الإيمان عليه وهو: هل كان شهر المهاجر الذي تمرّه الشّرارة في شهر المروء الصّلبيّة تابعاً من عرائضهم؟

والحق أنّ على ما يشير به هذا الشرّار أنه تسبّب عن عائلة صادقة جاشت بتنفس الشّرارة، وتمثّلت عنها أسلتهم، ولذلك جازت صارمة صادقة لغيرها.

بوضوح ما ينفوسهم، وتحمل مسالت حياتهم وتجاربها . وقد هرر فنادق الأدب التجربة بأنها الصورة السكانية النفسية أو الكونية التي يصوّرها الشاعر حين ينفك في أمر من الأمور تفكيراً يتم عن هيكل شعوره وإحساسه ، وفيما يرجع الشاعر إلى اكتشاف ذاته ، وإخلاص قفي ، لا إلى مجرد محاولة في صياغة القول ليحيط بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين ليتألّف وينضم .^(١)

وعلى هذا فالتجربة شرط لازم للشعر ، والشعر الذي يعبر عن تجربة الشاعر وواقعه يكون صادقاً كل المصدق .

ومن الشعر يقول الأستاذ أحد الشايب : « ولخلاصة ما يقال فيه أنْ يكون تعبيراً صادقاً عن المقل والمشمر حتى يستطيع تجلّي نفس الشاعر إلى نفس القارئ ، ويعضّد بذلك التنبّه والتأنّير ».^(٢)

وليس هناك من يشكّ في أن صدق التجربة هو الذي يضع على الأدب بصلة عامة والشعر بصلة خاصة ومتقدّماً ، بل إن صدق التجربة هو أقصى ما ينتظره الناقد من الأدب . وقد رأى ابن رشيق في هذه الصفة منيرة يرتفع بها الشعر إلى قمة الجودة فقال : « وأحسن الوصف ما احتج به الشيء حتى يكاد يمثله بياناً للسامع ».^(٣)

١) النقد الأدبي ، الدكتور / محمد غنيمي ملال من ٣٨٤ .

٢) أصول النقد الأدبي من ٣٠٢ .

٣) المعدة ٢ / ٢٩٤ تحقيق عيسى الدين ، دار الجليل للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .

وشعر الجماد الذي ظهره شراء المسر الصليبي لم يتجاوز في جملة المسر كلام يتجاوز حياة هؤلاء النمراء ومشاعرهم نحو حياتهم، فهو يصور واقعهم الذي يعيشونه، ويصور [حساستهم] بهذا الواقع، فهو شعر ذاتي استوحوه من حياتهم الشخصية ومن أحاسيسهم ومشاعرهم نحو هذه الحياة، فهم لا يتحدثون عن شيء ذاته هذا الشيء، وإنما يتحدثون عنه من حيث علاقتهم بهذا الشيء، وحين يتحدثون عن الأمور التي يعيشونها الحديث فيها فإننا نجد حداثتهم تجربة حقيقة لما يحسونه ولما يشعرون به حزنهم، ولو لا ما ينبع في شعرهم من صدق العاطفة وحرارة الشعور لأنّهم بالأساس لا يهتمون بالحقيقة ليس هناك فارق كبير بينهم في المقام ولا في الصياغة.

وكون شعر الجماد في المسر الصليبي بمثابة حقيقة أسر لإيجاد إلى توضيح، فلقد جعلنا إلى الأعراض التي ظهرت في شعر الجماد لوجدها تصوير الواقع الذي يعيشونه، ولو جدنا التصور نفسه واقعياً، فالصور صور واقعى، وتصوره أيضاً واقعى، وقد أطلقهم حياتهم التي هاشرواها إلى أن يكون شعرهم واقعياً، يقولون الشعر فيما يعيشونه ويقطلونه لافيا يتصورونه ويختبئونه.

ولاحظ أن المذاق العام في عصر المزروع الصليبية كان جالاً رحباً يفتح لفورة العاطفة وصدقها، فالمسرح مصر صراغ ديني حقيقي، وقد انشط كل من الحريين « المسلمين والصلبيين » في ممارسة الفرقان الآخر، ومحاولة إيجاده والتبل منه، ومن ثم خرج شعرهم وكأنه نظمة من حياتهم تتجلى فيه التجربة وتتمثل فيه أحداث المسر تغير تبدل.

أن شعر الجهاد في عصر المزروع الماليبي يمثل حقيقة التجربة الشعرية في أصدق صورة، فهو شعر يدور حول جهاد المسلمين، فيصور [عاتهم ويفخر بتصحاتهم وانتصاراتهم، ولما كان شعرهم وهي جهاد المجاهدين خصبة الكتابة الكثيرة منه في تصوير حروفهم وتجدد بطولاتهم وشجاعتهم واستدباب المؤمن والتفتحية في سبيل دينهم، ولذلك يصبح أن تقول إننا نقرأ شعر الجهاد في "عصر الصليبي فنفس كأنا زر العابدين ورزي حباتهم وظروفهم والناس يخواستنا البواعث التي ساقت الشعراء إلى هذا الون من الشعر].

وموضوعات شعر الجهاد في عصر المزروع الصليبي، موضوعات خاصة بال المسلمين، من حيث أيام أحشوها وصارعوا طروفها، وقد عبر الشعراه تعبيراً انتصرياً عما كان عليه حال المسلمين بالفعل، فشعرهم يمثل بمحنة حياة المسلمين العربية، وأتمالم المريضة التي من أجلها قاتلوا بذلك المزروع وعاصروا تلك الأحداث القاسية.

وتحتل الصدق العاطفي في هذه القصائد الوفيرة التي ظهر بها القائد صلاح الدين الأيوبي، تلك التي تتجدد بطريقها وتتصور معاوكلة وما قام به من فتح مظيل لبيته المقدس (١) . كما يتحلى الصدق العاطفي في قصيدة شهاب الدين عواد في فتح عكا والتي يتحدث فيها عن هذا الفتح وكيف كان إيماناً عظيماً في نظر الكثيرين.

ومطلع هذه القصيدة:

الحمد لله رب العالمين وعز بالترك دين المصطفى العربي

(١) انظر «نالسا»: مدح أبطال المزروع الصليبية.

^١) نهاية الأدب للنويري ٢٩ / ٥٧ ، وفوائد الوفيات ١ / ١٥٣

طويلة جداً وقد بلغت أياماً مائتين واثنتين وتلاتهن بيها .

ومن ثم فسر الجماد بصفة عامه يمثل فيه الصدق . ولعل هذا هو السبب في أن جاء شعر شعراً البعض خلاصه تمسير به ذاتية يومية، ويمدأ عن الكفاف والزباء ، وخرج في جملته مائتيها متذكرة يعبر عن مثابر الشعرا وأساليبه ، ولقد ذكر في السهل على من يقرأ هذه الأشعار أن يتبع منها قرة المشاعر الدينية لدى الشعراء .

ويجدر هنا في هذا المقام أن نقول إنه كان لهذا الطابع من الصدق الذي أثر واضح في خلق الشابه والتذكر إلى في شعر الشعرا ، حتى أشكاله نسبة بعض هذا الشعر إلى أصحابه الحقيقيين ، وإن السبب بذلك يرجع إلى أن أكثر ما يعبر عنه شعراً المصر عبود مشترك بينهم جميعاً ، فيهم يتذرون بما ملأه واحدة ، ويذعون إلى حرف واحد قصر وشتم عليه وهو دفاعهم عن المقيدة والدين وقصريم اهتمامهم على ذلك ، وليس هناك من سبب فالمرتب الذي شرب منه هؤلاء الشعراء واحد ، فلم تذير من ثم قصرياتهم ولم تذير ، وكأنها على قوة في الشابة لدرجة جعلت شعرهم يظهر وكأنه صور متعددة لقطب واحد .

والحق أن هذا الشابه والتذكر لا ينبع من شأن شعر الشعراء ، كما لا ينبع من درجة المصدق والإخلاص فيه ، لأنه ليس تذكرًا بالتفايد ، أو استدعاء لخواص شعرى غالب ، ثم إن الشعر لم يكن يمثل عند شعراً المصر الصالحي فنا ينفعون له لو يتنافسون في تحويده ، فهو في غنى عن تقليد السابقين أو جحارة المعاصرين ، لأن حياتهم قد وفرت لهم مادة غزيرة القائم

استلهموها ولم يستغلوا لغافرها، يرى كذلك وقوفه أنا نحو دشريهم يمثل الحياة الشخصية لكل منهم، الذين قرأت شعر شاعر منهم غالباً تألفت منه حياة صاحبه، ولستني في حاجة - حين تود أن تعلم حياة الشاعر منهم وظروفه - إلى أن تستقمي شعره كله، وإنما يكفي أن تلم بقدر من شعره فتفهم منه تفاصيل حياته، وليس يبعد هنا ماصنعته المؤرخون من اهتمامهم على شعر الشعراء حتى استبيان أخبارهم وأحداث حياتهم وظروفها.

وهل بذلك غلاهيب على شعر شعراً أنا أن يكون قد صدر في موافق وأوحى بهمها، وإنما العرب لا يمكنون الصدق ملائحة لانفعال الشاعر منهم وأن ياتي شعره فلا تدرك أثر له أو لم تفهمه، أو أن يحكون شعرهم كلية لظروف عازلة، وبعبارة لاوضاع سياسية، من غير أن يكون ذلك الأحداث أثر في هواطنهم وأحاسيسهم.

وهل الذي يخفى إلى هذا المردوع أن كثيراً مما ظهره شعراً المعاصر الصالحي في الجماد كان قد صدر في موافق بهمها، وهـذا تجده ترى أن شعر الموافق كأي شعر، فإن ابتدأ من عاطلة صادقة جاء شعر الصادق تجرباً يقبله اللائق ويرتضى به ولا ضرر عليه أنه في أحداث أو موافق بهمها، فكل الشعر المعاشق الصادق إنما ت فهو إله مناسبة من المناسبات المعاطفة من جب وإيجاب وغير ذلك من المواعظ التي هي البراءة الحقيقة للشعر، فالشعر الصادق هو ما كان من آلة لضرر، وبخلاف ابتدائه وهو ما لا يأبه، وتغيره لا يأبهس قاتله، (٤).

(٤) التجديد في الأدب المصري الحديث، د. عبد الوهاب حربة ص ١٢٠.

و فوق ذلك فكثير من شعر شعراه العصر الصليبي في المواقف والمناسبات
ترى الشاعر فيه يطعن على المناسبة ، ولا يجد أمام القاريء أثر لها ، وإنما يجد
حيث الماءفة والوجдан والتجربة الشعرية أكبر بكثير من حيث الموقف
والمناسبة والظروف الطارئة ، ذلك لأن الموقف قد هن وجدان الشاعر ،
وأثار شاعريته ، فإذا و كان نفسه تتحرك بإذام منه لا بإذام عارجي عنه . ثم
إن المناسبة قد أدت آذاك متزاقبة مع الشعراه ، ودواهم النفسية ، وكل
ما للمناسبة من دور أنها حركت غريب التجربة إلى بداخل الشاعر ، ولا شك
أن المائع العام في عصر الحروب الصليبية كان مجالاً رحباً يتسع لفترة الماءفة
وصدقها .

ومن ينظر قول الشاعر أسامة بن منذر في وصف المدارك التي دارت ضد
ال العدو الصليبي ، أو وصف ابن الساعاني لجيوش ومعداتها (١) يرى حسومة
النهض ، كأبرى زحام الآيطال ، ويرى كذلك صليل البيرف ، واتهاب زوران
المركة ، وقومة النساء وما إلى ذلك ... ومثل هذه الأشعار تعطي صورة
صادقة ومحببة لبطولة المسلمين ، كما تقينا على مالكي شعرائهم من روعة في
الوصف ، وقدرة على تصوير المدارك والجروب .

وليت شعري ماذا يضر شعر الجباد في عصر الحروب الصليبية لو كان في
المناسبات والمواقف ، ظلئن كانت الشعر رسالة للمجاهدة فالحياة إلا مجموعة
مناسبات ، ولا ضرر على هؤلاء الشعراء أن يتظدو في المواقف والمناسبات
حيث لأهمهم الذين صرموا أنفسهم إلى هذا الفن وأثروا أن يصوروها العصر

(١) انظر : ثانياً : تصوير المدارك الحربية .

وصراحته وأحداثه اليهودية، وخرجت أشعارهم جميعاً، ليس فقط بخطوط
كالآباء تدفع إلى القدار، وبذل النفس في سبيل مواجهة التحديات، وهذا المكان
واحد عند جميع الشعراء، وهو على مختلف قوته وضيقها حسب تقدير كل شاعر
وتقديراته.

ويقتحمها الانصاري أن يقول إن هناك أشماراً محاسن من قرائتها أنت
ساجداً إيماناً بآيتها تلمسها غلب ليتدرك بها مع من نظموها، والعاشر يلتقي بهذه
القصيدة جامدة فتقتد الروح، ومثل هذه الأشمار إن هي إلا تسجيل للأحداث
وابليست جزءاً من نفس قاتلها ، كما أنها ليست صورة حادثة ولا تنهي
عن تكراره أبداً .. وهؤلاء الشعراء وإن غير داعٍ من راغبات المعرفة وأخذاته
لا أعلم لم يكونوا حريصين على إظهار خصوصياتهم في القصيدة ، وترى كثيرة
منهم وكأن موضع شعره يعيش بينها غيم وخارجاً عن أنفسهم .

وأياماً كان الآخر فالذي أراد أن الشعر يجب أن يصدر عن نفس الشاعر
وي blijغ من داخله، وأن يمْرُّ عن تحريره، ويرتبط به ارتباطاً تاماً وموطئه،
وليس ممكناً بذلك العزلة التي يعيشها الشاعر في المقهى، أو موقف أم لا، وإنما
السبب إلا يكون العدد ملزاً لانتمال الشاعر - وعلى هذا فإن أري أن شعر
اللراقي والمناسبات كأي شعر، فإن انتباه عن ماهية صادقة جاء شعر قفوا
تفصله وتزكيه ولا يضر عليه أنه في اللراقي أو للمناسبات، لأن المناسبة
ليست هي التي تحكم الأحكام والخواطر وأسكنها تبيح لها فرصة التظاهر

عاماً : خصائص عاماً :

وهناك خصائص عامة لشعر الجماد في مصر المزروب الصالحة ينفرد بها غير فحيمه ، ويتنازع بها دون سراء في الشعر الديني على ، واللاحق له في مختلف البياع ، ومن تلخصها فيما يلي :

١) تأثر هذا الشعر إلى حد بعيد بالصراعات السياسية التي شهدتها مصر وقد تستطع هذا الشعر على التبرير ، ودفع الشعراه هنا [إلى أن يقولوا - ولماذا يقول إن كل الشعراه قد التزموا بهذا الملك ثم يهدوا عنه إلا نادر؟ .
وكان لظهور العصر التي سادت أثر كبير في إبراز شعر الجماد ، بغية هذا العصر يختلف عن ذي قبيل ، فالزروب والفنون كانت رافضاً يقين الشعر بالمعنى ، وقد ساعدت كل هذه الآفاق الشعراه المؤمنين في تحمسه هذا العرض من الشعر .

٢) تتمثل الروح الدينية في هذا الشعر غالباً أغنى الشعر بالمعنى الإسلامية ، فلا بد أن يكون الشعراه قد تأثروا بمعانى القرآن الكريم ، كما تأثروا بملته وأسلوبه ، يذكر ذلك أن كثيراً من الشعراه كانت تضميناً بعض آيات القرآن الكريم .

٣) من يتأمل شعر المزروب الصالحة يجد تجددًا في معاناته وأحياته ، إذ اختلفت معانى هذا الشعر عن غيره ؛ ففكرة الصراعات والمزروب في مصر كانت تحمل الشعراه على استبطاط المعانى الجديدة في شعر الجماد وقد كررت في الشعر معانى للبالغة في البأس والفتنة ، وهذا شيء متربع ليس طيبين هو أننا أسبحنا بيانه موقف في الحياة مختلف مما كان عليه الشأن قديماً ، وكان

من الطبيعي أن تغير الشهادة فنالقدم على آخرها، هذه الحياة الجديدة أو في
غلافها. وهذا نوع الآخر ليس تغييرًا أكلياً، ولكنه تجارة للعمر
وهي حديث فيه من تطارات.

٤) سلامة المبارة، وخلو من القرابة والتحققد، وإن كانت بالوظيفة.
٥) الشعراه، يهذا يتبعون شعراء الحسنة في المسر الأموي، ويعتقدنا أن يقول
أن شعراء المسر لم يتمحروا تماماً من ربيقة التقليد، ولم ينطليوا من معلم
القوافيز التي تحصل بالقصيدة الجاسالية، ولم يكن همهم إلّا إبراز قيمتهم الفنية،
بل كان كل همهم أن يلتقطوا ما ينتصرون به، وأن يحيطوا المأذون إلى عاصمة
الشعب، وظنوا خرج شعرهم ليحيط عن القرابة والجهة، توجهوا صرخة النظم
متخفية للناس.

وقد فرض موضع الجماد على الشعرا، فربما طرحت أشعارهم تناسب
والشعراء والمارك . ولو أن هؤلاء الشعراء قد ينزلوا جهداً أكثر مما يبذلو
ولو أنهم قللوا تفاصيل طرية في الملحمة لأعمدتها ملائكة كرمي .

٦) ملئى في هذا العصر سلطان التاريخ على سلطان الفن، بل إننا يمكننا أن نقول إن كل حصيدة من قصائد الشعراء مرتبطة بحدث يحيى إلى التاريخ ويحصل به من قريب أو بعيد. وقد تغير شعراء العصر المعاصر من ذلك، فهم وإن كان للحوادث التاريخية سلطان عليهم لا أنهم تحرروا من رغبة التقليد

التاريخي، وأصبحوا في طور الاستقلال الذي يعلم بال تاريخ في يومئذ
وغياباته .

٧) إنه نتيجة لاحتكاك المسلمين بالصليبيين تمر به بعض الآثار لاظهار
الأفرعية إلى لغة الكتابة ، ونحن نجد سدى مثل هذه السكلات في شهر الحجـاد
كقول الشاعر ابن مثیر الطراطـلـی من قصيدة له يدرج فيها ثغر الدين ويدرك
بعض وقائمه (١) :

فبرنت المرؤس لفاع خف . وجـرع من جـوسـك جـوسـلين
و كـفـولـ ابنـ القـيـسـانـيـ فـبعـضـ قـصـائـدـ (٢) :

كـأـهـدـ الـآـفـادـ الـقـمـسـ أـسـرـ . وـأـسـدـ قـرـنـ مـنـ حـوـادـ الـأـسـ
طـنـ وـبـنـ عـدـوـاـ عـلـ غـلـاهـ . فـأـوـبـهـ الـكـفـرـانـ عـدـوـاـ وـالـكـفـرـ

٨) إن هـذـاـ التـشـرـفـ فـمـعـظـمـهـ لـاتـسـودـ رـوحـ الـيـأسـ وـالـنـاشـقـ ، فـإـذـاـ
استـشـبـهـ تـصـرـحـاـ مـلـيـةـ وـجـدـنـ كـلـ الـأـشـعـارـ الـقـبـلـيـ فـيـ الـحـربـ الـصـلـيـبـيـةـ
يـفـرـهاـ التـفـاؤـلـ وـالـأـمـلـ ، وـالـإـعـانـ بـالـتـصـرـ مـهـاـ اـشـتـدـ الـأـمـوـىـ وـاسـتـحـكـتـ
حـلـقـاتـ الـمـاصـعـبـ .

١) الروضتين ١ / ٨٣ نشر دار الجليل بيروت .

٢) المرجع السابق ١ / ٧٣ .

الفصل الرابع

أثر المروءة الصلبية على الشعر

أولاً : أثر المروب الصليبي على الورعات الشعرية .

ثانياً : أثر المروب الصليبي في أساليب التمر .

ترك المزروعات الصليبية التي جرت في البلاد الإسلامية والتي دامت زهاء قرنين من الزمان آثاراً بازرة على الشعر أدت إلى تغير عربات أحداث ذلك المزروع، وأثرت على حياة المسلمين وواقعهم بصفة عامة وهل حياة الشعراء بصفة خاصة.

وسوف نعرض هنا آثر المزروعات الصليبية على موضوعات الشعر وأساليبه، وأبرز هذه الآثار هي الآتي:

أولاً : آثر المزروعات الصليبية على الموضوعات الشعرية :

١) تفاصيل الشعر في أرجاء العالم الإسلامي :

عما لاشك فيه أن آثر المزروعات الصليبية يمثل عادة لربط بين البيات الثقافية في العالم العربي في ذلك العصر ، بل إننا يمكن أن نقول إنها أول عادة فلية تجمع في صعيد واحد أحوال الثقافة في الشرق والغرب ، كاكان العداء والأداء ، أنسجم بريطون بينهما في جو لاتسيو العذريلا .

والحقيقة أنه قد انصب الاهتمام على مصر والشام وبيانهما الثقافية وبيانهما وأدبيهما وعلى وجه التحديد الشعراء ، إذالمعروف أن الرطبة الأدبية في مصر والمزروعات الصليبية كانت لمصر والشام ، ففيها فنون الإنتاج الأدبي ، ولذا

أعظم الأدباء في ذلك العصر .

ومن آثار المزروعات الصليبية على الشعر أنها تركت آثاراً ظاهرة في الشعر في كل من مصر والشام ، وهذه الآثار يمكن تبيينها واحدة تلو الأخرى شرعاً للشعر ، يهدى أنها يتبين أن تقول إن هذه الآثار كانت في المقام الأول على أساس من الأدب العربي للورود ، لوجهاً تمكناً لاستطيع أن نغير عن

شعر قيل في مصر وأخر قيل في الشام . يقول الدكتور أحد أحد بدوى في مكتابه ، الحياة الأدبية في مصر الحروب الفاطمية بـ « مصر والشام » (١) : « ولما كان يندفع الشعر في هذا المسر واحدنا هو الشعر العربي القديم ، شابة الشعر في ذلك المسر في أيامه ، العالم الإسلامي ، وصار الحالى بين الشعراء خلافاً في الأسلوب فورة وضمنها أسلوباته منه خلافاً في الروح والاتساع ، ولذا تبايناً الشعر الشامي والمصري ، والمرافق في ذلك المسر ، ولا يكاد يجد فرقاً في صفات الشعر بين هذه الأقطار إلا في بعض المصادص الخليبة التي يختص بها فطن دون آخر ، من صفات طبيعية ، أو مظاهر حضارة ، أو حوادث سياسية ، أما الآخرين أم المسلمون الشعر فرواد ، ولهذا فإن أن ترى في الشعر الذي قيل في مصر يومئذ ما تستطيع أن تلبين قوله ملاحم مصرية خاصة [لا حيث يتقارب الشعر من اللغة العالمية ، فيصبح لغة عالمية معرفة ، كما في شعر اليهود زعير] .

وعلى الرغم من أن أساس هذه المظاهر كانت متصلة في الأدب العربي فإن علينا أن نقول إن الحروب التي دبت بين المسلمين والصلبيين كانت تحصار في أول ماقتهاز به بظفراها الدين ، ذلك المظاهر الذي طبعهما بطابع عاص وجعل النزاع في مصر أهان بين دين لا بين حربين أو فرقين يتنازعان . والحقيقة أن العرب في ظلال الإسلام قد عرقووا حرب الروم ، بل إن غزو كل واحد منها لصالبه لم يتقطع في مصر من العصور ، وهو فتح من ثم مصر كمحورية وما إليها . وبوجه ذلك فإننا نقول إن حال الإسلام في مصر

الحروب الصليبية يختلف كثيراً عن ذي قبل ، فالإسلام في مصره الأولى كان قرياً ، يقدر على الصمود والتصدي من جانب ، ويقدر على دفع المدران والقوسات من جانب آخر . وفضلاً عن ذلك فإن الأعداد التي كانت في الجيوش المهاجمة للسلطين في مصره الأولى كانت محدودة ، أما في مصر الحروب الصليبية فلابد أن عدد الجيوش المستخدمة كانت متخصصة للغاية ، وقد استخدمت تلك الجيوش الفرقه والمنف ، كما كانت أقوى ما يمكن من التحريك والتدمير ، لدرجة يجعلنا نقول إن الإسلام في عورته الأولى لم يعرف بخوارج جامعية كذلك التي حدثت في القدس وأنطاكية ومصرة النمسان ، وقد وصل تسلط الصليبيين درجة جعلتهم يعلنون لل المسلمين عن أراضيهم .

وقد ساعد الصليبيين على ذلك أن المسلمين إنما يرون هذه الحروب كانوا شيئاً وأحراناً ، وكانت بلادهم مصرأة وبقعة ، يختلف الحال في مصره الأولى للإسلام ، وإن هذا هو السبب الذي مكن جيش الفرازة الصليبيين من تطهير قرى المسلمين واحدة واحدة ، وأخذوا يهاجمون في الأسبلة على كل الرقع الإسلامية ، إلى أن أخذت جيش المسلمين تجمع وتقوى ويشتد سعادها ، حتى تحكمت في النهاية من استرداد بلاد المسلمين شهراً شرفاً .

٢) ظهور شعر الحك وشعر رعن :

لا شك أن الشعراء في مصر العبروب الصليبية كانوا ينظمون الشعر في أحلك الظرف وأقساها ، وليس من شك أيضاً أن العبروب الصليبية كانت سبباً في ظهور موضوعات شعرية متعددة تترجم إلى أصل واحد هو

الجهاد والدعوة خلية الإسلام والمسلمين. ومن هذه المجموعات شعر الفناء والخض عليه، ووصف الجبوش، وآلات الحرب، والجهون، وإبراز فضائل الشجاعة والشدة والبطولة والتفاني، وقد اشتراك في هذه المجموعات الشهراً جيماً، وظلت الحروب الصليبية تبدأ لابد من مجموعات الجباد وآلة له في شعر مصر بل في أديبه.

والحقيقة أنه كما كانت للحروب الصليبية أثرها في ظهور شعر الحرب والتحرير كان هذا الشعر أثره أيضاً في تبيه الحكم الراقي، وإذارة المزاج الرائكة، وفي تحديد الشعراً، للأبطال، وإبرازهم لصفات الشجاعة والإقدام من بين صفاتهم، لدرجة تهمسناً نقول إن الحديث عن الشجاعة والتقدّم في وصفها صار عنصراً أساسياً من عناصر الملح، بل إن الملح يلم يقتصر على من عاصوا خوار الحروب الصليبية وحدهم، الأسر الذي يذكر كمدح ما تبوأته هذه الصفة من بين باقي الصفات الإنسانية من مكانة وتقدّر في ذلك مصر.

وأمّا باعتباره شعر الحروب الصليبية [إذا هو الحب والتحرير على كذلك الفرج وتجاهد، وأهل هذا هو السبب الذي جعل شعر هذه الحروب يمتاز بالخاصة المدققة في أرجائه، وبالعاطفة القوية التي تبعث في الحياة والثورة، ولم لا يُحيط الشهراً على الجهاد، ولم لا يعودون أبطال هذه الحروب، وهذا العدد الغازى يأخذ ينتمي للبلاد قطعة تلو الأخرى، ويهدى السكان بالتشريد والذبح والقتل، وقد وصل أمر إفساد العدو درجة جعل المكامن يتجمرون إلى الشهراً، ويرجونهم إلى نظم شعر الحرب والتحرير، يجتمعون فيه للتلاذلين ويعرضونهم على الفناء، بل وعستهم عيون كل من يستطيع أن يجد

هذا وقد أجمع نقاد الأدب على أنه كان لهذا النهر أثره في عريات الأمور في البلاد الإسلامية، بل إنه قد أحدث في ثقافة المسلمين الذي ينتجه الأدب من إثارة التفوس، وخروجه سرعة تزدى الدور الطليطلوب هنا وتتدفع التأثيرات في الجماد الذي يهدى ميدان التشرف والفتخار.

والحقيقة أن هناك أو قلتانا صعيبة أو حتى يواجهنا بغيرها من شعر التحريريين والباحث على الجماد، ومن هذه الآلوقات مارواه صاحب التجorum الإبراهيمية (١) من أن الفرج حين استولوا على بيت المقدس أخذوا يظلون أنوار الريحانية وستوف القسوة والجحود، الأمر الذي يحمل القاضي المطروفي بذلك قصيدة مؤثرة، منها:

١) الجزء الخامس ص ١٥٢، ١٥٣.

في الوقت نفسه عن أمنية المالية في اتخاذ الصنوف ، والانبهاء إلى أسمى الأهداف وأشرف النباتات وهو نبات الفرج .
يقول طلائع (١) :

تقول ، ولكن أين من يفهمه ، وعلم وجه الرأي ، والرأي مهم
وكل من قاس الأمر وساسها ، يرافق الأرض الذي هو أحذى
وما أخذ في ذلك يبقى خالدا ، وما أخذ عاصي الله يسأم :
أمن بعد ما ذاق العذاب طعم حر يذكر
بفيم وكنت وهي صاب وعلق
زجمت إلى حكم التنافس يشك
وفيكم من الشجفاء ثاب تغتصب
أما هنكم من يتق الله وحده
أما في رعایكم من الناس مسلم
تمالوا لعل الله يتصر دينهم
إذا ما فتصروا الدين نصر ، وأنتم
ونتهن تحسو الكافرون بعزم
بأنتما نحرس البلاد ونقسم
ولهاردة التي أشمار كثيرة كانت في حينها آخر من آثار الغروب الصليبية
 فهو يتأثر بها ويعبر يات أحداتها فيأخذ بيد الآطال . وهذا واحد منهم
وهو الوزير المعربي طلائع بن دزيك ، الذي كانت كل أيامه في الحياة أن

(١) الكامل لابن الأكابر ١١ / ١٤٢ .

يوقف كل جهوده على حرب الفرج الفراخ .
يقول عماره يعني على جهود طلائعه ويتباهى بانتصاره (١) :
تینته الإفرنج أنك إن تسرد
ديارهم لم يتمهم هناك مه رب
وعادك إن لم تعطيا الآمن منها
بما تملك يالبت الشّررى تختاب
وأهدوا رجال السلم آلة حرم
ومن بعض ما أهددوا من ومقعد
وذلك قال صادق أنت عزم
بسنك باسيف الهدى سوق بباب
لك الرأى لم فضل عليه ، ولم يفضل
إذا ظلت الآراء تقطّع و ترسّب
وما شئت فاصنح راشدا في سواقام

فراياك من رأى البرية أصوات
وسمى آن أمر المزوب العلية إلى الثالث صالح الدين الأبيوي وجده
الشعراء فيه كل أمانيهم ، فلذوا بعدهونه ، وأنشأوا في ذلك الفصل الطويلة .
وعلق أنه كان في صالح الدين من صفات الشجاعة والفردية ، وكانت له
في نفس الأصدقاء مواجهة ثخت في صدورهم المزوب والقزم ، ولعل هذا هو

١) الحياة الأدبية في مصر المروءة الصليبية (مصر والشام ، الدكتور / أحد

الداعم الفوى الذى جعل الشعراء يباركون خطواته، وبجهوده على تحقيق
آمنى المسلمين، تلك الآمانى التى سهل رأسها إنفاذ بيت القدس من أيدى
الفرنج .

يقول العميد الأصبهانى بعرض صلاح الدين ويسعى على تحقيق آماله للسلفين وأمانهم (١) :

وما يرتوى الإسلام حتى تقادروا « لِكُمْ مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ هِيَ اغْدِيرَا
فَصَبُرُوا عَلَى الْأَذْرَعِ سُوتْ عَذَابِهَا » . يأن يقسموا ما بينها الفتن والأسراء
ولَا تمثلوا البيض للقدس وأذمروا « عَلَى فَتْحِهِ غَازِرِينَ وَفَقِيرِهِ الْكِبِرَا
وَالْحَقِيقَةِ أَهْدَى كُثُرَتْ لَهُ الشُّعْرَاءُ الْفَاصِلُونَ الَّتِي تَتَوَرُّ حَوْلَ هَذَا الطَّبِيعِ
وَإِنْ كَانَ الْإِنْصَافُ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَقُولَ إِنْ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ قَدْ عَيَّجَ . وَهُنَّ أَنْ
يَصُورُونَ الشُّعْرَاءَ نُفُوسَ الْمُسْتَجَدِينَ ، وَوَاعِفَ الْمُخَاتِلِينَ الْمُرْعَيِينَ ، وَلَمْ يَوْقِعْ
فِي أَنْ يَنْقُلَ الْيَسَامَا كَانَ يَجْهُولُ فِي نُفُوسِ الْأَيْطَالِ وَالْفَقَادِ وَمَا كَانَوا
يَنْدَوُهُ .

١) الروضتين ١ / ١٧٩ مطبعة وادي النيل.

٣) ظهور الطاعن الإسلامي في مصر:

ما لا شك فيه أن حركة البعث العربي والأذين في مصر المزبور الضابطة كانت تتمدد أول ما تمتد علىتراث الإسلام الراهن في مصر السابقة وكانت النقاوة الإسلامية هي الغالبة في هذا النصر، وأم عناصرها انصر آن السكرم والحديث الشريف، والفقه، واللغة، والشعر القديم والزوج - وكان الداعي إليها والحركة الفخرى طاغي أول الأمر زعيم الحاس الذي كان لدى الحسكم ولدى أتباعهم في الأماكن المختلفة، بل إن عامة الناس كانوا مغروسين بالرغبة الدين، وذلك سبلي أثر تلك الحرب الدينية التي قام بها الصليبيون.

وفي هذا مصر الذي سادته الحرب باسم الدين ظهر الطاعن الذي في الشمر وأخوه جليل، يقول الدكتور أحد أحد بدرى:

ويعا هر جدير بالذكر هنا أن فكرة الوطنية والقومية لم يظهر لها أثر ما في شبر هذا مصر، فلم يكن ملوك هذا مصر وسلامية يماربون الفرج على فكرة أن هناك وطنًا لهم مقتضباً، فمعظمهم لا ينحدر من أصول أهل البلاد، وإنما كانت الفكرة السائدة يومئذ هي الفكرة الدينية، وهي الفكرة التي سادت نفوس المصريين في ذلك العهد، فلم يكن المؤمن من سقوطه، وباط مثلاً في بد الفرج أن جزءاً من أرض الوطن المصري أو العربي يقع في بد العدو، ولكن لأن المصطف سيسجل هذه الاتهام، والأذان يوثق ويأتي بهذه التأكيد، فإذا كنا نقدر أبناء بعض شهراً ذلك مصر يتناقض إلى دمشق أو إلى القاهرة فلم يكن ذلك مبنيناً عن شعور وطني أو فكره قومية

ولكن عن عاطفة شخصية ميّزها مواجهة الشاعر من سعاده هنا أو هناك ، (١) وقد ظلم شعراً العصر قصائد ية قدرن فيها أمر الدين المسيحي ، ويردون على من أشكر الدين الإسلامي وتذكر رسالة الرسول محمد ﷺ ، وينادون كل من حارب المقدمة الإسلامية الصافية . ومن ثم كثُر الشعر الذي يربى من إيمان الدين الإسلامي ، وكثُر كذلك شعر مدح الرسول ﷺ ، والاتصاف به وتجويده ، تمجيد الخلفاء الراشدين وغيرهم من قطان الصحابة . ومن المرجح أن العصر كان له أثر في ظهور هذا النوع من الشعر ، فلقد كان عصر صدام بين عقديتهما الإسلام والمسيحية ، فلا يجيء حيث لا يرى ما رأينا شعراً المسلمين ينهضون بدور ضريح المقدمة الإسلامية ويبيان إيماناً ، وتجسيد صاحب الرسالة والإشادة بفضله وأمجاده . فهذا شاعر يدعو إلى الرجوع للحديث الشريف ، والأخذ بأسبابه في العلم لأنَّه هو المأدى إلى سواء السبيل أما ماعداه فإنه يؤدي إلى الالحاد والضلالة : اشتغل بالحديث إن كفَّه ذاق فمه النار والابتلاء وهو المعلم وبه يدين ذوى الدين تحسن الآثار إنما الرأى والقياس ظلام و الأحاديث للمرى آثار سكُن بما قد عانه عاملًا بالعمل دروسٌ يُنْهَى بها الشار فإذا كنت عاملًا وعليا و بالآحاديث لن تمسك نار وهناك عشرات من الشعراء أخْذُوا يقرضون الشعر في مئات مقدمة الفرج ، وفي بيان إيمان الدين الإسلامي ، وفي مدح الرسول ﷺ ، والتحدث

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ١١٨ .

عن صفاته وفتنه وأخلاقه . بل إن بعض المؤمنون قد ألقى ديرانا شديدة
عاصما في ملح الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ، والبعض الآخر الذين اندفعهم المهر إلى مأبهد
الهراء الصليبي وكثروا قاتل في الدين الإسلامي ، يمكن أن يقول إن المقرب
إلى الله أقرب ، إنما الكثيرون في هذا التبرّج .

يقول الدكتور / محمد زغلول سلام وهو يصدّد تحدّثه من الشعر وأحداث
الحرب العالمية : « لم يكن الداعي مقهوراً على الاختصار المأمورين »، بل إن
الشّرّاء تعرّضوا في مداخلهم شخصية الرسول ﷺ ، وتوسلوا به إلى الله
سبحانه وعما لا يكفيه الله عن أمره . ويُجدر باللاحظة هنا أن المذبح
النبوية في القرن السادس الهجري كانت قد بدأت تأخذ ذراً فيها إلى الشّر
الّذي يشكل واضح ، وتصبح فتاً مستقلّاً يذاته . وحتى أصبح لا يغدو ديوان
أي شاعر من شعراء هذا القرن والقرون التالية من قصائد ذات مقدمة
الّتي ، بل إن بعضهم قد أفرد ديوانين بتألّمها لهذا الفن » (١) .

والشاعر الإسلامي «البرصيري»، (٢) فرسان متعدد كان للحروب الصليبية فيها أثرٌ آثراً، وقد عني فيها بالرد على النصارى، كما عني بتوسيع عقيدة

١) الأدب في العصر الابغوي ص ٢٣٦ .

٢) شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، شاعر مصري ، ولد في عام ١٩٠٨ مـ . يدل شعره على تعمقه في دراسة أصول الدين ، وهو أحد قادة التصوف في عصره ، وقد طبع الطابع الديني وأنصا جلساً في شهره ، ولد في مدح الرسول ﷺ فاصنعت شهراً واسعة في العالم الإسلامي ، ومن الم悲哀 أن العصر كان له أثره في مدح الرسول الكريم ، إذ كان مصر مواجحة =

الإسلام؛ وبيان من أيا هذه المقيدة (١).

وله قصائد أخرى عن فهرا يدرج الرسول صلوات الله عليه وسلم، ومن هذه القصائد قصيدة
« ذخر المداد في ممارضة بانت سعاد ، تلك التي طارضت في » قصيدة
« بانت سعاد » لكتاب بن زعير ، ومطلعها :

إلى من أنت بالذات مشغول وأنت من كل ماقدت مسؤل

والواقع أنه كان لقصيدة البروصيري هذه أثر في عصر الحروب الصليبية ،
كما كان لها أثر آخراً بعد هذا العصر ، وقد أحب بها عدد كبير من الشعراء
وحاول أن يقلدها الكثيرون منهم .

وفي المقيدة برؤان البروصيري بين كتاب المسلمين ورسولهم وبين غيره
من الكتب والرسل فيقول :

والفرق في أمة فضل الرضويمها قد ذاتها غرر منه وتحجيم

فظل تدور كتاب أقوالها كسائر الكتب تحريفاً وتأديلاً .

== بين المقيدة الإسلامية والدين المسيحي .

وقد عمل البروصيري في إحدى الوظائف الحكومية في مدينة بلباوس
بمحافظة الشريقة في مصر ، وقد هيأته تلك الوظيفة إلى الاتصال بطلائيف
كثيرة من الموظفين ، كما اتصل من قبل بالأمير على الدين أحد كبار
الأمراء في عبد الملك الصالح نجم الدين أبوب ، كذلك اتصل ببعض وزراء
الدولة ، وقد اختلف المؤرخون في وفاته بين سنة ٦٩٤ وسنة ٦٩٦ .

(١) انظر ديوان البروصيري .

فَالْكِتَابُ وَالرَّسُولُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَنْتَ

وَمِنْهُمْ فَاعْلُمْ حَسَنَةً ، وَمُنْعِلَةً

وَالْمُصْطَنُ خَيْرٌ خَلْقِ اللَّهِ كَاهُمْ

لَهُ عَسْلُ الرَّسُولِ تَرْجِيعٌ وَتَفْضِيلٌ
كَمَا يَتَحْدِثُ حَمَّا اخْتَصَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضْلِ ، وَمَا أُوتِيهِ مِنْ
الْمَجَرَاتِ وَيَقُولُ ذَلِكَ كَمَا يَبَانُ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ الْمُصَارِي حِينَ أَنْكَرُوا
وَسَأَلَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

قُلْ لِلنَّصَارَى الْأَيُّ سَامَتْ مَفَالِهِمْ ۝ فَإِنَّمَا غَيْرُ عَصْبَنِ الْجَهَلِ تَعْلِيلٌ
مِنَ الْبَهْرَاءِ اسْتَغْدَمُتْ ذَلِكَ الْجَهْوَدَ كَاهُمْ ۝ مِنَ الْفَرَابِ اسْتَفَادَ الْبَقِّيْنِ قَابِلٌ
فَإِنْ يَكُنْ عَدْكُمْ تُورَاهُمْ صَدَقَتْ ۝ وَلَمْ تَصْدِقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنَجِيلٌ
ظَلَّمُوكُمْ نَاصِرُوا ظَالِمِيْنِ لَكُمْ ۝ وَذَلِكَ مُثْلِ قَصَاصِ فِيهِ تَعْدِيلٌ
أَمَا عَدْرَقُمْ نِيِّ اللَّهِ مُعْرَفَةُ الْأَهْلِ ۝ بَشَاءُ ۝ لِكَنْكُمْ قَوْمٌ مَثَاكِيلٌ
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَهْنُونَ بِهِ ۝ لَوْ اهْتَدَى مِنْكُمُ الرَّشِيدُ حَلْلُونَ
فَلَا تَرْجُوا جَرِيلَ الْأَيْمَنِ مَحْلٌ ۝ إِنَّ الرَّجَاهَ مِنَ الْكَفَارِ حَذَّلُونَ
تَبَادُّرُونَ بَرِيِّ مِنْ ۝ جَهَالَكُمْ ۝ وَهُنَّ افْتَنَاعُ ، وَجَسْمُ فِيهِ تَوَلَّ
مُوْتَوْا بَنِيَطٌ ، كَمَدَّمَاتْ قَبَكُمْ ۝ قَابِلٌ ، إِذْ قَرَبَ الْقَرْبَانَ هَارِبٌ
وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَذِهِ التَّصْيِيدَةَ طَرِيلَةٌ بَهْدَا (١) وَقَدْ عَدَ فِيهَا الْبَرْصِيرِي
فَرَوَاتُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكْرُ مَاظُرٍ فِي هَذِهِ الْمَزَوَّدَاتِ مِنْ آيَاتٍ تَدْلِلُ دَلَالَةً

(١) انظرها في ديوان البرصيري ص ٢٢٧ وما قبلها . تحقيق الأستاذ محمد سعيد

كيلاني ، طبعة مصطفى الحلبي ١٩٧٣ م.

واحْمَدْ عَلَى صَدِيقِ رَسُولِكَ ، كَمَا أَشَادَ فِيهَا بِالْمُسْلِمِينَ ، وَاتَّقَلَ مِنْ ذَلِكَ كَاهْ
إِلَى مدحِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
كَمَا أَنَّ لِبِرْصِيرِي تَصْيِيدَ أُخْرَى ، وَهِيَ الْمُعْزَرَةُ الَّتِي بَلَّتْ أَيَّاً تَهَا أَرْبَاعَة
وَسَيِّنَ يَيْتَأْ ، وَمَطْلَبُها :

كَيْفَ تُرْقِ دِرْكَ الْأَنْبِيَاءِ . . . يَاسِنَةُ مَاطَارَاتِهَا سَلَامٌ
وَالْحَقِيقَةُ أَنْ غَرَّةَ الشَّعْرِ الْدِينِ ، وَأَنْعَامُهُ إِلَى تَوْضِيعِ الْمُغَيَّبَةِ الْإِسْلَامِيةِ
وَمَدْحُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَدُ آثَارِنَ آثارَ الْمَصْرَ ، بَلْ إِنَّ الْمَانِيَ
الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْفَصَانِدِ [غَامِ] مِنْ مُسْتَقَأَةِ الْمَصْرَ ، فَقَبْلَهَا رَدَهُ عَلَى مَا ادْعَاهُ
الْتَّصَارِيَ مِنْ جِهَةِ وَعْلَى مَا ادْعَاهُ التَّصَارِيُّ وَالْبَيْرُودُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى ، كَمَا أَنَّ فِيهَا
مَنَاقِشَةَ الْتَّصَارِيِّ فِي مُعْتَدَلَاتِهِ .

فَشَارَةٌ يَقُولُ شَاعِرُ الْإِسْلَامِ الْبَرْصِيرِيُّ :
دَعْ مَا ادْعَهُ التَّصَارِيَ فِي ثِيمٍ . . . وَاحْكُمْ عَلَيْهِ مَدْحَاهِهِ وَامْبَكْ
وَتَارَةً أُخْرَى يَقُولُ :

يَا حَسِيبَأَ وَشَفِيمَا مَطَاعًا حَسِيبَا أَنْ لِبِرْكَ الإِيَابَا
لَمْ نَقْلِ فِيكَ مَقْالَ النَّصَارَى إِذْ أَحْسَلُوا فِي الْمَسْجِدِ الصَّوَابَا
أَهَمَّا أَنْتَ نَذِيرَ مِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْمَكْتَابَا
وَبَرَدَهُ عَلَى النَّصَارَى وَالْبَيْرُودُ فِي قَيْدِهِ أُخْرَى لَهُ فَيَقُولُ :
جَاءَ لِلْمَسْجِدِ مِنَ الْإِلَهِ رَسُولاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَلَا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَمَا فَادُوكُمْ مِنْ جَهَنَّمِهِ فَيَسِّهُ حَلْوَاهُ
وَعَصَابَةُ مَاصِدَقَتِهِ وَأَكْرَبَتِهِ بِالْأَفْكَرِ وَالْبَهَانَ فِي الْقَبْلَا

فَكَانُوا جَاءَ السَّجْنَ الْيَمِينَ
لِيَكْبِرُوا التَّوْرَاهُ وَالْأَعْبَلَاهُ
فَأَنْجَبَ لَهُنَّا الْمَدِيرَتَ
تَرْهِبُهَا بِالْمَهَا التَّكْبِلَاهُ
هُنْ يَهْلُوُهُ يَهْلَلُ ، فَاهْلَهُ
أَعْدَاهُهُ بِالْمَاهُ التَّبْجِلَاهُ
وَتَقْطُلُهُ أَمْرُ الْفَاقَادِيَّهُمْ
ذَرْهَا أَلَمْ تَرْعَدُهُمْ عَلَوْلَا
وَكَانَ يَشْهُدُهُ كَثِيرًا تَفْهِيَّهُ أَرَاضِيَّ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفَزُورِ الصَّلَوِيِّ ، بِلْ إِنَّهُ كَانَ يَدْ
هُنْ أَلْأَمْرُ عَالِيَّهُ جَلِيلَهُ وَحَلَّهُ مِنْ أَحْلَامِهِ . ثُمَّ قَامَ الْأَشْرِقُ عَلَيْهِ حَمَلَهُ الَّتِي
كَانَ الْمَدُّ مِنْهَا اتَّرَاعَ عَكَّا مِنْ أَيْدِيِّ الْمُلْكِيَّهُوْنَ وَالْقَعْنَادِيَّهُ لَآخِرِ مَقْلَهِ طَمَّ
فِي إِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَفَ الْبُوْصِيرِيُّ يَقُولُ :
قَدْ أَخْدَى الْمُسْلِمِونَ عَكَّا
وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِيْنَ عَكَّا
وَسَاقَ سُلْطَانَاهُ إِلَيْهِمْ
خِيلًا تَدَكُّ الْجَبَالَ دَكَّا
وَأَقْسَمَ الْرَّزْكَ مِنْدَ سَارَتْ
لَنْ يَرْكُوا لِلْفَرَجِ مُلْكَاهُ
وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ قَدْ شَارَكَ فِي هَذَا الْقَرَاتِ مِنَ الشُّعُرِ الْمُدْكُورِ بَرِّيَّهُ مِنْ
الشُّعُرِ ، مِنْهُ الشَّاعِرُ أَبْنُ الصَّاعَافَرِ (٥٥٣ - ٤٦٦) . وَكَانَ لِلْمَرْوِبِ الصَّلَبِيَّهُ
أَثْرٌ بَالِغٌ فِي كُلِّ أَشْعَارِهِ ، وَقَدْ تَأَذَّرَ فِي قَصِيدَتَهُ بِتَصْيِيدَهُ ، بِإِنْسَادِهِ لِكَتَبِ
أَبْنِ زَهْرَهُ ، بِخَالِقِ تَقْلِيَّدِهِ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَدَ صَفَّاهُ
وَأَخْلَاثَهُ وَشَمَالَهُ . وَإِنَّمَا مِنْ شُكُّكِيْنَ فِي أَنَّ الدَّافِعَ الَّذِي دَفَعَ أَبْنَ الصَّاعَافَرَ لِذَلِكَ
يُخَلِّفُ مِنَ الدَّافِعِ الَّذِي دَفَعَ كَمَّا بَيْنَ زَهْرَهِ .
يَقُولُ أَبْنُ الصَّاعَافَرُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَوْلَا مِنْ تَكْرِهِ ، لَا ، وَلَا قَرَاءَهُ ، وَلَا فَرَاءَهُ ، وَجَارَهُ ، وَلَا تَهْلِيْلَهُ
وَلَمْ يَهْبِ آدَمَ فِي حَالِ دُعَوَتِهِ . نَعَمْ ، وَلَمْ يَكُنْ قَابِلَهُ وَسَابِلَهُ

فَتَلَدَ الرَّسُولُ حَقًّا، لِأَخْفَاهُ بِهِ
شَافِعٌ فِي الدِّيَانَةِ مَقْبُولٌ
بِشَفَّوْرَتِهِ الْأَخْبَارُ إِذْ لَفَقَتْ
مَدْنَثُهُ عَنْهُ تَرَدَّادَةً وَأَجْبَلَ
وَفِي الْقَطْبِيَّةِ لَفَسَبَا بَدْرَ الْبُوْصِيرِيِّ حَصَابَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبِهِ بَقَالَتِهِمْ وَهَاعَتِهِمْ فِيَّ سَوْلَ :

أَسَدٌ [إِذَا] نَادَلَوْا شَبَابٍ [إِذَا] سَفَرُوا... إِنْ [إِذَا] جَادَلُوا صَبَابٍ [إِذَا] سَيَّارُوا
فَلَا مَفَارِحَ [إِنْ] نَالَتْ دَعَاهُمْ... وَلَا يَجَزِعُ فِي الْأَيَّامِ [إِنْ] تَبَلَّوْ
الْمَالُونَ [بَأْنَ] النَّفْسَ هَالَكَةً... يَوْمًا وَأَنْ قَضَاهُ اللَّهُ مَفْدُولٌ
فَسَا كَوَاحِدَمْ فِي فَدَدَهُ أَحَدٌ... وَلَا كَبَابِهِمْ فِي فَسَدَلَهُ جَوَيلٌ
وَلَقَتْ لَارْجَنِي أَجَدِي... رَحَمٌ فِي يَوْمِ حَبَّمْ أَجَسْ وَتَرَبِيلٌ
عَلَيْهِ وَسَلَمَدَهَا يَدِيهِتْ عَنْ حَبَّ [أَنَا] هَيْ قَبَسَيَّةَ... الْبَرَدَةَ، الَّتِي تَنَظَّمُهَا الْبُوْصِيرِيِّ
وَأَنَّى مَطَلَّمَهَا :

أَيْحَسَ الصَّبَابُ أَنَّ الْحَبَبَ مَتَكَبَّرُمْ... مَا يَنْ مَنْجَمْ مِنْهُ وَمَنْطَرُمْ
لَوْلَا الْمَوْرِي لَمْ تَرَقْ دَمَّا عَلَى طَلَالٍ... وَلَا أَرَقَتْ لَدَكَرْ تَبَانَ وَالْمَلْ
وَيَدَ أَنْ يَتَحدَّثُ الْبُوْصِيرِيِّ عَنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ وَعِدَّرَهَا مِنَ الْمَوْرِي زَادَهُ
يَنْقَلُ الْأَنْقَالَا طَبِيعَمَا بَدَحَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَحْدِيدُ عَنْ [إِغَابَهُ]
الَّتِي لَا حَدَّلَهُ بَالْبَيْنِ... وَالَّتِي لَا شَكَّ فِيَّهُ أَنَّ هَذَا الْمَسْحُ وَذَلِكَ التَّقْدِيرُ السَّامِيُّ
الْرَّسُولُ الْكَرِيمُ [إِنَّ] هُوَ وَتَبَقَّى الصَّلَةُ بِالْمَصْرِ... فَقَدْ اسْتَوْسَى الشَّاعِرُ فِيَّهُ رَوْحَ
الْمَصْرِ خَرَصَ عَلَى وَرْضَنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ طَبِيقَةِ الْرَّسُولِ أَجَدِي
وَجَلَّمِي... صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجَدِي... يَسْتَمْدُرُنَ فَضَالَّمَهُمْ مِنْهُ

وياخذون عنه العلم والمعرفة

يقول البوصيري : *لهم إني أدعك يا رب العالمين*

محمد سيد السكونين ، والثاقفين ، والفقيرين من عرب ، ومن حجم

فأق البنين في خلق وفي خلق دلم يدانوه في علم وفي كرم

فهو الذي تم منه وصورته ثم اصطفاه حبيباً يارى النسم

منزه عن شريك في عماشه يظهر المحسن فيه غير متنفس

دع ما ادعت النصارى في نورهم وأحكم بما شئت ملساً في واحتك

وابناب [إلى ذاته] ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإلا ففضل رسول الله ليس له حد ، فغيره منه ناطق بضم

لم يمتحنا بما تعبا العقول به حرجا علينا ، فلم ترتب ولم نهم

أعيب الوردي فهم مغناة ، وليس بري

في القرب والبعد منه غير متفحص

فبلغ العلم فيه أنه يضر وأنه خسارة خلق الله كلام

وكل آلة الرسول الكرام بها فلما اصلحت من توره يوم

والبوصيري قصيدة هزلية طال فيها نفسه حتى بلغ عدداً أيامها أربعين

وستة وخمسين بيتاً ، وهي قصيدة تمتاز بقوة الأسلوب ، ومتناثرة العبارات ويزيد

أثر النصر والخاتمة فيها في هذا النقاش العظيم الذي ناقش فيه عقيدة المسلمين .

يقول :

قوم موسيٍ عاملتم قوم عيسى *باليدي* *باليدي* *عاملتكم الخفاء*

صَدَقُوا كِتَبَكُمْ وَكَذَّبُوكُمْ كَثِيرٌ إِنْ ذَا لَيْسَ بِالْحَلَالِ وَإِنْ
لَوْجَدُنَا جُهْدُكُمْ لِأَسْتَرِينَا أَوْ لَعْنَى بالظَّلَالِ أَسْتَاءَ
مَالِكَ [خُورَةُ الْكِتَابِ] إِنَّا لَيْسَ بِرَعْنَى لِلْحَقِّ مُنْكِرٌ إِنَّمَا
يُحْسِدُ الْأُولُّ الْآخَرَ بَرِّ ، وَمَا ذَلِكَ كُنْدُونَ وَالْقَدَمَاءَ
بَنْيَتِهِ تُورَانُهُمْ ، وَالْأَنْجَوِيلُ وَمَمْ فِي جُهْدِهِ شَرَكَاهُ
إِنْ قَوْلُوكَاهُ : مَا يَتَّسِعُ ، فَإِذَا ذَلِكَ بَاهُ مِنْ عِرْونَهُمْ غَشْوَاهُ
أَوْ قَوْلُوكَاهُ : قَدْ يَبْتَهِ ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا ذَنْبُ عَا قَوْلُوكَاهُ حَمَلَ
كَيْفَ يَحْسِدُ إِلَهٌ مِنْهُمْ قَارِبًا حَشُونَاهُ مِنْ حَبِيبِهِ الْبَقَاعَهُ
خَيْرُونَا أَهْلُ الْكِتَابِ ، مِنْ أَيْمَانِنَا أَنَّا نَكِيرُكُمْ وَالْبَدَاءَ
مَا أَنِي بِالْقَبِيدَتِينِ كِتَابَ وَاعْتَقَادَ لِأَنْفُسِهِ ادْعَاءَ
وَالْمَعَادِي مَالِمَ تَقْيِيمُوا عَلَيْهِمْ إِنْ شَنَاتِ أَيْنَزَاهَا أَدْعَيَاهُ

٤) ظُورُوكَاهُ رَثَاءُ المَدْنِ وَمَحَامُ الْمَنْهَادِلِينِ :

وَكَذَّلِكَ فَرَكَهُ الْجَرُوبُ الْصَّلِيبِيَّةُ الَّتِي جَرَتْ فِي الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَثْرَتْ فِي
أَعْمَاءِ الشَّرَاءِ إِلَى مُؤْمِنَهُمْ هَذَا عَلَاقَهُ بِرَجُودِ الْصَّلِيبِيِّينَ كَانَ مِنْهَا : رَثَاءُ المَدْنِ
وَمَحَامُ الْمَنْهَادِلِينِ .

لَهُنْ سَقَطَتْ مُرَّهُ النَّهَانَ فِي أَيْدِي الْصَّلِيبِيِّينَ فِي بَدَاءِ غُرُومِ الْبَلَادِ الشَّامِ
رَثَاءً وَجِيئَنِ حِدَّهُ الْتَّسْوِيْخِيِّيِّ بِأَبِيَاتِ حَزِيرَةَ بِاَكِيَّةَ بِتَأْسِفِهِ عَلَى الْإِسْتِيَّاهِ
عَلَيْهَا وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِهَا . يَقُولُ : ()

(١) مَرَأَةُ الرَّمَانِ فِي تَأْوِيْخِ الْأَمْبَانِ ، لَابِنِ الْجَوَزِيِّ ج ٨ قَم ١ ص ٣٤

١) الروضتين ١ / ٢٢٣ مطبعة وادي النيل .

ثبات عنها بوجه خوف منتقد من الأحادي ووجه الود لم يعل
أسبل من أسلق دموعه دهاء خلت دهابكم وقدت مهجرة السبل
أبكي عيل ماقرأت من مكاركم حال الرمان عليها وهي لم تعلم
ويختتم الشاعر القصيدة متمنياً أن تمرد الدولة، فتمود من ثم معها آماله
وآماله، فيقول:

وربيا يادت الدنيا المغلباً « منك ، وأحمد بك علوة العقل
وحيين استولى الصليبيون على بعض بلاد الشام ، وتأثر أمراء المسلمين في
نصرة إخوانهم ، والهرب منهم ، وإنما ذم ساقعوا فيه ، نحمد الله أبا المؤمن

الأبرور دى ينظام قصيدة في هاشم ، يقول فيها (١) .
ولإخوانك بالشام يضحي مقياً « طبور المذاكي أو يطعون القشاعم
تسويمهم الروم المسوان وأنتم « تحررون ذيل الحفشن قبل المصال
دعوناكم والغرب ترتو ملحة « [لينا بالخطف التسوار القشاعم
فإن أنت لم تغصروا بمدد هذه « ربنا إلى أعدائنا بالجرائم

ومنها ي يكن من شيء فإن الحروب الصليبية قد حررت آثاراً وآخرين في
مخطوطات الشعر تشعر القارئ بما أن أحداً لا يخطر بباله تجربة تجربى على مسرح
الحياة ، ولعل ذلك راجع إلى ما ظهر من جانب الصليبيين من تحصّب ينبع
لديتنا الإسلامي .

(١) الكامل ١٠ / ٢٨٤ نشر دار صادر بيروت .

يقول الدكتور محمد عبد العزيز الكفراري تحت عنوان «صلات
الصلبيين وغارات التتار في الشعوب العربية»: «لعله من المناسب هنا أن نذكر
بعض الفروق بين العجم من جهة والصلبيين والتتار من جهة أخرى فنقول:
لأن كانوا جمآ قد حفروا على البلاد العربية في الشام والمرأق ومصر، فإن
هناك فراغاً كبيراً بينهم، فإن الأولين كانوا يشاركون من العرب في الدين،
وكانت انتظامون بالولاية للخلافة والداعع عنها، أما الآخرين فلم يكتبوا
بضمهم والمرء دين، بل ضل المكس من ذلك كاتب المصيبة الدينية البخسدة
أم أسباب المفروض العظيمة، أما التتار فقبل بارف وعاصفة مدمرة، (١).

١) تاريخ الشعوب العربية /٣ - ١٤٩ - دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة
الأولى ١٩٦٧ م.

ناتياً : أثر المزوب الصليبي في أساليب الشعر :

وكانت المزوب الصليبية آثاراً في المؤنثيات الشعرية تركت أيضاً آثاراً على لغة الشعر ، فمع أن شراء هذا المصر قد أفردو بالسلام في مناجع الشعر وفطام المصيدة ، حافظوا على مادتهم من أوزان الشعر والمحافظة على الفاتحة ، فإننا نجد المزوب الصليبية تصر على الشعر آثاراً بعيدة تبيينا فيما يلي :

(١) الألفاظ :

والحقيقة أن الشعر في مصر المزوب الصليبي قد حافظ على الألفاظ العربية الخاصة ، ومن الممكن [رجاء ذلك إلى أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي] ، والحال أن النص في هذا المصر كان الدين ، أما ماعدا ذلك من باق ألوان الفخر والاعتزاز فلي يكن لها أي دخل في التجدد .

ومع هذا فيمكننا أن نقول إن هناك بعض الكلمات قد تسربت إلى لغة الكتابة في هذا المصر ، وقد وجدنا ذلك الكلمات صدقي في الشعر أيضاً ، هذه الكلمات دخلت من اللغات التي عالجت اللغة العربية في ذلك الحين ، من طرسيه وتركمانية وبروتانية وفارسية . وليس من شك في أن الشعراء قد اختلفوا - حاطم في ذلك حال أصحاب الكتابة - بالنصارى من الفرعون ، وقد تأثرت لهم نتيجة لذلك ببعض الألفاظ الدخيلة ، ووردت هذه الألفاظ في شعر الجمداد .

ومن ذلك قول ابن متير العرابي في قصيدة له يمدح ثور الدين محمود وبذكر بعض جماده (١) :

(١) الروضتين ١ / ٨٢ نشر دار الجليل ، بيروت .

فبرأت البرلس لفاح خف .. وجرع مرجوك جرسون
ومن تأثير الحروب الصليبية على لغة الشعر أيضاً ماورد في شعر ابن
القيساني، إذ استعمل كلية القراء، وهي كلية لاتينية في بعض آيات له
يقول فيها (١) :

كما أحدثت الأقدار القصص أسره .. وأسد قرن من حياة لك الأسر
طعن وبش عدوا على غلوته .. فاوية الكفران مدحه والكفر
وكا لبيه حروب مصر في إدخال بعض الكلمات الأجنبية على لغة الشعر
فقد جعلت شعراء المسلمين يستخدمون بعض الألفاظ مثل: الكفر، والشرك
والصلب في صورهم الشعرية . من ذلك قول العصاد الأصفهاني الذي شبه فيه
الكفر بالإنسان بعض يده ببصرة ومراده من شفة الندم حين يرى الإسلام
يتنصر . يقول (٢) :

واعتزل عطف الإسلام من جذل .. واقتصر الإياع والابتها
وانتشرت أوجه المدا فرسا .. فليقمع الكفر سنه ندما
وهذا هو عبد الدين بن النظير الأدريل يشبه الشرك بالليل الأسود ، فيقول
مادحا ذريعة صلاح الدين (٣) :

ورددوا إلى البيت للقدس نوره .. وقد كان في ليل من الشرك أسود
وقل لما قابل من ذلك وجدنا شعر الجياوه قد اكتسب مانحة دينية تحلى في

١) الروضتين ١ / ٧٣ ، نشر دار الجليل ، بيروت .

٢) المرجع نفسه ١ / ١٩٥ .

٣) المرجع نفسه ١ / ١٩٦ .

أبراد كثير من الفاطح الدين والإسلام ومجده ولدينته ونمورها .
 يقول ابن متير يصح تون الدين (١) :
 أقوى الفلال وأقرت عرصاته . • ولا المدى وتجول قبائه .
 وأناش دين محمد مموده . من بعد مغلبة دما هرائه .
 ودت على الإسلام مصر شابه . وبيانه من دونه وباته .
 فتح تعممت أسماء يقشره . وفط على أنصافها مذاته .
 سفت على الإسلام يض جهوله . واحتال في أوضاعها جهاته .

٤) الاتجاهات الفنية :

والحقيقة أن شعر المعر الصليبي ملاعنه الأسلوبية التي تكون الصورة
 والشكل الفني أو الإطار الذي ظهرت فيه تلك الموضوعات .
 وقد تزعمت المذاهب الفنية في شعر المعر ، وأصحاب الشعر الذين ينس
 جوانبه الفنية والفنون على السواء ، وقد أشاروا إلى اهتمام في أدب المعر إلى
 تقليل وطأة البديع محل الأدب شعره وتلزمه ، وكان أدباء المعر يرون في صنعة
 البديع حسنا ، ورق رقة الأساليب وسوافتها حالا يصادف هوى في نفوسهم .
 ويقع منها أحسن الواقع .

وقد تعددت مذاهب الشعراء ، ف منهم من مال إلى طريقة المعر في الأكتاف
 من البديع ، والميل إلى السهولة في أساليب الشعر واستخدام الألفاظ الجاردة
 العالية أو القريبة منها ، ومن هؤلاء ، صفي الدين الحلي ، والجاء زهير ، وإن

(١) الروحانيون ١ / ٦٠ نشر دار الجليل ، بيروت .

شاعر للك، والحسين الجزار، وشحاب الدين محمود، وابن شاتمة المصري.

ويجدر هنا أن نقول إنه كان لمدرية مؤلا، الشعراء، أثرها الكبير، على الشعر المسرق في ذلك العصر، الأثر الذي أدى إلى صرف الشعر ود كوده، ليس هذا يحسب بل إن هذا قد أثر بدوره على الشعر الفصحى فأصابه بنكبة طربية استمرت ما يقرب من خمسة قرون بطرطا، كان الازدهار في هذه الفترة

الشعر الشعبي على حساب الشعر الفصحى .
ومن الشعراء من أخذ بأسباب الفصاححة وفوة التسبيب، وأخذ يفتح نهج الأقدمين، ويتابع طريقهم في الشعر، ومن هؤلاء: أبو المظفر الأبيوردي وابن الصاوي، وابن المقرب الأحسان(١)، وابن موز العرابي، والطافراني، وعمارة الجني .

وهناك جماعة أخرى كانت تميل إلى اطلاع بين المتربيتين، ومنهم: ابن النبه وابن الفارض، والبصري، وابن القيب .

أما عن مناهج الشعراء وأعمالاتهم فكانت كالتالي :

(١) ابن مقرب الأحسان شاعر بدوى وطنادوسا، وهو صاحب نفس متعلقة طمورة دانيا، وعلى رأس الأمور التي كانت تكتله إعادة السلطة واسترجاعها للعرب، ولعل هذا هو السبب في أن شعره يوج بهذا اللون القائم الساخن الذي يحمل فيه على الشعر ويدعو إلى الجهاد وإلى امتياز اليسوف، بل إن ثقت قفل إن شعره كله دعوة إلى العرب وإلى حدد الجند ورفع السلاح .

أ) آباء الصنعة والبدع :

وهو آباء يتزم الشاعر فيه مذهب الصنعة والبدع ، ويعد إلى أوان يعده منها في شعره ما استطاع (١) ، ويضع شعره لقواعدها وقوانينها كأفق شعر القاهري الفاضل والماء الكاتب ، فقد أغراهاه ومن سلك مسلكه بهذه الحسنهات : من جناس ، وطباق ، واقتباس ، وتوبيه ، بل لقد قبل إن الفاضل هو الذي صدر سلامة التوربة لأهل مصر ، وقدم على المقدرين بأودع منها في نظمه ونثره .

والحقيقة أن هؤلاء الشعراء ظلوا يتلاعثون بالترورية والجنس والطباق إلى أن جاءت بهم جماعة من الشعراء صاروا فرسان الميدان مثل : السراج الوراق ، وأبو الحسين الجزار ، وناصر الدين حسن بن النقبي ، والقاهري (٢) الذين من عبد الظاهر .

وتعذر لإن غالباً إذا قلنا أن آباء مذهب الصنعة والبدع هم الكثرة غالبية وكان منهم هو المذهب المفضل الخالص الذي يتلام مع أدوات الناس وأهوارهم . وتعذر لا غالياً أيضاً إذا قلنا أن هذه الألوان الصناعية قد وسمت الشعر باسم الكافك الذي أفسده روحه في كثير من الأحيان ، وجعله أشبه ما يكون بشرباتات رياضية كثلك التي تطلب من طلاق الماء .

ويقتضي الإنصاف أن نقول إن آباء الصنعة والبدع قد اغدو من المحرر وطردته في المقامات غير ذلك بعذري ، وليس على أحد أن

(١) انظر الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبيه إلى عين ، الحلة الفرنسية ، للدكتور عبد القطب حرمه من ١٠٠٨ سلسلة الآلف كتاب (٢٤٢) .

الحريري كان قد آتى في مساماته بصور من عجيب الصنعة الفظية واللذب بالآفاق ، كما أن الإنسان يعتقدنا أنها أن تقول إن كثيراً من الشعراء الذين أعيجروا بالبديع لم يطلب على شعرهم للسلاسة والتکلف ، ولم ينجزوا في البديع ، وإنما تأثروا بعض قوته بحد وسمة ، وروضاها به فصالح دون أن يتغلوها به ، ومن مؤلاء الشعراء ابن متور الطرايلي ، وأبن القيسري .

ومن المذهب الأول قول الهاء ذهير :

بروسى منْ أَهِمَا سَيْنَهْ فَتَنَاهُنَّ النَّجَاهَ بِنَهْ مَهْ
يرونْ بَاتِنَهْ قَدْ قَلَتْ لَهْنَاهْ وَكَفْ وَاتِنْ لَهْبَرْ دَقَنْ
وَلَكْنْ غَادَهْ مَلَكَتْ فَزَادَهْ فَلَمْ أَخْنَهْ إِذَا مَالَكَ سَيْنَهْ
وَقَوْلَ أَبْنَ سَيَّنَهْ الْمَلَكْ وَهُوَ فِي الدَّامْ يَنْهَوْقَ إِلَى مَصَرْ وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ

ستفة البديع :

لَقَدْ ضَرَنَ الْبَنْ الْمَشَتْ وَحْزَنْهْ فِي الْأَلَكْ يَبْشَرَ مَا أَخْنَهْ وَمَا أَضْرَى
أَمْبَطَ مِنْ مَصَرْ وَقَدْمَا قَدْ اشْتَهَى
عَلَى أَنَّ أَفْرَامَ فَقَالَ أَهْبَطَرَا مَصَرَا
وَكَمْ لَهَا دِيَنَارَ وَجَهَ تَرَكَهْ وَرَانَى فَهِنَى بِمَدِهْ لَهْتَكَ الْقَطْلَهْ
فَوَاللهِ مَا أَشْرَى الْأَنَامْ وَمَلَكَهْ وَغَرْطَلَهِ الْحَضَرَهْ يَهْبَرُونَ مِنْ شَهِرَا
فَإِنْ عَدَتْ وَالْأَيَامْ عَرْجَ رَوَاجَعْ لَقَدْ أَنْهَى نَاتَهْ قَبْلَهَا الشَّاهَنَهْ الْأَخْرَى
وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ الْجَنَاسُ الْمَرْجُودُ بَيْنَ « ضَرَى » وَ« حَزَنْ » وَ« أَضْرَى »
وَ« أَضْرَى » فِي الْيَدِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ فِي الْأَنْهَى بِمَنْ الضَّرَرْ ، وَالضَّرَارَهُ يَعْنِي
الْتَّسَارَهْ ، وَنَلَاحِظُ إِيمَانًا فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ مِنَ التَّبَاسِ مِنَ الْقَرَافَهِ الْكَرْمِ ،

كما أن في البيت الثالث أندوباً بلينا ، حيث شبه الزوج بالديبار ، وأضاف من ثم اللبيه به إلى الشبه ، وفي البيت الثالث توربة في العين والقطر بين عين الماء والعين التي يبصريها ، وفي البيت الرابع جناس وفي البيت الأخير اقتباس من قول الله تعالى : « وأن عليه الشاة الأخرى » .

ومن أبيات ابن سنان الملك التي من روحها الجناس قوله من أبيات يدح فيها الفاضي الفاصل (١) :

أصبحتني مرح الأجل مرحداً • ولكن أثنت من أيامه فني
ونضدت في حسي له متقيماً • من ذا رأى متقيماً متسلماً
ورأيت صحبه نهياً هاجلاً • فرأيت بذلك النفس فيه هنا
أوادفي وطنفت غيري قصده • فرجدت دهرى مذعناني مذعننا
وعسا قيل من الشعر الجناس الذى جانس بين قرافي آياته جنساً تماماً
قول بعض الشعراء :

قف بالحسنى ودع الرسائل • وهن الأحبة قف وسائل
وامض لخدر عنك والتلال • فن حلابهم سائل وسائل
والدعم من فسرط البكا • عليهم جار وسائل
وسائل مراجعهم ثورت • لسلك هـ سروم وسائل
ولا يعني أن كلة وسائل • تختلف معانينا في الآيات قوى في البيت الأول
يعنى « أسأل » وفي البيت الثاني يعني « طرق » جمع « طرقة » ، وفي البيت
الثالث يعني « السيرلة » ، وفي البيت الرابع يعني « الطالب والسؤال » .

(١) الأدب في العصر الذهبي ، الدكتور محمد زغلول سلام ص ٣٦٠ .

وَكُلُّتْ عَنْ شِعْرِهِ الْبَدِيعِ الْمَانِيِّ إِذْ تَوَرَّ حَوْلَ الْأَطْرَافِ ، وَحَفَلَتْ
بِالْكَلَابِيَّاتِ وَالْأَزْرَقِيَّاتِ ، وَالْأَمْثَلَةِ كَثِيرَةٌ عَلَى هَذَا ، بَلْ إِنَّهُ لَا يَكُادُ يَغْلُبُ دِيرَانِ مِنْ
دَوَارِينِ شِعْرِهِ الْبَدِيعِ مِنْ ذَلِكَ .
وَمِنْ اسْتِخْدَامِ الْبَهَاءِ زَاهِرِ التَّوْرِيدَةِ قَوْلَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَصْرَرِيْنِ فِي الصِّنْفِ
الرَّفِيقَةِ الْخَفِيفَةِ (١) :

لَا تَنْجِي وَبِسْدَلَتْ • تَلَكَ الْمَوْدَدَ لَهُ نَعْرِسَا
أَبْدِيَّتْ لَمَّا رَاحَ بِعَلَيْهِ — قَخْدَهُ مِنْ نَفِيسَا
وَأَذْعَفَ عَنْهُ أَهَ • لَمْ يَقْصُدْ الْفَصْدَ الْأَشْبَيَا
تَسْكُنَ غَدَا وَعَنَارَهُ • خَضْرَ فَسَاقَ إِلَيْهِ مَوْهِي
وَمِنْ اهْتِدَادِ الْبَهَاءِ زَاهِرِ عَلَى التَّصْدِيمِ ، وَالتَّوْرِيدَةِ ، وَالْأَقْبَاسِ مِنَ الشِّعْرِ
الْقَدِيمِ قَوْلَهُ (٢) :

تَمْلَكَتْ خَطَّ الرَّمْلَ لِمَا يَهْرُبُكَ • الْمَلِلُ أَوْيَ شَكْلًا يَدِلُّ عَلَى الرَّوْمَلِ
وَرَغْبَتِيْ فِيْسَهُ بِيَاعِنْ وَحَرَةُ • عَمِدَتِيْ فِيْ وَجْهَتِ سَلْتِ عَقْلِ
وَقَالَوْا عَلَيْيِّنِيْ تَلَكَ بَارِبَلِ الرَّمَدَا • وَقَالَوْا اجْتَمَاعَ تَلَكَ بَارِبَلِ الْأَشْمَلِ
فَأَسْبَبَتْ فِيْكَ مِثْلَ بَحْرِنَ عَسَرَ • فَلَا تَكْرُوا أَنِّيْ أَخْطَلَ عَلَى الرَّمْلِ

ب) الانسجام التقليدي :

وَأَمَّا تَبَرُّجُ طَرِيقَةِ الْأَنْدَمِيْنِ ، وَتَتَبَرُّجُ طَرِيقَتِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَإِنَّـا
نَقُولُ إِنَّهُنَّ هُنَّكَمَّ مِنَ الشِّعْرِ ، مِنْ بَنْجَ نَبْجِ الشِّعْرِ الْقَدِيمِ وَرَمَاعِ الْأَسْتَانَةِ بِهِ فِي
شِعْرِهِ ، وَشِعْرِ هَذِلَّةِ يَعْلَظَ عَلَى سَلَامَةِ الْمَبَارَةِ ، وَهُوَ فِي جَلَّهِ سَهْلٌ لِأَعْجَلِ لِلـ

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ ص. ٣٦٠ . (٢) المَصْدَرُ نَفْسُهُ ص. ٣٦١ .

غرابة ولا تفهود ، وقد سار كثيرون من شعراء هذا العصر على ذلك النهج الذي هو النهج الطبيعي في شعرهم ، فلم يمدووا فيه إلى محضات لفظية أو زينات بديمومة إلا ملائكة في الطريق عارضاً غير مقصود .

والحقيقة أن شعراء هذا الاتحاس كانوا يكرهون إغراق شعراء العصر في البديع ، بل إنهم حذروا عليهم وعلى كل من آتاهه إلى البديع وأغرق فيه .

يقول للهذب بن الزبير (١) :

لخت الماخفين الشر قولي . وإن أخروا من اليد الوطأ
فقيل بمقتضى بعنان لفظ . نن إياك التشر اللي ما
علي كأس القريض من الماء . وحن لفظ كان طا حبا
ويقول هرين الروري عن البديعين (٢) :

إذا أحبيت قول الشعر فاعقر . انتظمك كل سهل ذي امتناع
ولا تقصد جماله وحسنك . توافقه وكأنه إلى الطياع

وعلى نهج طريقة القدماء جاء قوله ابن المقرب الأحساني :

مثال العل بالمرتفقات الفواهيب . وسر الموال والعنائق الدوازب
ووضرب بول السلام عن كل ماجد . على المول مقدم كريم المناسب
وليس يقال الجد من كان همه . طروري الآياتي وأعناق المبابات
ولا بلغ العلامة ابن حورة . قليل افتخار في وقوع المواقف
جري على الأعداء من مذاته . وبعد المدى جنم اللذى والمواهب

١) الأدب في العصر الأيوبي ، للدكتور / محمد زغلول سلام ص ٣٦٠

٢) خزانة الأدب الحمدوي ص ٢١

حليف سرى جواب أرض نجاووت

به ليس أجوار الفخار السابس

فالمى لا ذلك فيه أن هذا الشعر قريب في وجده وروق قرفة بناته،

وصحة المفاهيم وبداؤتها ، من شعر الشاعر العربي أبي الحبيب المتنبي

ومن أشهر شعر الاحسان ، العربي الروح ، البدوي المنظر ، قصيدة التي

يقول فيها (١) :

خنوا عن يمين المحن إيا الركب « لسؤال ذلك الذي ماصنع السرب

وأسلوب الشاعر ابن التميمي ينبع عليه الحال القديم ، وقد كان يقال

الشعراء القدماء المعروضون ، ويكتسحون أن يختذل بقصائدهم في بعض مهاناته

عن طريق المغاردة ، وقد مدح صلاح الدين الأيوبي مطلعها :

سرب لها أمه دى عارب « أم فتيات الذي الأطرب

وقد حارض ابن التميمي بقصيدة هذه قصيدة شاعر العربية المتنبي

والتي مطلعها :

من الجآدرق ذي الأغارب « حر الحل والمطايا والجلاب

وقد ذكر ابن خلkan عن ابن التميمي قوله : « كان شاعر وفتى ، جمع

شعره بين جرالة الأنفاس وعذريتها ورقة المعانى ودقتها ، وهو في ظبة الحسن

والخلورة ، وفي اعتقادى لم يكن قبله يعاني سنة من يعاشه ، ولا يزال حتى

من يقف على هذا الفضل ، فإن ذلك يختلف بعلم الطياع ، وقد در السائل :

١) ذكراته ص ١٩ ، طبعة حجرية بالمند ، عن الأدب في العصر الأيوبي ،

الدكتور / سلام ص ٢٥٤ .

• وللناس فيها يشققون مذاهب • (١)

وهذا شاعر آخر وهو الإبيوريدي، زاده بنج بنج الشعر العربي القديم في الصياغة والمعنى جمعها، فهو يبدأ تصانده بالغزل، فغلا هريرا ينتقل بك في الصحراء، وينهد وما إلى ذلك.

وللسنبع إلى بيته:

وأنت كمن يهل إلى المرن طرفة • ولا يركب الخطى دون ذماره
فقد ساس جساس بن مررة والنلا • يقتل كايب دون لفحة باره
إن هذا الشعر يذكرنا في روحه بأبيات المنبي الكثيرة، والتي منها على سبيل
الثال (٢):

ذل من يشطب الذليل بعيش • رب عيش أخف منه الخلام
من يزن يسلل المسوان عليه • ماجنـ رح يحيت إيلام
حنق ذروطه بأن أصيق به ذر • عاذمان واستكـ متـيـ الكرام
وافقا تمحـتـ أخصـ قـيـ لـقـسـيـ • وافقـ تمحـتـ أـخـعـيـ الـآـنـامـ
أـقـسـارـ آـلـدـ فـوقـ شـرابـ • وـمـرـاماـ أـبـشـ وـظـلـيـ بـرـامـ
دونـ آـنـ يـشـرقـ الـحـجاـنـ وـنـهـدـ • وـالـعـلـانـ بـالـقـسـاـ وـالـكـامـ
وكـاتـ المـائـانـ هـنـدـ الإـبـوريـديـ وـعـدـ غـيرـهـ منـ شـعـراـ الـاتـحـادـ الـقـلـيـدـيـ

مستـمدـةـ منـ شـعـرـ الـعـرـيـ القـدـيمـ، بـلـ وـبـنـ الصـحـراءـ وـجـاهـ الصـحـراءـ، وـمـثالـ

ذـلـكـ مـاجـلـهـ فيـ شـعـرـ الإـبـوريـدـيـ لـفـسـهـ، يـصـوـرـ صـورـةـ بـدوـيـةـ، وـيـأـسـ بـالـفـاطـ

١) وفيات الأعيان ٤ / ٩٥.

٢) ديوان المنبي، شرح المكتبه ٤ / ٩٥-٩٦.

بدوية قرية من الأفلاط الفرزدق وجرير وأفراهيم.

يقول الأبيوردي (١) :

زنسا بعنان الارواح ولندي سقطت به ابتك علينا المطارق
فيت أهان الرجد والركب نوم وقد أحنت من السرى والثناقي
وأذكر خودا إن دعائى إلى التوى هرماها أجاته الدمع الدوارف
وهناك أشعار كثيرة لابن متير اطراها نفس فيها روح القدم، وله
قصائد كثيرة قد فروا شاعر العربية أيامهم، وقد أوردها له أبوشاه، في كتابه
« الروحتين »، ويتمثل مذهبة هذا قوله (٢) :

سلها حللك إن رعيت بشرب راق وررق المقد ملا الملا
ساهمت عيسك سعيك قاعداً ألا طبعهن تاجرنة الفلا
فارق ترك كالسيف سل فيان في منه ما أخفى القراب وأخلاقا
لآخر بن ذئاب نشك بيضة ما الموت إلا أن تعيش مذلا
اللقر لا لقر هبها [unclear] ١ مثلك ما أفساك أن ترسلا
ومن الشعاء الذين نفس في شرم روح القدم المذنب بن الزيد (ت ٥٩١)
ومن يقدر أشرف، بعد قصيدة الأفلاط والراصنة، وكثرة الصور البدوية،
وتعتمد اليده بالتسبيب، ومن هذا الشعر قموده التي يبعث بها إلى الداعي حين
قبض على أخيه بالبن يستعطفه على أخيه الرشيد، فأطلقه، وهي (٣) :

١) قوات الرفقات، لابن شاكر ١ / ٣٥٨ على الدون، طبعة مصر ١٩٥٢ م.

٢) وفيات الأئمأن، لابن حلكان ١ / ١٣٩ .

٣) انظرها في قوات الرفقات لابن شاكر ١ / ٢٤٦ .

باربع ابن تری الاچبة اعسوا . هل أحجدوا من بعثنا أو أنهما
واللهم شعر رضي الله عنه ، قرئ الآسلوب ، منهاك السبك ، والشاعر
وعلى وجه المخصوص في مدائحه . يحاول أن يسمو إلى خط مذاخر شاعري
الصريري في خام ومتيني ، وإن أردت الوقوف على ذلك فانظر إلى تصريحاته
اللاسلوبية والتربي ، مطلاعا :

أقصر فديتك عن لوعي وعن عذل .. أو لا يخلو أهاما من يد الاقل
ويغول منها :

وقد وقفت على الأطلال أحضرها - جسمى الذى بعدهم الطاغترين بل
أيذى على الرسم فى دسم الدباراد قبله - عجيبة من طلاق يكى عسى طلاق
وكل يضطلاع، لومست أناملها - قصص يوسف يوما قد من قبل
يغنى عن الدر والياقوت، سمعها - لحسنها فلما حصل من العمال
وله من الآيات القراءة فى عذر فيما زان دريك (١) :

هو الحسام الذي يسمى بحامله ، تدور فيفتك بالأسماء والدول
إذا بهدا عالريا من عذبه خلصت ، و خد الدماء عليه هامة البطل
وإن قدر بمحارمن أئمه . وأربع كييف القرآن العزق بالأجل
من السيف التي لاحت بوارتها . في أغلى هي سحب المارعن الفاعل
يغاما بين رزبك مجهزها . بايده لم تكن في الأعمر الأول
وتعجب هذا المذهب الشاعر عمارنة الغني ، وكم نجح الشاعرين : أبي تمام
وأبي ذئني . ومن شعره الرزب عن القوى الأسلوب قوله يدخل صلاح الدين لما به

^١) الأدب في العصر الذهبي ، للدكتور محمد زغلول سلام من ٣٢١ .

تراث الفزو القرطبي بمسقطان (١) :

وآخرت من أحالم كل عاصم * يربى به طيف الخيال في فرق
أخذت إلى أجر الجياد زيارة الحليل فأناشر أنت غاز موافق
وهيجد البيض المقدس لوعة * يطول بها منه إلىك الشوق
تنشق من ملائكة أعظم نسمة

نهايب على قلب المهدى حين تنشق
ونغرك هذا سلم غفرانه * قربسا وإلا رائد ومطرد
ذلك هو الاتجاه التقىدي ، وهو زلام في شراؤه ، فهو يتوجهون في نظمهم
لشعر نوح الاتجاه القديم ، وهذا الاتجاه الذي التزم به أولئك الشعراء كثيرة
ما يذاب عليهم وبطلاسته في الرسوبات الطويلة التي تحتاج إلى الصبر وتحري
ملامسة قوة الوضوء ، كوصف للماءبارك ، و مدح الأبطال ، ووصف
الأحداث الطيبة ، أو الشعر الدينى .

وقد لا يقتصر التأثر بالقدماء على التقليد الغب ، ولكنه تمتدى التقليدة في
الصياغة والأساليب إلى الآثار الباشر ، إلى الاتجاه على الماء وإنصوص
والتشبيهات ، وكثيراً ما يصرت هذه في قصائد الشعراء التي يمارسونها نماذج
قدية متميزة ، على أن أشهر الشعراء الذين عارضتهم شعراء العصر هم أبو تمام
والبيحتى وللنبي .

ومن بين من عارض أبو تمام من شعراء العصر الشاعر العياد الأصبهاني ، فقد
عارضه في كثير من إعتصمه ، وله قصيدة في شير كوه مطلعها :

١) المصادر السابق من ٤٥٩ .

الجلد أدركت ما أدركت لا العجب . كم راححة جذب من درجة النعيم
وهي ممارضة لابانية أبي تمام :

البيه أصدق أيام من الكتب . في هذه المذيبين الجلد واللثب
غير أن التأثير بالقداء، في هذا العصر قد لا يقتصر على التقليد والمارضة
بل إن هناك من الشعراء من كان يصنف قصائده بشعر قديم ، وند كمثل هذا
النوع كثرة وأفرا ، حتى إنك تجد قصائد طويلة مصنفة بشعر لغيره ،
وامري ، الفيس ، والنابغة ، وغيرهم من الشعراء الجاهليين ، أو يشعر أبي تمام
والبيهري والمتنبي وغيرهم من الشعراء العباسيين ، وليل هذا داجع إلى أن
شكيراً من شعراء هذا العصر كانوا ولو بغير الاعنكاب على شعر الآشوريين
وحفظه .

ومن احتمال ابن القيساني للشعر أبي تمام قوله من قصيدة ياتية يتجدد فيها
تورد الدين محمود (١) :

هذا العزائم ، لا مانع في اللعنة . وذى لكارم ، لا ماقات الكتب
وهذه الحمم اللاتي متى خطبت . ثابتت خلفها الأشماء والخطب
ما زال جسدك يبني كل شاهقة . حتى ابنتي قبة أو تادها التهيب
له عزمك ما أمعنوا وهمك ما . أقفي أتساعاً بما حاكت به المحب
وهي قصيدة طريرة تدق فيها ابن القيساني بدور الدين ، وكيف استمداده
الإسلام ما فقده من أراضي ، كما ذكر مقتول «يرنس» أسطورية ، وتحدث عن
الأهل الذي خلّة تور الدين في نفوس المسلمين ، وفضلاً من ذلك كله فقد جعل

(١) الروضتين ١ / ٥٨ طبعة مصر ١٢٨٨ .

الشاعر سياسة نور الدين التي كان ينتهجها في توحيد كلية المسلمين .
 وأما صور الشعر وخالياته فلا شك أنها قد ظلت عند مؤلءاته الشعراء على
 ما كانت عليه في الشعر القديم ، فهن صور قصيرة متناثرة ، ليست كصور ابن
 الأرومي الذي يستخدم الصور الطبيعية مستعيناً في ذلك بكل إمكانيات اللغة من
 الانتظار وعmania ، وقد ذكرت تلك الصور في شعر شعراء مصر والدام . هذا إلى
 جانب خفة الشعر ولطافة روحه في مصر على وجه المخصوص .
 ولننظر إلى التمهيدات المتناثرة في قوله ابن معين الطراطيسى (١) :
 خلوت بيت أهواه بعد تفرق
 بأوضاع إلى صور الندى أن يصوّرها

١) أعلام النبلاء، تاريخ حلب الشهيد، للحلي ٤ / ٢٤٦ المطبعة العلية بحليب
منتهى ١٣٤٥ هـ إلى سنة ١٣٤٥ هـ

یقول ابن عثیمین (۱) :

ولا بد أن أسمى لأفضل وتبة وأسمى عن عنة الذهن مني

1

^١) الأدب في المعرض الـ"آفاق" ، المدكتور محمد زغلول سلام ص: ٣٠٠ .

٢٧) المصادر السائقة، ص ٣٦

تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكان يكتسرى بناها الشباب والذكور والأطفال والنساء ، وقد خرج النمراء يدعون إلى الفداء ويدل النفس رغبها في سبل الحياة الكريمة ، ومراجعته للتدبرات منها كانت الناجح المترتبة على ذلك .

والحقيقة أن شعر الجياد يمكن بوضوح قصيدة متصلة الحالات بين المسلمين وبين أعدائهم ، وكان موضوع هذه القصيدة منصباً على حروب المسلمين وتحديهم لخصومهم ، ودعوتهم إلى القداء والفتحية ، وهذه في بحثها تصلح لأن تكون مادة لفقن القصوى .

وإذا كانت الملحمة قصيدة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطئين العجيبة التي ترويهم مذكرة المخلود بين بي وطنهم (١) ، وإذا كانت كل شعر طال أو قصر . وقد وضفت فيه المعارك ، وسررت فيه أشجار البغرة ، وروي في ملامحات الجياد هو من شعر الملحم (٢) ، فإنه كان ينبغي أن تكون هناك ملحمة بطرابية دائمة تتصل في شعر الجياد الذي صور أحوال الحروب الصليبية وذكرياتها ، وتنفي بالبطولة والأبطال ، وإنما لم يجب ويرداد علينا حين ترى الرسغ الصليبي يدنته ، وعنداته ، وأن هذا الرسغ لم يستطع أن يفك الشعر في عصر الحروب الصليبية من إسار الشعر العربي ، ويرجح أناظيه بدرع من الملحم تتناسب في خيالها ومقاجئها مع صفاتية تلك الحروب وأحوالها .

(١) التقد الأدبي ، الدكتور محمد فتحي هلال ، هامش ص ٨٩ .

(٢) شعر الحرب في أدب العرب ، د / ذكي المخاضي ص ٤٩ الطبعة الثانية ١٩٧٠ .

والحقيقة إننا إذا ندّسنا الجوانب الفنية للملحمة في شعر الجهاد في مصر الصليبي، فإننا نقول بكل صراحة إننا لا ينتهي في شعر الجهاد ما يهمني في الملحة إلى تجزء فيها موافق رئيبة تنسج منها موافق أخرى فرعية، وتنبع فيها الأحداث، وت verschließen ، ويتجلى فيها الموارد الفصعي، ويكتثر فيها الشuros، بل ينتهي مانعده في القصص القصيري من إيجاز في تصوير الأحداث، وصياغة غنمه تنساب مع جلال الملحم والحدث من البطولة والأعمال، هذا إلى ما في أشعار شعراء الجهاد من روح جماعية تشيد بالمسلين وألمهم، وما يتمس به قوادهم من حسن بلاه، وفورة احتفال.

وتأريخ الحروب الصليبية المأمول كان جديراً بأن يحصل الشعراء على تحبيب وتصوير، وكان يمكن للشعراء أن يتضمنوا في هذه ملحمة عظيمة كالإيادة والشاهدامة، فتحصّن تاريخ المسلمين في مصر الصليبيين، وعجلت أحجادهم في السُّلْطُونِ والطرب، وتذكرون هذه الملحة ككتاب غر لم، وقدرة ملائتهم، ولكننا لدى استمرارتنا لخلفه الشعراء، وجدناه على صورة مقطوعات قصيرة، ولم يشد عن ذلك إلاقله من الشعراء، ومع ذلك فقد خرجت مسلسلات الطوربة تغير بذلة الوصف وشكراً للماء، وتقليد الابقين، وبجاهة الماصرين، وعدم القدرة على الانفلات من تقاليد الشعر العربي الموروثة، وأحسب أن شعراء مصر الصليبي لو خلصوا إلى حروب مصر فرسخوا وفماما، وسكتبوا خيلاتهم الرائعة في هذا الوصف، ولم يكتفوا بأيات يثنونها بين شعر الملح والفخر والطرب، بل لددوا فروسيّة الإبطال الذين أثبّتهم مصر الصليبي، لما روى عن خوارق بطولاتهم، وروائع شجاعتهم وقادتهم.

في الحرب والجروح بأنفسهم.

وأغلب الفان أن هؤلاء الشعراء كانوا مسروقون لهذا الشعر بدافع من الروح الإسلامية (١)، فهم يودون النفاع عن الإسلام في مصرم الذي كانت أيامه سلسلة متصلة من المواقف المصيبة والمخاطر الشديدة، ولمَّا ذلك هو السبب في خلق الشابية والشوارق في شرهم، فأكثُر ما يعبر عنه شعراء الجماد عدود مفترك يزورهم جيماً، فهم ينتظرون بعاطفة واحدة ويزورون إلى هدف واحد قصروا شرهم عليه، وهو دفاعهم عن الدين الإسلامي، فالشريف الذي شربوا جيماً منه واحد، وعليه فلا غيب في عدم تباين شخصياتهم، فقد كانوا على قمة الشابية لدرجة تحمل شرهم وكأنه صورة متعددة لخط واحد.

٣) شعر الجماد في عصر الحروب الصليبية بين التأثر والتأثير:

الحقيقة أن شعر الجماد في عصر الحروب الصليبية قد تأثر بشعر الجماد الذي كان قبله، كما كان له أثر كبير في شعر الجماد الذي جاء بعده.

فالتأثر المرجح أن شعراء الجماد في هذا العصر قد اطلعوا على آثار الشعراء السابعين أو على كثير من تلك الآثار على أقل تقدير، يذكر ذلك أن هناك قصيدة تذكرنا بأفكارها ومعاناتها بقصائد لابن نعيم وأبي فراس والمتين، وربحيك التاريخ أن سيف الدولة الحناني قد غزا الروم عام ٣٣٩ م فاتصر في بيديه، الأسر، ثم تحبس ول النصر إلى هزيمة، ووقتها وقف المتنبي غائباً قصيدة يقول فيها (٢) :

١) انظر الأدب الصوفي في القرن السادس المجري المذكور على صافي حسين.

٢) ديوان أبي الطيب من ٢٢٧ طبعة هندية: مصر عام ١٣٢٦.

قل للدمستن إن المسلمين لكم ٠ عانوا الأمير بجازام بما صنعوا
ووجهوهم نياما في كيمايك ٠ أكان تسلام يابع بخمردا
حمني ثف الأبادى عن مثالم ٠ من الأطاهى وإن هروا بهم زعوا
لأتصبروا من أمركم كان ذارعه ٠ ظليس يأكل للا مية الضبع
خلال عقب الوادي وقد طلعت ٠ أسد غر فرادى ليس تخضع
تشكم بشاصها كل سليبة ٠ والصرب يأخذ منكم فوق ما يدفع
وزغا هر من افة الجندى لكم ٠ لكن يكتونوا ولا يصل إذا رجعوا
 وكل غزو إليك بسد ذاته ٠ وكل غاز لسيف الدولة البع
فالنتي يطل غروة سيف الدولة تعلبا جوسدا ، كما أنه يقلل من انتصار
العدو ، لأنه انتصار على قوم ضعاف ، كالمرق ، ولا يأكل من المية إلا ضعاف
الوروش كالضبع .

وقد تأثر شعراء الجيداد في العصر الصليبي بقصائد المنفي في الاعذار عن
المهزمين ، وكان تأثرهم تأثر الميتكر الحصيف ، ذلك لأنهم أنوا بتعليمات
جديدة ، وأناقروا إلى المفن أناكارا جديدة ، فهذا هو أبو الفرج بن سعد
الموصلى التوفى عام ١٥٨هـ ، يتأثر بآيات المنفي السابقة ، وينتقد تور الدين
عمودا قصيدة ويمثل فيها طرحته فيقول :

بن الأصافر ماتتم بمسكرين ٠ والمكر في كل إنسان آخر الفشل
ومارجمت بأسرى عاب سعيك ٠ غير الأراذل والأتباع والسلق
سلمت الجرد مرأة بلا لحم ٠ والسمير كردة فهو البيض في الحال
هل آخذ الخيل قد أردي فرارسها ٠ مثل آخذتها في الشكل والطول

أَمْ سَابَ الْرُّعْجَ سَرْكُونَا كَسَالِهِ ۖ وَالْحَرْبُ دَائِرَةٌ مِنْ كَفَ مَتَّقِلٍ
جِيشُ أَصَابِّهِمْ عَنِ السَّكَالِ وَمَا ۖ يَظْلِمُ مِنَ الْمَنِ إِلَّا خَيْرٌ مَكْتَلٌ
لَهُمْ يَوْمٌ حَنِينٌ أَسْرَرَهُمْ ۖ هُمْ ۖ أَخْيَرُ الْأَنَامِ وَفِيهِمْ عَاهَ الرَّسُولُ
سَيِّدُنَّاهُمْ يَضْرِبُهُمْ هَذِهِ أَهْمَرَهُمْ ۖ لَيَبْيَضَ كَالْيَضْرُورُ وَالْأَدْرَاجُ كَالْحَلَلِ
وَزَرْمُ صَلَاحِ الدِّينِ فِي الرَّمَلَةِ عَامٌ ١٩٢ ۖ فَيَقُولُ أَبْنَ سَيِّدَنَا الْحَلَبِيِّ وَيَهْدِلُ
هَذِهِ الْفَرِيزَةَ مَقْدِمةً لِلِّإِتْصَارَاتِ الْمُتَّمَاقِةِ، فَيَقُولُ ۖ
قُلْ لِلْفَرِيزَةِ الْخَلَلِ دُوِيْكُمْ ۖ بِالثَّارِ أَوْ غَرْجُ الشَّعْرِيِّ مِنَ الْخَلِلِ
تَرْقِيَهَا مِنَ الْفَوَارِ طَالَةً ۖ عَوَارِقُ الْأَرْضِ تَمُورُ دُوِيْقَ الْأَصْلِ
حَسْبَ الْمَدَا يَاصْلَاحَ الدِّينِ حَسِيمٍ ۖ حَسْبَكَ يَهْرُجُ غَهْرَهُ مَنْدَلِهِ
أَنْ يَقْرُفُوكَ يَهْرُجُ غَهْرَهُ مَنْدَلِهِ
وَمَلِ يَغَافِ لِسَانَ التَّحْلِ مَلَّمِسٌ
مَرْتَ عَلَىْ أَصْبِعِهِ لَذَهَبَهُ
وَيَنْتَلِ الْمَتَّبِ قَصِيدَةً فِي اِنْتَصَارِ سَيِّدِ الدُّوَلَةِ عَلَىِ الرُّومِ عَام١٩٢ ۶ مَطْلُومًا :
عَلَىْ قَدْ أَهْلَ الْعَزْمِ تَأْنِيْلَ الْعَزَّامِ ۖ وَتَأْنِيْلَ عَلَىْ قَدْ الْكَرَامِ الْمَكَارِمِ
وَفِيهَا يَقُولُ الْمَتَّبِ فِي وَصْفِ جِيشِ الْمَدُورِ كَأَنَّهُ (١) :
أَنْوَكَ يَهْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهَا ۖ سَرَوْا بِعِيَادَ مَلْهُونَ قَوَامَ
إِذَا بِرْ قَوَامَ تَمَرِيْلَ الْيَضْرُورِ ۖ ثَيَّابَهُمْ مِنْ مَلَهْبَا وَالْمَاهِمِ
خَيْسُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَربِ زَحْفَهُ
وَفِي أَنْ الْجَوَاهِرَةِ بِنَهَ زَمَانُ

تجمع فيه كل اسن وامة . فما يفهمه الخدات [الترجم] وبنظم ابن روزيك قصيدة لـ نور الدين يصف فيها خروج جيش مصر عام ٩٥٢ هـ فيدر تأثر فيها بقصيدة النبي . يقول :

الامكنا في الله نصي العزائم . وتعني لدى الحرب البيرف [الصوائل] وواجههم جيش الفرج بحملة . يرون على الشجعان منها المرايم فلقوم رق الآسنة وأغقوروا . عليهم فلم ينضم من الكفر ناجم وما زالت الحرب العوان أشدعا . إذا ما علاق السكر للتصادم في أيات الشاعر وصف لكثرة جيش المسو ، ووصف البيرف ولا يعني تأثر ابن روزيك بالنبي في المعنى ، هذا إلى جانب تأثره بالتراث والتاريخ كا هو واضح .

على أنها تحد الدأر واصحاق وصف الدين بالخصانة والمناعة ، مما يذكرنا بأيات أبي تمام في فتح مصرية .. هنا فضلا عن تأثر كبير من شعراء الماء من الصابري بن سفيان من الشعراء في الصياغة والأسلوب والمأثر والأفكار (١) . وغير عاف أيضا أن شعر المهداد في عمر الحروب الصليبية قد أثر في الشعراء اللاحقين ، فأيات الشاعر أحد شرق التي عاطب بها مدينة أدرنة حين استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م والتي منها (٢) :

فهي سيلك رحمة وعية . في المأثور وعصمة وسلم

١) يمكن التوقف على من يد من ذلك إذا واجهت كلامنا عن « الانصاء » التقليدي ، في هذا الكتاب .

٢) الشوقيات ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، مطبع دار الكتاب العربي في بيروت .

البغى في دين الحريص دنيه ٠ والسلم عهيد والقتال قدام
واليوم يتف بالصلب عصاب ٠ هم للإله وروحه ظلام
خلطوا أصليلك والخاجر والدى ٠ كل أداء للأذى وحشام
أو مازاهم ذيحتوا جديتهم ٠ بين البيوت كالم أغفلام
وصبية هنكت خيبة طيرها ٠ وتسارع عن زوره الأكلام
وآخر نهادين استريح وقاره ٠ لم يف عن الصحف والاعلام
وزرخ حرب ظاهري، وأدواتهم بعطفهم جسرخ دم وأدائم
ومهاجرين تذكرت أوطلاتهم ٠ خلوا السبيل من الفعلة وهموا
السيف إن ركبوا الفرار وسليم ٠ والطبع إن طلروا الفرار مقام
مع ما فيها من سور في المني والصياغة والتبيين ٠ تذكرنا يقول شاعر

الجهاد (١) :

أهل الكفر بالإسلام ضبا ٠ يطول عليه الدين العصبا
شقت شانع وهي مباح ٠ وسبق قاطع ددم سيب
وكم من مسلم أشنى سليبا ٠ ومسلة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ذيرا ٠ على عزاءه نصب الصلب
أنسي المسالات بكل تفسير ٠ وعيش المسفين إذا طيب
آماله والإسلام حتى ٠ يدافع عنه شبان وشيب ٠

(١) النجوم الظاهرة / ١٥١ .

الخاتمة

لقد حاولت في هذه الدراسة الموجزة أن أبرز شهر المهدى واكب الحروب الصليبية وعاش أكثر من أربعين عاماً، واستمر في تحريض المسلمين على الجهاد وقتل النساء والصغار وإذكاء الفتنة في قلوبهم، كي يوحّدوا قوماً ويطهروا بالادعى نفسيّاً من المسلمين الصليبيين.

وشرأء الدراسة هي شراء الجهاد، وهو طلاقة تهمهم وحدهم الظروفي والأحوال، وموطن الدراسة يتصوره المختلفة هو شهر المهدى في مصر الحروب الصليبية، من حيث بيان مدى تأثير أحداث الحروب الصليبية بشعراء مصر في شهر المهدى، وتصوير هذا الشعر بهذه الظروف والأحوال وتغييره عنها في قصائد تعدد في جلائم من الشعر الخامنئي الذي يبحث المهم ويدعو إلى الجهاد والقتال.

أما من الملام البارزة في هذه الدراسة فلذلك أنها كانت السبب في اختياري لهذا الموضوع، وإن كنت لم أزعم أنني قد أحاطت بهم بما علماً، وأنني سددت منها كل نقرة، وليس يضر الباحث إلا يبلغ جهده درجة الكمال، وإنما الذي يتضرر أنه يكون قد تفسر عن الوصول إلى أهدافه وغاييات كان ينكره بروغها.

وهذه هي أهم الملام البارزة إلى هدفي إليها البحث:

- 1 - إن شهر المهدى الذي شهد مصر الحروب الصليبية يتم به ولد موقف وصراعات حقيقة وقت بالفعل، فشعراء الجهاد الذين تندوا بهذا الشعر قد شاركوا في الحروب من جانب، ودعوا إلى الجهاد وإلى إيقاظ

الأمة الإسلامية من جانب آخر ، وكان من ناتج ذلك ما عرف بـ «شعر الحروب الصليبية» ، وهو شعر ملزِمٌ مُؤْمِنٌ ، ويتمثَّل في جملته من الشعر الحاسِي الذي يهدِّي الفهم ، ويبعث الحية في التفوس ، ويدعو إلى مراسلة الجسد وال تعال ورفع أرواح المذبوحة للبقاءين .

٢ - شعر الجهاد يهدِّي ثمة طبعة لصراحته العصر الصليبي ، فالحرب التي شهدَها العصر ، وما هيَّا هذه الابلية الجبرية من أسباب وظروف سمحَت بنشاء مثل هذه اللون من الشعر ، بل كانت عاملاً قوياً في اتساع آفاقه وتفعيل مناجمه . ولا شك أن لشعر الجهاد صلة وثيقة بال التاريخ ، حتى إنك لم تجد شاعرًا من شعراء العصر لم تكن القصيدة من قصائدِ تصلُّ اتصالاً وثيقاً بال تاريخ ، وتحسُّه من قريب أو بعيد .

٣ - لعل الدعوة إلى الجهاد هي ألب الشعر في عصر الحروب الصليبية ، وهي المطلع الذي انفتحَ الشعراً ، بما يكلُّ المآل والأفكار التي عالجواها في شعرهم ، وقد قام الشعر بدور فعال في الدعوة إلى الجهاد ، وتحثَّت هذه الدعوة في مظاهر مختلفة منها : التذكير بحروب المسلمين السالفة المذكورة ، وكذلك في مدح القادة العظام ، وفي تشجيع المجاهدين ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال ، وفي حثِّ الذين لم يشارِكوا «على افتضال الفرحة والمشاركة في الجهاد» .

٤ - يهدِّي شعر الجهاد من أهم الأغراض التي يمكن أن تنسَى منها المقومات الشخصية لشعراء العصر الصليبي ، وهذا الشعر يهدِّي العدُوَّ الآليَّ لحروب المسلمين المراسلة إنْ فُرِّأ أو هرَّأ .

٦ - إنه وإن كانت هناك أغراض أخرى... روى التميمي في عصر المزروب الصليبية، وهي الأغراض العاملة التي تكون في كل عصر: كالجوف والمدح والمجاهد، والإخراجيات، وما إلى ذلك، فإنه يلاحظ أن هذه الأغراض وإن كانت بعيدة عن المزروب الصليبية والصراع بين المسلمين والصليبيين، إلا أنها قد تأثرت بالجنوبيين الذين كانت تعيش فيهم بلاد الإسلام وعمر المزروب الصليبية.

٧ - شعر الجihad يمد بهملاً حافلاً للأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بالأمة الإسلامية إبان العصر الصليبي، وفي هذا الشعر حدث مفصل عن الكتب وعن الاتصالات، وهذا فهو يمد من جماً تارياً فيها لدراسة العصر ومن بحثه يمكننا أن نرثي ملعمته شعرية خالدة أصواتها. هذا العصر بكل دقة وجلاء.

٨ - برزت في شعر الجihad بعض السمات العامة التي تبرهن عن غيره، ونعني أن هذه السمات إنما هي ناتجة عن المزروب الصليبية، وأنها لازمة من لوازم الصراع الذي كان بين المسلمين وأعدائهم.

٩ - والت نتيجة للخطبة لكل ما سبق أن نرى ما كان عليه شعر الجihad من أسلحة وشاعرية صادقة؛ فقد صوروا وأفوهوا الذي يعيشونه، ومثلوا حياتهم الشديدة ولم يتجاوزوها.

١٠ - وبعد ذلك ألم أن أكون قد وقفت في بعض ما إليه نصحت، وأقه الموقف وهو المسادي إلى سواه السهل.

أُم المصادر والمراجع

- أثر المدينة الإسلامية في المغاربة الغربية ، الدكتور عذان القاضي ، طبع الأهرام ، ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ١٩٧٣ م .
- أدب الدول المتتابعة عصور الرنكبيين والأبوين والمالك ، الدكتور عمر موسى باشا . طبع دار الفكر الحديث ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .
- الأدب الصرف في القرن السابع الهجري ، الدكتور علي صافي حسين ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ م .
- الأدب المستمر في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الابري ، الأستاذ محمد مدهوني ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧ م .
- الأدب في العصر الابري ، الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ١٩٩٨ م .
- الأدب المصري من قيام الدولة الابرية إلى عين الحسنة الفرنسية ، الدكتور عبد الطيف حزة ، سلسلة الألف كتاب (٢٤٢) .
- إرشاد الأديب لمعرفة الأدب ، معجم الأدباء ، إياقوت الحموي ، نشر الدكتور فريد الزقاعي عام ١٩٣٦ م .
- أسماء بن منقاد ، الدكتور أحمد كمال ذكي (سلسلة أحلام العرب ، ٧٩) ، دار الكاتب العربي ، مصر ١٩٩٨ م .
- أصول النقد الأدبي : أحد الماهايب ، الهيئة المصرية للطبعة الخامسة .

- أعلام البلاط، تاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الحلبي:
- الجزء الرابع، لطبعه العلمية بحلب سنة ١٣٤٢ هـ إلى سنة ١٣٤٥ هـ.
- أيام صلاح الدين، الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- يدائع البناة: الأزدي، مطبعة برولاق ١٢٧٨ هـ.
- البداية والنهاية: ابن كثير:
- الجزء الثاني عشر: مكتبة النصر بالرياض، ومكتبة المدارف بيروت.
- بيضة الوعاء في طبقات المقربين والتحمام: السيوطي، م السعادية ١٩٢٩ م.
- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: الدكتور أحمد شامي:
- الجزء السادس، مكتبة المهدى المصرية القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.
- تاريخ المرووب الصليبي: تأليف ستيفن راسيلان، ترجمة الدكتور السيد اليان العربي:
- الجزء الثالث، مطبعة التجسوسي، بيروت، الطبعة الأولى ونشر دار الثقافة ١٩٦٧.
- تاريخ الشعر العربي، الدكتور محمد عبد العزيز السكرياوي:
- الجزء الثالث: دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.
- تاريخ العرب (مطابق) : فيليب حتى وأخرون :
- الجزء الثاني، مطابع الفندور، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م.
- التجديد في الأدب المصري الحديث: الدكتور عبد الوهاب حسونة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى .

- ٢٤٥
- ثيرات الأوراق: لابن حمزة المخزى: طبعة مصر، ١٣٠٠ م.
 - الحركة الصليبية لـ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: طبعة المكتبة العلمية، الجزء الأول، والجزء الثاني، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٦٧ م.
 - الحروب الصليبية في المشرق والمغرب: لأليف محمد العروم المنطوري، نشر دار الكتب الشرقية بتونس، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ م.
 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام، محمد سيد كيلاني، مطبعة دار الكتب العربي، ١٩٤٩ م.
 - الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي: للدكتور محمد بن علي الحرقبي (الصادق الأدبي بالرياض) كتاب الشعر، المدد (١٥) مطباع الفردوس التجارية بالرياض ١٤٠٠ م.
 - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام: للدكتور أحد بيدهوي، دار تراثنا مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م.
 - الحياة المقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الدكتور أحد بيدهوي، مكتبة ثانية مصر.
 - خريدة القدس وجريدة أهل مصر: المداد الاصفهاني: قسم شعراء مصر، تحقيق أحد آمين وزميله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٢ م.
 - قسم شعراء الشام، تحقيق الدكتور شكري فحص، الجزء الأول، المطبعة الخاتمة بدمشق، الطبعة الأولى، نشرجمعية اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨ م ١٩٦٨ م.

- ديوان الأدب : تأليف ابن سينا الحروي ، طبعة مصر ١٣٩٤ م .
- خطط الفرزلي :
- الأجزاء : ٤٤٢ .
- ديوان ابن الطيلط : تحقيق خليل مردم ، طبعة المطبعة الماشية بدمشق ، ونشر بمجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٧ م ١٩٥٨ م .
- ديوان ابن الساعدي : تحقيق أليس اللندن :
- الجزء الثاني ، الطبعة الأمريكية ١٩٣٨ م .
- ديوان ابن سبط التمawiزي : تحقيق مرجورث ، مطبعة المقطف مصر .
- ديوان ابن عتني : تحقيق خليل مردم ، طبعة المحسن أعلى البرق بدمشق ١٣٦٩ م ١٩٤٩ م .
- ديوان ابن مطر وح ، طبعة الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٨ م .
- ديوان ابن النبي : تحقيق عبد الله فكري ، مطبعة عبد الفتاح فكري ١٢٠ .
- ديوان أبي تمام : شرح التبرizi ، تحقيق محمد عزام :
- الجزء الأول ، مطبعة بيروت .
- ديوان الأبيوريدي (أبو الماقف) : تحقيق الدكتور عمر الأسد :
- الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ م ١٩٨٧ م .
- الجزء الثاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ م ١٩٨٧ م .
- ديوان أسامة بن منقذ : تحقيق الدكتور أحمد أحد بدوى وسامد عبد الحيد طبع للطبعة الأخيرة بمصر ، ونشر وزارة المعارف المصرية بمصر ١٩٥٢ م .
- ديوان إسماء زهير ، طبعة مصر ١٢٩٧ م .

- ديوان البرصيري ، تحقيق الامانة محمد سيد كيلاني ، طبع مصطفى الياب
الحلي عام ١٩٧٣ م .
- ديوان القاضي الفاعل : تحقيق وشرح وتقديم الدكتور أحد أحمد بدوي .
- ديوان المتنبي (شرح المكتري) نشر دار القرفة للطباعة والتوزيع ، بيروت
١٢٩٧ م ١٩٨٧ م وطبعة أخرى هندية بعمر عام ١٣٣٣ م .
- ذيل تاريخ دمشق : لأبي يعل القلاصي ، مطبعة الآباء البيهقيين ، بيروت .
- ذيل الروضتين ، تعيد الرحمن بن إسحاق بن المقبري ، أبي شامة ، الطبعة
الأولى ١٩٤٧ م .
- رحلة ابن حبيب : محمد بن أحد بن حبيب الكاتب ، دار صادر ، بيروت
١٣٦٤ م ١٩٤٤ م .
- الروضتين : تأليف شهاب الدين المقدوسي المرووف بأبي شامة :
- الجزء الأول ، مطبعة وادي النيل بعمر ١٢٨٧ م وطبعة مصر عام
١٢٨٨ م ، ودار الجليل ، بيروت بدون تاريخ .
- الجزء الثاني ، مطبعة وادي النيل بعمر ١٢٨٧ م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك : لابن علی القریزی : تحقيق الدكتور محمد
 المصطفى زياده .
- الجزء الأول ، مطبعة القاهرة ١٩٣١ م .
- شذرات الذهب : العجیل :
- الجزء الرابع ، مطبعة القاهرة ١٣٥٠ م .
- الشرق الأوسط والخربب الصليبي : تأليف السيد الباز المرزبي :

- الجزء الأول ، جنة النايل والترجمة والنشر ، نشر المطبعة المصرية .
- شعر العرب في أدب العرب ، الدكتور ركي الحامسي ، دار المعرف ، مصر
- الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ .
- الشوفيات ، أحد شوقى :
- الجزء الأول ، دار الكتاب العربي بيروت .
- صلاح الدين بن شرط ، عمره وكتابه ، الدكتور أحد أحد بدوى (المكتبة الثقافية ، ٢٢ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - ١٩٦٠ م) .
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء ، والرواية بأعلى التسديد : لشكيل الدين ابن حمفر بن ثعلب الأدقري ، المطبعة الخالية بمصر ١٣٧٢ هـ .
- الظاهر بيروس : للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (سلة أعلام العرب) رقم ١٤ بدون تاريخ .
- مصر سلامين المالك وناته الملى والأدنى ، الدكتور محمد ورقى سليم (المجلد السادس ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٢ م) .
- المدنة : لابن رشيق ، تحقيق عزيز الدين :
- الجزء الثاني ، دار الجليل للطباعة والنشر ، بيروت ، المطبعة الرابعة .
- القاطميون في مصر : الدكتور حسن إبراهيم حسن ، المطبعة الأميرية .
- قانون الشعر في مجتمع المدانيين ، الدكتور مصطفى الشحادة ، ملزمطبع وبالنشر مكتبة الأنجلو المصرية طبعة عام ١٩٧٨ هـ ١٩٥٢ م .
- غرات الوفيات : لابن شاكر :
- الجزء الأول ، عيسى الدين ، طبعة مصر ١٩٥٢ م .

- الجزء الثاني ، مطبعة بولاق ١٩٩٩ .
- * قصة الحضارة : تأليف ول دبورانت ، ترجمة محمد دران .
- الجزء الرابع ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م .
- * الكامل في التاريخ لابن الأثير .
- الجزء الأول دار صادر ودار بيروت ١٩٦٩ م .
- الجزء الماشر : نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٦٦ م .
- الجزء الحادي عشر ، الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ .
- * لباب الآداب : أكاسة بن منقذ ، طبعة مصر ١٩٣٠ هـ .
- * مثل الساتر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، طبعة مصر ١٣١٣ هـ .
- * مجلة العربي عدد جادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- * مختارات من ديوان حمزة البيني ، طبعة مطبعة شالون ١٨٩٧ م .
- * المختصر في أخبار البشر : لابن البارد .
- الجزء الثالث : المطبعة الحسينية بمصر ، الطبعة الأولى .
- * سرآة الرمان في تاريخ الأعيان : لشمس الدين يوسف سبط بن الجوزي .
- الجزء الثامن (قسم ١) مطبعة حبيبي آيد ، الطبعة الأولى ، ونشر مجلس دائرة المعارف المثلثية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ .
- * مصر في المصوّر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى الفتح المماليكي : تأليف د/ علي زراري حسن ، مطبعة الاعتداد بمصر ، والتبر مكتبة لجنة العربية .
- * مدخل المقتني ومسر الحالات : محمد بن أبي الحسن الأبوقي ، تحقيق

- الدكتور حسن حيشى ، مطبعة دار المسايم ، الطبعة الأولى ، ونشر عام
الكتب بدون تاريخ .
• مقدمات الدوادان الصليبي ، الدكتور عمر كمال توفيق ، الإسكندرية ١٩٦١ م .
• التحوم الرازحة : لابن تمرى بردى :
- الجزء الخامس ، طبعة مصر ١٣٣٥ م .
- الجزء السادس ، طبعة مصر ١٣٣٦ م .
- والارتفاع القرى مصر بدون تاريخ .
- الجزء السابع ، طبعة مصر ١٣٣٨ م .
- الجزء الثامن
• التقى الأدبي : أحد أدبين :
- الجزء الأول ، طبعة الهيئة المصرية ، الطبعة الرابعة .
• التقى الأدبي : الدكتور محمد فتحى عسال ، دار الهيئة المصرية ، الطبعة
الرابعة ١٩٦٩ م .
• الكتب المصرية في أخبار الوراء المصرية : لمجاهد البين ، طبعة مدينة
شالون ١٨٩٧ م .
• نهاية الأدب : للترى :
- الجزء الخامس والعشرين ، طبعة دار الكتب المصرية .
• نور الدين محمود : الدكتور حبيب مؤنس ، شركة الهيئة للطباعة والتوزيع
يصدر الطبعة الأولى ١٩٥٩ م .
• وفيات الأعيان : لابن خلkan :
- الجزء الثاني ، المطبعة الميمنية ١٣١٤ هـ وطبعة عن الدين ، مصر ١٩٥٢ م .
وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبعة مطبعة التربية ، بيروت .
• والأجزاء : ٣، ٤، ٥ . . طبعة عن الدين ، مصر ١٩٥٢ م .

فهرس الموضوعات

الإهداء
للقارئة

مدخل تمهيدي

- ١ - أسباب الغزو الصليبية
- ____ أولاً : الأسباب الدينية
- ____ ثانياً : الأسباب السياسية
- ____ ثالثاً : الأسباب التجارية
- ____ رابعاً : أسباب أخرى

٢ - حالة الشرق الإسلامي عند بداية الغزو الصليبية

- أولاً : في العام
- ثانياً : في مصر

٣ - أثر الغزو الصليبي في تقويض العرب والمسلمين

الفصل الأول : نهاية الشرق في عصر الغزو الصليبية

- أولاً : الأحداث السياسية
- ثانياً : تراجع الحكماء الشرقيون والشمراء
- ثالثاً : المنشآت يحتمل الفخر ودراسته
- رابعاً : كثرة عدد الشمراء
- خامساً : أسباب دينية

- ٢٥١ -

الفصل الثاني : موضوعات شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية

- أولاً : شعر الدعوة إلى الجهاد
ثانياً : تصوير للمارك الحربية
ثالثاً : مدح أبطال الحروب الصليبية
رابعاً : التأسف والتحسر على ما أصاب المسلمين
خامساً : الفخر والخارة
سادساً : الرشاء
سابعاً : تحديد الأعداء
ثامناً : الطهارة

الفصل الثالث : خصائص شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية

- أولاً : الخاصة المدققة وحرارة الماظفة
ثانياً : برود ووح الشهاد وقوه والمغان الإسلامية
ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبرى
رابعاً : الصدق الفقى في نقل التجربة
خامساً : خصائص عامة

الفصل الرابع : آثر الحروب الصليبية على الشعر

- أولاً : آثر الحروب الصليبية على الموضوعات الشعرية
١ - تفابه الشعر في أرجاء العالم الإسلامي
٢ - ظهور شعر الحزن والتحريض

- ٢٠٣ - ظهور الطابع الإسلامي في الشعر
٢١٢ - ظهور فن رثاء المدن وفينا للخاذلين
٢١٦ [١] : آثر المروءات الصليبية في أساليب الشعر
٢١٦ - الألفاظ
٢١٨ - الاتجاهات الفنية
٢٢٠ (أ) الاتجاه الممنوع والبداع
٢٢٢ (ب) الاتجاه التقليدي
٢٢٤ - شعر الجم - ادف عصر المروءات الصليبية
٢٣٥ بين ذاتي وذاتي
الخاتمة
٢٤٠ أم المصادر والمراجع
٢٤٢ فهرس المؤلفات
٢٤١ تم وفه الحمد

رقم الإيداع في دار الكتب المصرية

١٩٩٠ / ٨٥٣٣

مطبعة و مكتبة الرضا بطليموس

عبدالعال سعداوي محمد
٤٤٦٥٦٦ ت